الى قرّائنـــا

بهذا العدد السادس والأخير لســـنة ١٩٧٠ يتوقف « المشرق » عن الصدور وسيظل محتجباً حتى اشعار آخر.

A NOS LECTEURS

La parution d'*Al-Machriq* est suspendue sine die à partir du commencement de l'année 1971

السنة الرابعة والستون — تشرين الثاني — كانون الاول ١٩٧٠

الكتاب الثاني من صواعق النصري

مقتطفات نشرها لنسرة الاوفياء

الاب بولس نويا اليسوعي

الصوفية غرباء في التراث العربي والنصيري غريب في غربة الصوفية. عاش في القرن الرابع الهجري. فعرفه من عرفه آنذاك. ثم انطمس أثره واختفى اسمه. فلا الطوسي يذكره في «لمعه» ولا الكلاباذي في «تعرفه»؛ ولا السلمي يترجم له في «طبقاته»؛ ولا القشيري في «رسالته»؛ ولا ابو نعيم في «حليتـــه». وهم جميعاً يكتبون عن معاصري النصري وعمن هم أقل أهمية منه.

النصري غائب عن موكب الصوفية لانه فريد في صنفهم. ليس لتجربته الروحية التي أسرّ بها إلى «دفاتره» نظيرٌ في التراث الصوفي. جهل حلقات الصوفية فجهله تاريخهم واختفت آثاره. حتى جاء القرن السادس فكان وقت ظهوره على مسرح التاريخ الصوفي: ظهرت «مواقفه» في «والفتوحات

ثم على الكتاب الثاني من المواقف وعلى القطع الاخرى المذكورة في المخطوطات السابقة . انظر وصفها في كتابنا *Exégèse coranique et langage mystique*, pp. 355-357.

ونحن على وشك نشر جميع هذه القطع في كتاب خاص . واليوم نقدم لقراء الشرق مقتطفات منها ، حققنا نصها بمقابلة مخطوطة قونية : يوسف آغا ٤٨٨٧ (وهي تحمل ايضاً رقم ٤٩٠٥) ومخطوطة اسطنبول : حاج محمود ٢٤٠٦ . وقد كتبت الاولى بتاريخ ٦٠٧ هـ. اما الثانية فلم يذكر تاريخ كتابتها : ولكن الحبر والورق يدلان على انها حديثة العهد . ونرمز الى الاولى بحرف (ق) والى الثانية بحرف (م) .

بيروت ــ جامعة القديس يوسف

[١٣٩ ب] مواقف

لمحمد بن عبد الجبّار المصري [النِّفَّري]

العزة لله وحده . وبه العون والحول والقوة . الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي خاتم النبيين . وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وعلى الروح الامين جبريل وسلم عليهم تسليما

فهرست موقف المواقف

موقف استواء المعرفة — موقف المقامات — موقف رحمة الخلق — موقف عبود الانبياء عليهم السلام — موقف وصايا الاولياء — موقف الاعيان — موقف الأسماء — موقف المعاني — موقف نفسي — موقف الدنيا — موقف الهموم — موقف الجلال — موقف الجمال — موقف الكمال — موقف حق معرفته عليّ — موقف المعرفة — موقف ما خلق — موقف المواقف — موقف ادب المعرفة — موقف العمل — موقف النسمت — موقف النطق — موقف النطق والنسمت — موقف محادثة — موقف التقليب المستقر — [١٤٠ أ] موقف العلم — موقف غربتي — موقف البلاء — موقف العافية — موقف التقليب — موقف العقل — موقف النار — موقف علمه — موقف المجلس — موقف الهوى — موقف السرّ — موقف غيرته عليّ — موقف الاسماء — موقف العلوم كلها — موقف الضنائن — موقف قبل كن — موقف مقامه الذي لا ستر فيه — موقف مهرب الانبياء — موقف اليقين الحق — موقف حنانه — موقف أدب الخروف — موقف أقصى كل شيء — موقف الأمر — موقف رقته — موقف حجته — موقف حضرته — موقف النظر الى وجهه — موقف النفس — موقف التصوير — موقف المخالسة — موقف الحزن — موقف مجلس الغنى — موقف أدب المخالسة — موقف حضرته التي تمتحن فيها الاسماء ويخرق فيها العلم والعلماء — موقف السياحة — موقف مجلس العزيز — موقف ما بدا وما[1] يبدو — موقف الابواب . وفيه كلمات التصبر — موقف السياسة — موقف المقامات — موقف رويته الكبرى — في سنة ست وستين وثلثمائة .

---

(١) ق : — ما

موقف المواقف

[١٤٠ ب] بسم الله الرحمن الرحيم

قال محمد بن عبد الجبار بن الحسن رحمه الله تعالى :

١ — اوقفني في استواء المعرفة وقال لي :

هو الآ[1] أتقرّبُ اليك بكن ولا بكينونة كن ، وهو الآ يزدك معرفة بي كن ولا[2] كونية كن ؛ فتعرفني بصفتي التي لا صفة لها في علمك .

هي لَكَ نَفَسٌ ترى به ولا تراه بسواه ؛ وتعلم به ولا تعلمه بسواه .

٢ — واوقفني في المقامات وقال لي :

اعرف مقامك وقف بين يديّ لا فيه . فان قلتُ لك : قم فيه ؛ فقم فيه ؛ واذا جاءتك الغيبة فقم فيه.

وقال لي : لا بد لك من مقام . مقامك هو بيتك الذي به يعرفك أهل السماء والارض ، ويقصدك فيه ويخاطبك اهل السموات والارض .

وقال لي : قف في مقامك منّي . فقمتُ في مقامي منه وهو اني أراه لا يفعل .

وقال لي : أريدُ ان افعل واريد ان تراني افعل . وقيامُك في هذه الرؤية ان تراني افعل ولا ترى غيري يفعل . وهذا المقام باب ذاك المقام . وهو مقام ضعفك وذاك المقام هو مقام قوّتك .

٣ — واوقفني في رحمة الخلق وقال لي :

صفتُك صفتُهم [١٤١ أ] . فسترتُ صفتك بنور صفتي . فمن رأيتني سترتُ صفته بنور صفتي ؛ فأكرمْه ؛ ومن رأيتني لم أستر صفته بنور صفتي ، فارحمْه .

وقال لي : أنا صنعتهم ؛ فاكرمْ صنعتي . واذا جاءك غيرك بما يسوءه ؛ فارحمه ؛ لما جاءت به صفته من السوء . ثم اكرم صنعتي لأني[3] ؛ ثم اكرم صنعتي لأنها ؛ ولا تغلظ على ما في صنعتي فانه هو فيك ؛ فاغلظ عليك ان شئتَ ان تغلظ على غيرك .

---

(١) م : لا
(٢) م : لا
(٣) م : (الجملة مكررة)

وقال لي : تحفظ لي ، اطالبك أن تحفظ على نفسك . تحفظ لنفسك : هذا مقام ربّك لا مقامك !

٤ — واوقفني في عبود الانبياء عليهم السلام : فسمعتُه يقول لهم : ادعوا الى معرفتي ! فاذا عرفوني . فادعوهم الى أمري . وقال لهم : ليس معرفتي على اعداد القلوب . ولا اعداد الافكار . اني أنا الدايم الذي لا تنفد معرفته !

وقال لهم : ادعوا الى معرفتي كل قلب من حيث عرف ، لا من حيث أقرّ . وقال لهم : من كان حدّه الاقرار فليس مقامه المعرفة ، ومن كان حدّه المعرفة فليس مقامه الاقرار .

وقال لهم : لا تخرجوا قلباً عن حد معرفته . فان اخرجتموه عنها[1] فلا تردّوه . فان [١٤١ ب] رجع هو . فلا تمنعوه . ومن اخرجتموه ، فاصحبوه حتى يصل الى ما اخرجتموه اليه .

٥ — واوقفني في وصايا الاولياء وقال لهم : قولوا ما اقول لكم . وتكلموا بما اكلّمكم به ، وانتم بين يدي لا في المراتب .

وقال لهم : ان قلتم غير ما قلتُ لكم ، فابينوا لي قلتم له جنة وناراً عن ايمانكم وشمائلكم .

وقال لهم : اذا اخرجتم الى المراتب . فلا تدعوا لي . فقد نصبت عبيد المراتب .

وقال لهم : الوليّ هو الواقف الذي لا يبرح .

٦ — واوقفني في الأعيان فارتني الاسماء . واوقفني في الاسماء ، فارتني المعاني . واوقفني في المعاني ، فارتني نفسي . واوقفني في نفسي . فارتني الدنيا . واوقفني في الدنيا ، فارتني الشرك والشكر والكفر .

٧ — واوقفني في الهموم وقال لي :

ان كان همّك من الطوافين ، لم تدخل عليّ !

وقال لي : انظر الى الهموم ! فرأيتُ كلّ همّ لا يقف بين يدي ، يقف بين يدي ابليس . شاء ام أبى . ورأيتُ ابليس يدعو الهموم الى انفسها ولا يدعوها الى نفسه ، فتستجيب له . ولا تفطن للوقوف بذلك بين يديه لانه سترها بأنفسها عن نفسه .

(١) م : — عنها

وقال لي : انا ادعو الخصوم [١٤٢ أ] اليّ لا الى انفسها . فلا تقف[1] بين يدي او تخرج عن انفسها ولا تدبر عنّي او تدخل في انفسها .

٨ — واوقفني في الجلال . فرأيتُ فيه الصفات . واوقفني في الجمال ، فرأيتُه في الصفات . واوقفني في الكمال ، فرأيتُ فيه الجلال والجمال !

٩ — واوقفني في حق معرفته عليّ وقال لي :

حق معرفتي عليك ان تعرفني معرفة لا تزداد الا النظر .

وقال لي : كيف تفقه ذلك ؟ هو ان تقول : ألقى وليّ الله فيزيدني معرفةً بالله ، اسمع علم كذا فيزيدني معرفةً بالله ، انظر الى كذا فيزيدني معرفةً بالله . انما يزيد ذلك معرفةً مَن لا يعرف الله . فانظر اليّ : انا[2] آتي بذلك اليك . لا هو يأتي بي اليك . فاذا رأيتَ ذلك ، لم يزدك شيء في معرفةً ، وجاءتك معرفتي بمعرفة كل شيء ، ولم تعرف[3] معرفتي بشيء .

فاذا قمتَ في هذا المقام ، فقد قمت في حق معرفتي التي لا تزيد الا بكشف الغطاء .

وقال لي : حق المعرفة هو ان لا تنتظر معرفتي ليلاً ، ان كنتَ في النهار ، ولا نهاراً ، ان كنتَ في الليل ، ولا حالاً ان كنتَ في الحال — وهو ان لا تنتظر بها القيامة ولا الآخرة ، فانه [١٤٢ ب] ان بقي عليك من معرفتي ما تنتظره . جاءك الروع والنزع من قبل ما تنتظره ، ولم تأتك المعرفة من قبل ما تنتظره .

١٠ — واوقفني في المعرفة وقال لي :

ان قمت في حق المعرفة ، فانت عارفٌ الله ، وان لم تقم في حق المعرفة ، فانت عارفٌ ما عرفت ، ومعروفُك هو الذي تُضمر به في السرّ . فلا تبال اذا كنت به ، ما فاتك سواه .

١١ — واوقفني فيما خلق . فرأيتُ الحركة والسكون والاختلاف والائتلاف ، وقال لي :

انظر الى هيئات كل شيء ! فنظرت حتى الورقة الملقاة والجدار المائل وحتى القطنة والنواة ، والخوصة والنقمة وما بين ذلك وكل شيء .

---

(١) م : يقف
(٢) م : — انا
(٣) م : يعرف

وقال لي : كم للنواة من هيئة ؟ فقلت هيئة وكذلك لكل شيء ألف هيئة . فمن هيئة النواة . هيئة ملقاها . وهيئة خدّها . وهيئة تلقيها . وهيئة حبلها . وهيئة جلدها . وهيئة لونها . وبي في كل هيئة من ألف هيئة كل شيء لسانٌ فيه علم كل شيء . ينطق بلسان تلك الهيئة . فمن عرف حكمتي في كل شيء . فلا ستر بيني وبينه . انما الستر على من رأى الهيئة ففرق بينها وبين الهيئة في الحكمة الواضعة لهيئة . لا فرقان في الحكمة [١٤٣ أ] الواضعة . بلى ! فرقان في الحكمة المرتبة .

وقال لي : اطرد عقلك عن الحكمة المرتبة . فنيها مقدم ومؤخر . وتقول « لمَ » و « كيف » فتعترض : وسُقْه الى الحكمة الواضعة : فاذا ثبت لها . لم يختلف في الحكمة المرتبة .

١٢ — واوقفني في الموقف . فرأيتها نارًا لأني رأيت نور حضرته لا يطلع عليها .

وقال لي : كل ما لا يطلع عليه نوري ففي النار .

وقال لي : اذا رأيتني . فكل موقف نار ، واذا لم ترني . فكل موقف نور .

١٣ — واوقفني في ادب المعرفة وقال لي :

ليس هو ان يتعلم الاقبال . هو ان يتعلم الانصراف . لان الاقبال من صفتي والانصراف من صفتك . فما كان من صفتي ، فانا آتيك به : وما كان من صفتك . فالادب فيه هو فريضة المعرفة عليك .

١٤ — واوقفني في العمل وقال لي :

وزنتُ اعمال العاملين ، فما وفت كلها بمعرفة أدناهم معرفةً . فبقي فضل المعرفة فارغ لا عملَ فيه . فاظهرتُ منه النعم . ففضل المعرفة فارغ لا عمل فيه ، والنعم فوارغ من العمل .

وقال لي : خوف الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين من الفضل الفارغ [١٤٣ ب] لا يدرون أبدي منه حجةً او عذرًا .

١٥ — واوقفني في الصمت وقال لي :

ان لي[1] عبادًا صامتين رأوا جلالي[2] . فلا يستطيعون ان يكلموه ،

(١) م : — لي
(٢) م : لجلالي.

ورأوا ببالي . فلا يستطيعون ان يسبّحوه . فلا يزالون صامتين حتى آتيهم فاخرجهم من مقام صمتهم اليّ . فمن صمت عنّي ؛ فهو عبدي الصامت .

وقال لي : أصمتُ لي ما استطعت . تكن أوّل من يُدعى اليّ اذا جئتُ .

وقال لي : عبدي الصامت أتلقاه قبل موقفه وأشيّعُه[1] الى داره .

١٦ — واوقفني في النطق وقال لي :

ان لي[2] عبادًا ناطقين ما كلموا سواي . ولا يكلمون . فمن كلّمني ولم يكلم سواي . فهو عبدي الناطق .

وقال لي : كلّمني ولا تكلّم سواي ما استطعتَ : أجعل لك شفاعةً .

١٧ — واوقفني في النطق والصمت تارة وتارة وقال لي :

ما وقف فيه ناطق ولا صامت . فمن نطق وصمت فهو من اهل معرفتي التي عنها نطق وصمت .

وقال لي : بين النطق والصمت برزخ فيه قبر العقل وفيه قبور[3] الاشياء .

١٨ — واوقفني في محادثته واوقفني في رؤيته وقال لي :

انما أحادثك لترى : لا لتُحادثَ . وانما اقول لك : هذه رؤيتي ؛ تتبيّن في [١٤٤ أ] معرفتي : لا تدلّ عليّ من لم يرني : ان هداي ليس في يدك ؛ ولا لتُدخل عليّ من رآني : ان الذين أريتُهم تنشئ ؛ اولئك قلوبهم عندي . فاذا حادثتُك ؛ رأيتَ . فاذا رأيتَ ؛ فلا حديث !

١٩ — واوقفني في التقلب المستقرّ وقال لي :

هي قلوب الحضرة ؛ لا تنقلب بالخواطر لأنها رأتني قبل « كن »[4] فلما جاءت « كن » وجاءت الخواطر . أوقفتها في مقامها الذي جاءت منه ووقفت هي في مقامها الذي أخبرتُها فيه عن مجيء « كن » .

٢٠ — واوقفني في العلم وقال لي :

العلم كله لا يحملك ولا يحمل بابك : فلا تدخل اليه . فانّك ان

(١) م : او اشيعه (sic)
(٢) م : — لي
(٣) م : قبول
(٤) م : — كن

دخلت اليه : حملته . قال اين تحمله ؟ اليّ ؟ تأكلك وتأكله ناري التي حطبها علم العالمين . اليك ؟ يأتك بمعلوماته فيتامر عليك تارة وتتامر عليه تارة . اذ ذاك : فما أنت مني ولا انا منك . ثم يجيء العلم فيقف موقفه بين يدي . يسألني[1] الحكم له عليك . ليمّ حملته . وتلبثُ انت لا موقف لك .

٢١ — واوقفني في غربتي وقال لي :

قل لكل علم وقل لكل عالم : لا تعلم علمي ولا تفهم فهمي ولا يقوم شيء في [١٤٤ ب] مقامي .

فمعرفتي هي الله عز وجل . به عرفتُ كل شيء . ومعرفتي بكل شيء معرفة الجواز والعبور . جزتها الى معرفتي التي تحملني ولا احملها وتقوم بي فلا استقيم الا بها . وهي مقامي بين يدي الله عز وجل . فلا مقام لي في علم ولا معرفة . انما أعبره : فمعرفتي به معرفة العبور . لا معرفة الثبات . وما عرفتني الا ما شاء معرفة العبور . لا معرفة الثبات — ولو عرفتني معرفة العبور لانقطعّ عني من نورها كما قطع عليها من نوري .

وقال لي : كيف تجوز العلوم وكيف تعبر المعارف ؟ لا تستمع فتجيب ، ولا تلتفت فتفارق ! فاني قدّام كل شيء اليك .

٢٢ — واوقفني في العافية وقال لي :

ألقِ إليّ كما ألقيتُه اليك وقف بين يدي . لا معك ما أسررتُ به اليك ولا معك ما اعلنتُ به اليك . انت اكرم عليّ مما قلتُ لك واقول : فكيف تحمله إليّ ؟ وانت أعزّ عليّ مما قلتّ لي وتقول : فكيف تحمله اليّ ؟ فلا تكن مطية سواي : فيصحبك[2] البلاء وتستتر فيه العافية !

٢٣ — واوقفني في القلوب . فرأيت [١٤٥ أ] قلوب العلم تأوي الى العلم ، ورأيتُ العلم يحتضنها دون ما علمته ، ورأيتُ قلوب المعرفة تميل الى العلم : وهي في المعرفة . وتميل تارة الى المعرفة . وهي في المعرفة . ورأيتها : اذا جاءها العلم : تقف في أقصى ما عرفته . واذا لم يأتها العلم : فعرفتها كلها موقفٌ .

---

(١) م : تسألني
(٢) م : واتلع
(٣) م : فيصحبك

ورأيتُ قلوب آل الله لا تأوي الى شيء ؛ ورأيتُ العلم يأوي اليها ولا يدخلها . ورأيتُ المعرفة تأوي اليها ولا تدخلها .

وقال الله : ان دخلتَ يا علم الى بيتي ؛ جعلتُك فيه جهلاً ؛ وان دخلتِ يا معرفة الى بيتي ؛ جعلتُكِ فيه نكرة .

وجاءت قلوبٌ فقالت : انّا قلوب العلم والمعرفة ! قال لها الله عز وجل : انما انت قلوبُ ما رأيتني فيه ! وان رأيتني في العلم ؛ فانت قلوب العلم . وان رأيتني في المعرفة ؛ فانت قلوب المعرفة . قالت القلوب : فلمَ نسبتْني الى العلم وانا اراك فيه ؟ والى المعرفة ، وأنا اراك فيها ؟ ولم تنسبني الى رؤيتك ، وانا اراكَ ؟ قال لها الله عز وجل : لانك اذا طرحتِ العلم ، لم تَرَيني . واذا فارقتِ المعرفة ؛ لم تريني . فانت من العلم وان رأيتني فيه ؛ لا مني . وانتِ من المعرفة وان [١٤٥ ب] رأيتني فيها ، لا مني .

وقال لها : لو لم تريني في العلم ؛ ما كنتِ منه ؛ ولو لم تريني في المعرفة ؛ ما كنتِ من المعرفة . كنتِ تكوينين منكِ ؛ لا من علم ولا من معرفة .

٢٤ — واوقفني في العتل . فرايته في الحكمة[1] ورأيتُ لكل شيء فيه بيتاً[2] . وقال لي :

بيتي في الحكمة وليس للحكمة باب ولا سور . وهوذا يدخلها الحق والباطل ؛ والحسن والقبيح .

وقد قال لي ربي : قد قلدتك الحكم ؛ فاحكم بما عهدتُ اليك في اقبالك ، ولا تحكم بما رأيتَه في إدبارك . والحكمة في ادباري ؛ وفيه بيتي . وكل بيتي ابواب لا سقف له يظلّه ؛ ولا ارض له تقلّه . فكل شيء[3] يلج عليّ وكل شيء يخاطبني وكل شيء يختصم اليّ وكل شيء يخاصمني ؛ ولي في كل شيء هوىً : لي فيما أحب هوىً ؛ ولي فيما اكره هوىً ؛ ولي في الحق هوىً . ولي في الباطل هوىً . فلهذا لا يردوك في الحضرة . وقد دخلت انتَ في الحضرة وفارقتني انتَ[4] بنور مقامك . ولم أفارقك أنا ؛ لان مقامي فيك . فانت لا تخبرني وانا لا أفقه عنك . فانا بلاك لاني آلتك التي تحوي

(١) م : — فرايته في الحكمة
(٢) ق : بيت
(٣) م : — شيء
(٤) م : — انت

بها على كل شيء . وكل شيء بلاك وليس الاشياء في مقامك . بلى ! آلة الاشياء فيك معطلة . فاذا [١٤٦ أ] خرجت : جاءك كل شيء فقال لك[1] : اعرفني ! وقالت لك الآلة : خذه بي !

٢٥ — واوقفني في النار فرأيتها تأكل العلم والعمل والحكمة والمعرفة والمواقف والمقامات . ورأيتُ العقول في اقبالها حطباً لها . ورأيتُ القلوب في إخلاصها حطباً لها . فحزنتُ ! فقالت لي : ان كنت قد رأيتَ الله . فسوف تأتيني انت بالعلم والعمل والحكمة والمعرفة وتقول لي : هذا حطبك فكُليه . وان كنتَ لا ترى الله . فانتَ حطبي . لا علمُك ولا عملك ولا حكمتك ولا معرفتك .

٢٦ — واوقفني في علمه . فرأيته يشتهي لسبب هو سببه . ويسعد لسبب هو سببه . ورأيته لا يُظهر علمَ ذلك . ورأيته يقلّب الكفر . ورأيته يقلّب الايمان . فصرختُ : يا علم ! قال : مرجعي الى علمه . قلتُ : يا معرفة ! قالت : مرجعي الى علمه . خفتُ ! قال خوفي : لا أجيرك . حزنتُ ! قال حزني : لا أجيرك . قلتُ : يارب ! قال : لبّيك ! قلت : لبّيك ربّ يُسعديك ! قال : ما تريد؟ قلتُ : ثبّتني ! قال : لي او لك؟ قلتُ : لك ! قال : اتبعني بلا علم . قلتُ : ثبّتني ! قال : كن من وراء العلم ولا تدخل الى العلم فتقع وتقوم . ان العلم لا يوقفك بين [١٤٦ ب] يدي . انما يوقفك بين يديه . وانا اخترعتك لي لا للعلم : فلا تقف فيه ولا تقم بين يديه : فانه مفارقك وانت مفارقه : وقف بين يدي : لا افارقك .

٢٧ — واوقفني في المجلس : فرأيت من الملائكة حافّين بالمجلس : لا يؤمرون ولا يحدّثون .

وقال لي : هؤلاء ملائكة الزينة : زينة الله عز وجل . وسع نورهم أنوار كل ملك .

ورأيتُ من الأنبياء مجالسين . يحدثون ولا يؤمرون : ورأيتُ من الأولياء مجالسين : يحدثون ويؤمرون : ورأيتُ بين الأنبياء والأولياء سترًا مكتوب عليه : ستر الأولياء : اذا رُفع حُدّثوا واذا سُدل أمروا !

٢٨ — واوقفني في الهوى وقال :

---

(١) م : — ك

هو رسول من رسل البأس الشديد. فجئتُ بالعلم فقال: اليه ارسلتُه! فجئتُ بالمعرفة فقال: اليه ارسلتُها! فجئتُ بالعقل فقال: اليه ارسلتُه! فجئتُ بالقلب فقال: اليه ارسلتُه! فجئتُ وحدي فقال: اليك ارسلتم! فقلتُ: ما أصنع؟ قال: في الهوى ناري. فاذا جاءك جاءتك فيه. فادخلها! قلتُ: كيف أدخلها؟ قال: لا تستجر بعلم ولا بمعرفة [١٤٧ أ] فيقولان لك: نحن نجيرك! فان استجرتَ بهما، أسرك الهوى وأسرها!

وقال لي: لا يجير الا الله، ولا تخرج من النار بعلم، فتأكلك وتأكله، ولا بمعرفة، فتأكلك وتأكلها، وأقم في النار حتى تأكل منك الجزء الذي يستجير بالعلم وتستجير بالمعرفة. فاذا أقمت في النار وأكلتك النار، جئتُك، فلم تعُد من بعد اليك.

٢٩ — واوقفني في السرّ وقال لي:

لكل شيء سرٌّ: اذا وقفتَ عليه، حملتَه ولم يحملك، ووسعتَه ولم يسعَك.

وقال لي: للعلم سرٌّ وللمعرفة سرٌّ وللحكمة سرٌّ وللعبر سرٌّ وللدنيا سرٌّ وللآخرة سرٌّ. فاذا عرفتَ سرّ الشيء، لم يأخذك عنّي ولا عنك. واذا لم تعرف سرّه، أخذك عني واخذ عنك.

وقال لي: سرّ العلم هو طلب العين المسمّاة فيه، وهو لا يهدي الى العين المسمّاة فيه لأنها سرّه. وليس سرّه في يده فيبذله. انما السرّ وديعة الله عز وجل فيه. فهو يدعو الى ما لا يستطيع اظهاره. وبهذا السرّ يستجاب للعلم في تعلّمه.

وستأتيك علم الخلق. فيه أعيان الخلق وصفات الخلق. فيدعوك الى تعلّمه طلبَ ملك [١٤٧ ب] الأعيان وملك الصفات. فالعلم لا يظفرك الا بالعلم، وتبقى الأعيان وصفات الأعيان لا تنال بالعلم.

وستأتيك علوم الربّ، تدعوك الى الربّ. والربّ لا يُظهره علمٌ ولا يستره، ولا توصل الى معرفته العلوم. فانت تستجيب لكل علم دعاك بذلك السرّ وهو طلب العين المسمّاة. فاذا علمتَ ذلك، لم تستجب للعلم واستجبت لله، وصار العلم طريقاً من طُرقاتك الى الله، وأخذتَ العلم به ولم يأخذك لانه كان يأخذ منك بالسرّ فيه وانت لا تعلمه. فلما صار السرّ الذي فيه فيك، أتاك على علم بك وأتيتَه على علم به.

وقال لي : السرّ في المعرفة رؤية المعروف . والمعروف لا يُرى بالمعرفة ؛ انما يرى به ويدعو الى رؤيته بالمعرفة . فاستجبتُ لي : ائتني المعروف الذي دعوتَ بالمعرفة . فاذا جاءتك ، فادخلها بي . ثم الابواب التي فتحتُ فيها ليّ . فتلج في أبوابي ، فتصل اليّ . فتكون المعرفة عتبة بابك الذي ولجت فيه ولا يدخلها بك ، فترى الابواب التي فتحتها في المعرفة الى العلوم . فتلج فيها . فتخرج من المعرفة .

ان المعرفة ذات بابين : بابٌ اليّ وباب [١٤٨ أ] الى كل شيء . فمن دخل ليّ . كانت المعرفة جواده . ومن دخل الى المعرفة ، خرج بها الى كل شيء : وكانت زلفةً[1] .

وقال لي : العلوم بيتٌ والمعرفة طريقي في ذلك البيت . فمن سلكه اليّ ، خرج اليّ وكان نقياً من نقباء الطريق ؛ ومن سلكه الى سواي . خرج الى البيت . لا اليّ .

وقال لي : قف بين يدي . تكن المعرفة نوراً من انوارك ومتحدثاً من متحدثات حجابك . لا حديث لك بين يدي : انا احادثك ! ولا نور لك بين يدي : انما نوري عليك !

وقال لي : من وصل اليّ ، فلا انساب له في العلوم ولا انساب له في المعرفة . انما المعرفة تُنسب الى مقامه . لا اليه ، وانما العلوم تنسب الى مقامه ، لا اليه .

وقال [لي] : قل لعارفين : من عبر منكم المعرفة . فليدعُ اليّ . ومن لم يعبر منكم المعرفة ، فلا يدعُ اليّ . أيدعو اليّ وهو في الطريق اليّ ؟ فاليه دعا ، لا اليّ ! انه ما وصل اليّ وبين يديه طريق اليّ .

وقال لي : المعرفة بحر الله الذي لا تخضّه السواحل ولا يحتمله التصور : سفائنه كل العلوم وسفاينه كل الافكار . سفائنٌ لا تخرج . لانه [١٤٨ ب] لا ساحل له ، ولا ترسب فيه . لانه لا قعر فيه . فهي سائرة لا تستقر فيه . فمن ركبها سار فيه ولم يسر عنه .

وقال لي : السرّ في العمل ، حصول الآخرة وبها استجاب العُمّالُ للعمل . ومن إستجابتهم للعمل ، يختلفون فيه ويفترقون عنه . فالعلم مختلفٌ ، ومن استجاب له ، يختلف باختلافه .

---

(١) ولعلها « زلفة » ؟

وقال لي: إطّلع إلى سرّ العمل ! وكشف لي عن صفة من صفاته وقال لي : هذه الصفة معرفة .

وقال لي : إطّلع الى عين عمل العاملين كله : ما جئتهم انا به مما جاءوا به . فرأيتُه كله لا يفي بمعرفة ادناهم معرفة . لانهم بتلك المعرفة عملوا ؛ ليس بذلك العمل عرفوا .

وقال لي : اذا عملت لي ؛ فاطّلع في هذا المطلع ، تكن لي ؛ واقول لعملك : انا بينك وبينه . انما سمع مني فيك ، ولم يسمع منك فيّ .

[١٦٧ أ] ٣٠ — واوقفني مولاي في رؤيته الكبرى وقال لي :

يا صاحب الرؤية ويا جليس الله ! أين مقامات الاولياء ؟ وأين مواقف الواقفين ؟ انظر اليّ كيف بنيتُ الحجاب وكيف بنيتُ فيه كل مقام وكيف بنيتُ فيه كل موقف ! انظر ! هذه حجب العيون ؛ ثم انظر ! هذه حجب[1] القلوب . فرأيتُ الملك والملكوت حجبَ العيون ، ورأيتُ العزة والجبروت حجبَ القلوب . فقال [١٦٧ ب] لي :

اول حجاب تتصل اليه الرؤية ؛ حجاب الانصبات . تنصت لله : فانصباتك له حجاب ، وفي ذلك الحجاب الف مرتبة ؛ كل مرتبة منها حجاب . لكل حجاب الف علم ؛ لكل علم رؤية ؛ يقصرك عليه ولا يجيرك منها ولا يجيرك منه . فانّ الانصات لله ينفصل الى حجاب انصت لله . كذلك انصت في مراتب مراتب الانصبات .

وقال لي : كيف تصمت ؛ لا تفكر . كيف تنصت ؛ لا تهم . قلتُ : مولاي ! كيف لا افكر ؟ مولاي ! كيف لا اهمّ ؟ قال لي[2] مولاي : اذا رأيتني فقال كلّ شيء : لِمَ تفكر ؟ واذا رأيتَ الاشياء فعلي ولم ترني . فكرتَ . واذا فكرتَ . جاءتك نفسك فقالت لك : هذا فعله وهذا فعلك . فاذا أرتك الفعل — ولا فعلَ — انفصلتَ . واذا أرتك الفرق — ولا فرقَ — انفرقتَ . واذا انفصلتَ وانفرقتَ . جئتَ اليّ تناظرني وتحتج عليّ . فانظر الى فعّال كل شيء ولا تنظر الى علم هذه الفعلانية ؛ تصمت لي ولا تفكر . انما العلم اذا جاءك . جاءك الفكر .

وقال مولاي : اذا رأيتَ الفعل والفعلانية من وراء ظهرك ، لا من

---

(١) ق : حجاب
(٢) ق : — لي

بين يديك . ورأيت ليس بيني وبينك اثنان ، ولا بيني وبينك فعلانية [١٦٨ أ] لم تهم .

وقال مولاي : لي في الأقوال رؤية قولانية . ولي في الافعال رؤية فعلانية . ولي في العلوم رؤية علمانية . ولي كل شيء رؤية قيومية . وكل رؤية تقصر من رآها على ما رآها فيه . فان رآها في العلم . قصرته عليه . فلا تجره منه . ولو أجارته منه . لفارقه وفضّ عنها . لا عنه .

وقال لي : ان صاحب الرؤية القولانية يراني اذا قال — وهو من رؤيتي على خطر . وان[1] صاحب الرؤية العلمانية يراني اذا علم — وهو من رؤيتي على خطر[1] . قلتُ : مولاي ! ما الخطر ؟ قال : لا يدوم له القول . وما يقول دوامٌ . ولا يدوم له العلم . وما يعلم دوامٌ . فاذا فارقه ما رأى فيه . فارق الرؤية . فهذا هو الخطر : يفارق القول ويفارق الرؤية ويفارق العلم ويفارق الرؤية .

وقال لي : صاحب القولانية يراني اذا قال . ولا يراني تلك الرؤية اذا صمت ! فرؤيته التي هي حقيقته . في قوله . وحقائق قوله في صمته . لا في قوله . وانت ترى ذاك وهو لا يراه . لأنك تراني لا في قول وتراني لا في فعل وتراني لا في علم وتراني لا في عمل . فانت صاحب الرؤية الكبرى : ترى الله [١٦٨ ب] ، لا ستر بينك وبينه . ان القول ستر في الرؤية . وان العلم ستر في الرؤية وان العمل ستر في الرؤية . وان لي عباداً يرونني من وراء الستور .

فاذا رأيتني لا من تحت ستر . واذا رأيتني لا من تحت اسم : فقد رأيتني رؤيتي الكبرى .

وان لي عباداً لا يستطيعون هذه الرؤية لاني ارفع الستر ولا أوذنهم ستراً رفعتُ . وارفع الاسم ولا أوذنهم اسماً رفعتُ . فلا يمكنون على رفع الستر والاسم . قلتُ : مولاي ! ما الستر وما الاسم ؟ قال : الستر والاسم قولٌ يراني فيه . وعلم يراني فيه . وحرف يراني فيه . وخوف يراني فيه . فاذا رآني ولم ير الستر والاسم بيني وبينه : ذهب عني .

وقال : أثبتْ ! أثبتْ ! فيا صاحب الرؤية الكبرى . ادركْ العلمين ! ويا صاحب الرؤية الكبرى . ادركْ الناظرين ! ويا صاحب الرؤية الكبرى :

---

(١) ق : — وان ... خطر

ادراكُ العاملين والواقفين ! انك تراهم في رؤيتهم . وانك تراهم اذا خرجوا من رؤيتهم .

وقال لي : لا مجالسة الا لصاحب الرؤية الكبرى !

وقال لي : المجالسة على عتبة هذه الرؤية ، ومن وراء العتبة باء النصفة عن اليمين وباء النصفة عن الشمال .

وقال لي : اصحاب الرؤية [١٦٨أ] ثلاثة : صاحب أسماء وستر . جليسُ خطر لا جليس ربّ ، يراني في حجاب : فهو جليس ما يراني فيه . لا جليسي — ومفارقٌ للاسماء والستر ، باهتٌ رآني في البيوت : فهو جليس البيوت .

[قلت] : مولاي ! ما البيوت ؟ قال مولاي : يخرج من الاسماء والستر فيراني ، فيطمئن برؤيتي . ولا اقول له في هذه الرؤية ولا يقول لي .

« في نسخة الاصل التي بخط المؤلف رحمه الله تعالى ، بقلم آخر : حتى أخاطبَ بلغاتي مَن أشاء . والسلام » .

[١٦٩ ب] بسم الله الرحمن الرحيم

ومن جزء آخر بخطه رحمه الله تعالى :

اوقفني وقال لي : لا يعلمني الكون . كما لا يعلم ما لا يعلم اسمه ولا وجوده .

وقال لي : أنا أقرب الى الشيء من نفسه ، وانا أبعد من الشيء بعدد ما لا وجود له .

وقال لي : ذكّر بي من جحدني ، كما تذكّر بي من أقرّ بي : فقد رآني كما رآني .

وقال لي : اذا رأيتني ، لم تستتم الا على رؤيتي .

وقال لي : اذا رأيتني . فعين البشرية . لا حكم البشرية . واذا لم ترني ، فعين البشرية وحكم البشرية .

وقال لي : عين البشرية جسد محتاج ، حكم البشرية طبع غافل .

وقال لي : ان داويتَ الحاجة بغفلة ، إزددت حاجة . وان داويتَ الغفلة برجاء ، إزددتَ غفلة .

(١) بخط مختلف

وقال لي : اذا رأيتني . كنتَ بحكمي وكانت النعم عندك أعياناً لا أحكاماً .

وقال لي : ان ظهر عليك حكم الغير ، فأنتَ للغير !

وقال لي : من رآني . كان ذنبه أعظم من الكون عُظْماً . وكان نكاله أقبح من النكال قبيراً .

وقال لي : لا تذنب في كل شيء الا في رؤيتي . فتَفِرَّ اليها ، تجرك مما سواها .

وقال لي : ان فررت اليها تُنعِّم بها ، ردَّتْ عنك كل شيء . وان فررتَ اليها لتعود الى ما فررتَ منه . احرقتْك بنارها [١٧٠ أ] الكبرى .

وقال لي : ان دمتَ في رؤيتي . أوحشتك منك ، كما تستوحش من عدوّك .

وقال لي : كل الاحكام تعلمها ثم تشهدها بقدر ما علمتَ منها الا الأحكام الربانية . فانك تشهدها ثم تعلم عليها .

وقال لي : اذا رأيتني ، صارت العلوم والمعارف حطباً لناري . فان رُمتها ، أحرقتُك بها .

وقال لي : اول درجة من علوم الرؤية ففي الحدثان عن القلب ، سواء بهجته ومعصيته .

وقال لي : العارف تنفّره المعرفة مما سوى الله .

وقال لي : العلم طريقي والمعرفة دليله .

وقال لي : الطريق بلا دليل مضلة .

وقال لي : لا تعرف أو تردّ هواك ، ولو جاءت به يدي .

اوقفني وقال لي : الاظهار كله حدود . والحدود كلها صور . والصور كلها أجناس ، والأجناس كلها أشباه ، والأشباه كلها أضداد . والاضداد كلها تأتلف وتختلف . فتلافيها من قبل الاشباه ، واختلافيها من قبل الضدّية .

وقال لي : الاظهار حجابي ، وللاظهار بواطن هي حجابي . وللبواطن مبالغ هي حجابي . وللمبالغ نهايات هي حجابي . وللنهايات غايات هي حجابي . وللغايات ادراك هي (Sic) [١٧٠ ب] حجابي . وللادراك علوم

هي حجابي ؛ وللعلوم أقسام هي حجابي . وللاقسام احكام هي حجابي . وللاحكام محكومات هي حجابي . وللمحكومات متعلّقات هي حجابي ؛ وللمتعلقات معتقبات هي حجابي . ومن وراء المعتقبات أمري وهو حجابي .

وقال لي : حجبي التي تنقال جزء لا يتجزأ من حجبي التي لا تنقال . والسلام .

موقف في التثبيت

اوقفني في التثبيت وقال لي :

اذا بدت آية ؛ فاشهدني فيها . فاذا شهدتني ، فاذكرني . ولا تذكرني في مباديها من قبل ان تشهدني فيها ؛ تخطفك وتخطف ذكرك !

وقال لي : اشهدني في الآية البادية . فان شهدتني ، فسيعترض عليك علم الآيات غيرها . فتدعوك كل آية إلى ان تشهدني فيها كما شهدتني في الآية البادية . فانبذ الآيات المعترضات نبذ الخاطر ولا تتحيل من رؤيتي في الآية البادية الى رؤيتي في آية لم يبدُ حكمها : تحرقك البادية ولا تُجيرك الخافية !

وقال لي : اذا بدت الآياتُ الأرواعُ ؛ فلا تشهدني في آية دون آية : يقوم بك ما تشهدني [١٧١ أ] فيه ؛ لانه لا علم لك بقوى الآيات بعضهن على بعض . ولكن اشهدني في الابداء . لا في أعداد الآيات . فاذا شهدتَ ذلك ؛ ثبتَّ بما شهدت وكنتَ في ثبتك بالمعنى الذي هي عنه في الابداء والتقليب ؛ فلم يخطفك معنى انتَ به ؛ ولم يستأصلك حكمٌ انت عليه .

وقال لي : لا تشهدني ابدًا بمعناك ؛ لان معناك لا يحمل الا معناه ؛ وانما تشهدني باشهادي .

من خطه رضي الله عنه . بسم الله الرحمن الرحيم . نسخة دفتر لطيف كتبه[1] بالنيل في شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثمانمئة .

---

(١) كتبة (sic)

موقف البينة

اوقفني في البينة وقال لي :

اذا رأيتني في شيء . فروِّيتي بيتُه : واذا لم ترني فيه . فلا بينة له .

وقال لي : ما انا بشيء ولا في شيء . وانما أشهدك آثار قيوميّتي في الأشياء . فانت لا تشهد مشهودًا الا في شيء . فأنتني وصفك لا وصفي، وألقى لك لا لي .

وقال لي : ان وُجدتَ بي . رأيتَ البينة : وان رأيت البينة . اجريتَ العلم والجهل مجريً واحدًا .

[١٧١ ب] وقال لي : لا يُجري العلمَ والجهل مجريً واحدًا الا عالم ذلّ له العلم .

وقال لي : لا يذلّ العلم من اعتمد عليه . ولا يعتمد عليه الا منتقر اليـــه .

وقال لي : لا يفتقر الى العلم من رأى معلّمه ولا يستقر على المعرفة من رأى معرّفه .

وقال : عزّ العلم مطالبتُه . ولا يزال يطالبك ما رأيته ولم ترني . فاذا رأيتني ولم تره . طالبتُك انا في وطالبتُك له .

وقال : البينة ما لم يبدُ ورآه مصدق ولا مكذب .

وقال لي : اذا بدت البينة فهي البادية وهي الخافية .

وقال لي : استجر بعلمي من غلبته واستعذ بفضلي من فتنته .

وقال لي : علمي يقطعك عني وفضلي يصرفك عني . فكن بي . أبدي لك بلا سبب حكومةً تبدو في كل سبب . فتحمل كل شيء ولا يحملك، وتسع كل باد ولا يسعك .

وقال لي : البينة ما هي قول وهي في القول : وما هي علم . وهي في العلم : وما هي معرفة : وهي في المعرفة .

وقال لي : البينة لا تميل ولا تستميل .

وقال لي : اقررتُ كل شيء على معرفة هي مبلغه . فرماه الاقرار الى مستقره : فنامت عين علمه وطويت صحايف ما بيني وبينه .

وقال لي : البينة وجود [١٧٢ أ] ما لا يعدمه العدم .

وقال لي : ما في البينة غطاء ولا للبينة وراء .

وقال : البينة ما تعرفتُ به في رؤيتي ، والمعرفة ما تعرفتُ به في غيبتي . فالمعرفة لسان بيّنتي ، والبينة لسان قيوميّتي .

وقال لي : اذا رأيتني ، فلا بينة تبين ولا معرفة تستبين .

وقال لي : الصمت عن احكام البينة ، والنطق من احكام المعرفة .

وقال لي : معرفة المعرفة هي المعرفة !

بسم الله الرحمن الرحيم .

موقف الاشارة

اوقفني في الاشارة وقال لي :

هي منك ، لا تهدي ولا تهتدي .

وقال لي : فات وصفي الاوصاف ، فلا هو كما يلغت بل كما أحاط .

وقال لي : المعرفة التي تخرجك في النطق عن الوجد بي إشارة .

وقال لي : اذا لم تخرج في النطق عن الوجد بي ، عرفتَ الاشارة .

وقال لي : ان لم تسمع نعيمي ، لم تحمل حكمتي .

وقال لي : لا تسمعه حتى تراني أنعم به .

وقال لي : اذا رأيتني في البلاء ، فنبه رأي عموم الرائين . وان رأيتني في النعيم صلحتَ للأبد ولم تغب بالبدايات .

وقال لي : ان رأيتني ، لم تنجك الا رؤيتي . وان لم ترني ، لم ينجك الا الاخلاص لي [١٧٢ ب] .

وقال لي : ان رأيتني ، رأيتَ ما من التراب كالتراب . فان خاطبتَه ، فخاطبْ ما منه .

وقال لي : ان خرجتَ من علمي ، وقعتَ في العلوم . فلا علمي علمتَ ، ولا علومك جاءت بك اليّ .

وقال لي : إذا رأيتني فذكرتني ، فاوقتني .

وقال لي : كل ما سواي يجمعك ذكرُك له عليه .

وقال لي : من رآني . لم يغض . ومن لم يغض . لم ينم ، ومن لم ينم ، رآني . ولا يراني من ينام .

وقال لي : لا يؤدي [إليّ] الا من رآني . ولا يخلفني الا من يؤدي إليّ . ولا يعرفني الا من يخلفني .

وقال لي : قد رأيتني قبل الشيء . فاذا رأيتني في مجيء الشيء ، فاخلفني على الشيء ، والا استخلفك الشيء على الشيء .

تمّ نسخ الدفتر المكتوب بالنيل .
والحمد لله رب العالمين .

حول ما كتبه اللبنانيون في ديار الاغتراب (تابع)

بقلم الدكتور جميل جبر

يعقوب صروف (١٨٥٢ – ١٩٢٧)

رغم العمل الصحفي الشاق انصرف يعقوب صروف الى الترجمة والتأليف فعرّب بعض روائع الادب الغربي ووضع عدة روايات منها « فتاة مصر » و « فتاة الفيوم » و « امير لبنان » كان ينشرها فصولا في « المقتطف » متخذاً من القصة التاريخية ذريعة لدرس احوال عصره . وادخل الاسلوب العلمي الواضح الموجز في الكتابة . وفي هذا يقول انستاس الكرملي « كان الكاتب عندنا اذا كتب في موضوع صدّر كلامه بمقدمة طويلة عريضة وختمه بمؤخرة اطول من ذنب الطاووس . اما صروفنا فكان يهجم على الموضوع ولا يتركه الا بعد ان يوفيه حقه من البحث » . كان صروف يتوخى السلاسة على اقتصاد في التعبير وبعد عن التكلف كما يشهد هذا المقطع :

« و « الزهرة » فلكها داخل فلك الارض كعطارد ، فاذا كانت الى الجهة الشرقية من الشمس فهي نجمة المساء وتغرب بعد الشمس . واذا كانت في الجهة الغربية من الشمس فهي نجمة الصباح وتطلع قبل الشمس واذا كانت في الاقتران الاسفل فقد ترى شامة سوداء على وجه الشمس او لا ترى مطلقاً . ويظهر من بعض الارصاد ان لها جوّاً يحيط بها تلويحا بالغيوم حتى تتعذر رؤية سطحها من ورائه . وقد ادعى البعض انهم رأوا لها قمراً يدور حولها ولكن الارصاد الحديثة نفت ذلك او لم تثبته » .

وفي الحقل العلمي برز الطبيب شبلي الشميل الذي وضع اطروحة بالفرنسية عنوانها « تحولات الحيوان والبشر تحت تأثير المناخ والغذاء والثقافة » واسس مجلة « الشفاء » سنة ١٨٨٦ م وقد اشتهر في نشره افكار دروين في النشوء والارتقاء واهم ما كتبه « فلسفة التطور » وهو كتاب اكد فيه وحدة القوة والمادة .

قابل صروف بين طريقته العلمية وطريقة الشميل فقال :

« اساس الفرق بيننا في الامور العلمية والاجتماعية انما نحن نميل الى

الخلق وزى ان يذكر كل امر بما يستحقه من الاحتمال او الترجيح او التحقيق اثباتاً كان او نفياً مشفوعين بما اثبته في العلوم الرياضية التي تعلمناها وعلمناه . اما هو فلم يدرس العلوم الرياضية وكان حاد الذهن سريع التصور فيبادر الى مجاهرة بما يعتقده صواباً ولو خالف المألوف ولم تقم أدلة ساطعة على تأييده » . لكنه يستدرك فيقول : « كان نابغة في التعليل نابغاً في اكتشاف الحقائق ومن ثم كان من مشاهير الاطباء في التشخيص كأنما كان يوحى اليه » .

ولم يكتف شبلي الشميل بحقله العلمي بل كتب في السياسة وحرية الفكرية وطالب باطلاق حرية التعبير لان القلم على حد قوله ما هو الا عضو نفسي متمم لأعضاء الانسان الطبيعية . اما القضايا الاجتماعية فكان ثورياً في معالجتها . ومن اقواله : « ان حكومات الشرق هي التي ساعدت على فساد الاخلاق . الفرق بين حكومات المغرب وحكومات المشرق هو ان تلك تحكمها شرائعها وهذه تحكمها ملوكها وان تعدلت الاحكام في بعض ممالك الشرق اليوم فما تعديلها الا صورة لا معنى . فان ملوك الشرق ما زالوا فوق شرائعهم » .

اديب اسحاق (١٨٥٦ – ١٨٨٥)

نزح يافعاً الى وادي النيل فاتصل بجمال الدين الافغاني وتأثر بآرائه الاصلاحية . تولى تحرير صحيفة « التقدم » وهو لما يجاوز السابعة عشرة فتميز بانشائه الرقي على الناقة وانشأ فيما بعد مجلة اسبوعية اسمها « مصر » في القاهرة كانت منبراً للافغاني ؛ ثم نقلها الى الاسكندرية . وأنشأ مع سليم النقاش جريدة يومية اسمها « التجارة » كانت تنتقد الحكومة بدون تحفظ فعطلتها السلطة وذهب اديب اسحاق قاصداً الى باريس حيث اسس صحيفة « القاهرة » وهناك تشبع من افكار الثورة الفرنسية . ولما رفي عنه في مصر عاد اليها واستأنف العمل في صحفه .

يوم اصدر اديب اسحاق صحيفته في باريس كتب : « هذه صحيفة « مصر » فواها الاستبداد فانت شهيدة ثم احيتها الحرية فعاشت سعيدة . حاول احدهم (رياض باشا) اطفاء نوري والله الا ان يتم نوره وان كره الظالمون . اماتني بدعوى الحرص على الخواطر ان اثيرها الى الفتنة بل خاف ان اكشف الحجاب عن حقيقة احواله فزعم اني ناصبته الشر نثرة منه وتشيعاً لسواد . وما انا في شيء من ذلك . فاني اعز نفساً واتبل قصداً من ان

تستميلني الاشخاص ؛ وانما اميل مع المقاصد . فما كان منها ملائماً للمشرب الذي احسبه حقاً ، فذلك من دون المشارب مشربي وما كان مغايراً للمبدأ الذي اراه عدلاً رميت به من حالق رمي حانق . وانا تحت سماء الانصاف على ارض الراحة بين اهل الحرية اذكر اني قومي في مجالس الظلمة وتحت سياط الجلادين فانوح نوح الثاكلات واري علائم النعمة في معاهد المساواة فاذكر شقاء سربي في ربوع الظلمة فأذرف الدمع ممتزجاً بسواد القلب » .

« رأيت من الواجب علي ان اصرف العناية والاجتهاد الى تهذيب العبارة وتقريب الاشارة لتقرير المعنى في الافهام من اقرب واعذب وجوه الكلام وانتقاء اللفظ الرقيق للمعنى الرقيق متجنباً ما كان من الكلام غريباً وحشياً او مبتذلاً سوقياً . فان اتحاف على الغريب عجز وفساد التركيب بالخروج عن دائرة الانشاء داء اذا سرى في القراء والمطالعين ادى الى فساد عام واغلق على الطلبة معاني كتب العلم . والتنازل الى إلتقاط العامة يقضي بإماتة اللغة وضياعة محاسنها »[1] .

هذا هو الدستور الكتابي الذي رسمه اديب اسحاق لنفسه فبقي وفياً له في بحوثه وقد اراد ان يعتمده كذلك الكتّاب المجددون لان منهم من فهم بالتجديد خروجاً على اصول اللغة . ومن اهم القضايا التي تصدى لها اديب اسحاق في بحوثه قضية تأخر الشرق بالنسبة للغرب وقد عزا اسبابه الى استبداد زعمائه وفي هذا يقول : « قضى على الشرق بجهل عامته واستبداد خاصته وخيانة زعمائه وتعصب رؤسائه ان يهبط بعد الارتفاع ويذل بعد الامتناع ويكون هدفاً لسهام المطامع والمطالب تعبث به ايدي الاجانب » . بهذا الانشاء الرنق المسجع الوجيز يعبر بسطر واحد ما كان اسلافه يعبرون عنه بصفحات . الا ان اديب اسحاق وان سار على النهج الاصولي من حيث سلامة الجملة وصحة التعبير فانه ما كان مقلداً في المعاني ولا حتى في المباني وكان حرباً على التقليد الاعمى في كل مجال .

بيد ان اديب اسحاق تلميذ الثورة الفرنسية البار ما كان حتى في حمى تمرده الاجتماعي ليقضي على الحنين في نفسه الى موطن احلامه لبنان . وما قاله فيه :

« ومن فوق ذلك جبال لبنان تستهزئ بعاديات الزمان لزم رؤوسها الشيب فازدادت جمالاً تنادي لسان حالها رب زدني كمالا فكان في حاميها

(١) في باريس كتب في الصحف الفرنسية عن السياسة المصرية خاصة والشرقية عامة .

الشتاء وفي عنقها الربيع وفي قلبها الخريف وتحت اقدامها الصيف . والبحر من وراء ذلك يخدجها بعينه الزرقاء : فترده صخور السماء . فيعود راغباً واجداً : مزبداً حقداً يدفع سابق موجه اللاحق انكساراً كمن هزم الجيش فارتدت طلائعه فراراً » .

الصورة الخصبة في بيان بليغ كانت الوسيلة الاولى التي يلجأ اليها اديب احداق في التعبير عن افكاره في جميع المواقف . وقد حذا الكثيرون حذوه من بعد .

جرجي زيدان (١٨٦١ — ١٩١٤)

سافر الى مصر سنة ١٨٨٤ ليكمل دراسة الطب التي بدأها في لبنان . فانصرف اول الامر الى الشؤون العلمية الصرف ثم استهوته الصحافة اليومية فحرر في جريدة الزمان نحو سنة عاد بعدها الى بيروت وألف كتابه « الالفاظ العربية والفلسفة اللغوية » ثم رجع الى مصر وعمل مديراً لادارة « المقتطف » واسهم بتحريره . ثم اصدر « الهلال » . كما ذكرنا ، الذي عاش معه ٣٢ سنة وما زال مستمراً حتى اليوم .

كتب في آداب اللغة العربية والتمدن الاسلامي ووضع تاريخ مصر الحديث في مجلدين والتاريخ العام عن ممالك آسيا وافريقيا . وتاريخ العرب قبل الاسلام . ووضع عدداً كبيراً من الروايات التاريخية التي ترجمت الى عدة لغات فكان ينقل بعضها فصولا متسلسلة في مجلته ناهجاً فيها نهج مواطنه جميل مدور في روايته عن عهد هارون الرشيد ونهج الاسكندر دوماس الاب . وقد استوحى مواضيعه اما من العهود الوسطى والفتح الاسلامي كما في « هارون الرشيد والبرامكة » واما من التاريخ الحديث من عهد محمد علي الى عرابي باشا الى الثورة التركية كما في « الانقلاب العثماني » .

ان له فضل الرائد في تاريخ آداب اللغة العربية وتبويبها في عصور حسب العوامل السياسية التي اثرت في تطورها . انشاؤه سهل واضح وطريقته قريبة من الطريقة العلمية رغم المآخذ التي اخذت عليها . اما في تفكيره فقد تأثر ، شأنه في ذلك شأن معظم طلاب العلم يومذاك ، بنظريات النشوء والارتقاء التي كان شبلي الشميل ينشرها في مصر على غير هوادة . وقد حاول زيدان تطبيقها في درسه تطور اللغة العربية وتراكيبها عبر العصور . وفي هذا يقول : « سارت اللغة سير الكائنات الحية بالدثور والتجدد المعبر عنه بالنمو الحيوي . فالوقوف في سبيل النمو مخالف لناموس الارتقاء . فلا

ينبغي احتقار كل لفظ لم ينطق به اهل البادية منذ بضعة عشر قرناً . ولا بأس من استعمال الالفاظ المولدة التي لا يقوم مقامها لفظ جاهلي . واذا عرض لنا تعبير اجنبي لم تستعمل العرب ما يقوم مقامه فلا بأس من اقتباسه» . وقد سار هو نفسه على هذه الطريقة التي ميزت رواد النهضة في مصر كما في لبنان . اما في درسه اللغة العربية فيعود الى اصلها معتمداً الاسلوب المنطقي الذي اعتمده ابراهيم اليازجي فيدرس تكون الافعال والاسماء والحروف والاشتقاقات والتأثيرات الخارجية عليها بعد اختلاط العرب بالاعاجم . ومن مميزات اللغة العربية في نظره كما في نظر اليازجي الاصوات والاعراب والايجاز ووفرة امكانات الاشتقاق والمرادفات والاضداد .

خليل مطران (١٨٧٢ — ١٩٤٩)

لا تذكر النهضة الشعرية في مصر الا ذكر معها الثالوث الشهير شوقي — مطران — حافظ . وكثيرون من النقاد قدموا خليل مطران على رفيقيه :

التزم خليل مطران العمل السياسي في لبنان . اول شبابه : فأيد الحادث التحررية التي قام عليها حزب تركيا « الفتاة » ضد عبد الحميد . ولما شعر بعزم السلطة على سجنه هرب الى باريس حيث استكمل ثقافته . ثم عاد الى مصر فمارس الصحافة في « الاهرام » واصدر « الجوائب المصرية » ثم « الجلة المصرية » ؛ وكان طيف عبد الحميد ما يزال ماثلاً امام عينيه . فكان هاجسه الاول صحفياً وشاعراً . وما روائعه في الشعر الملحمي سجل نيرون وبزرجمهر الا من وحي الطاغية واليتين بنهايته . وقد عرف كيف يفصل في قصائده المبنى على قياس المعنى بحيث يعبّر الايقاع عن مقاصده بقدر ما تعبر الافكار يسانده نفس خارق :

كل قوم خسالقو نيرونهم قيصر قيل له ام قيل كسرى

كان مرحلة وصل بين القديم والحديث . في جزالة تعبيره وعنفوان الكلمة امانة للتراث الاصولي ؛ وفي تصديه لقضايا عصره مشاركة وشق طريق لمدرسة جديدة . وابرز ما في عطائه الشعري الرائع — فيما عدا شعر المناسبات — سعيه المحموم الى التركيز في بناء القصيدة فاذا هي عمارة متكاملة الهندسة على تناسق ووحدة عضوية لا مجموعة ابيات لا تربط بينها الا القوافي والتفاعيل . وفي هذا يقول الدكتور فؤاد البستاني : « شعر مطران بناء . ولكنه ليس بناء باللبن سهل الانشاء ، سهل الزوال ، لا يدوم على الزمن ؛

ولا يقاوم عناصر الطبيعة . يتبرأ ويتآكل . ويتهافت : اذا ما ضربته الانواء ، واخنت عليه العوادي .

ولا هو بناء بالباطون يصب في قالب واحد ، على وتيرة واحدة . فلا تنوع . ولا ابتكار . انما هو بناء صعب المراس . وافر التكاليف . بناء بالحجر الصلد السليم المقلع . المنصوب المكسر . المنحوت الصفحة . يحتل مكانه على تياس . فيلتحم برصيفه مباشرة . لا خلل بينهما تسده حشوة . ولا فراغ تملأه وصلة او رقعة . انما هو صفحة قائمة متماسكة الاجزاء متلاحمة الفروع . كقوله في وصف الجبل الاصلد » :

كثير الثلوم ، كان الذي اذا زل ، يهوي على مبرد

وفي وصف الخلائق المستعبدة تبني قبرًا لفرعون :

صفر الوجوه ، نادياً جباههم . كالكلأ اليابس يعلوه الندى .
محنية ظهورهم ، خرس تخطى كالنمل دب مستكيناً مخلدا

وفي وصف قلعة بعلبك :

هم فجر الحياة بالادبار فاذا مر فيهي في الآثار
والصبا كالكرى نعيم ولكن ينقضي والفتى به غير داري
يغنم المرء عيشه في صباه . فاذا بان عاش بالتذكار
ليس تثار بعلبك سلام بعد طول الثرى وبعد المزار
ووقيت الغناء من عرصات مقويات اواهل بالفخار
ذكريني طفولتي واعيدي رسم عهد عن اعيني متواري .

ولئن حلّق شاعر القطرين في شعره الملحمي فهو لم يقصر ابدًا في شعره الوجداني . فقصيدته « الماء » مثلاً نموذج حيّ لانعكاس الالم الجدي على نفسية الشاعر فاذا كله خيال قلباً وروحاً وجسماً واذا الحنين يعاوده الى حبيبة اودى بها المرض وكانت قد اوحت اليه بـ « حكاية عاشقين » . من خلال ذاتيته تلك ينظر مطران الى الوجود فيراه بلون عنه . كالحاً يئن ويتشاطره الشقاء ، فاذا بالصور الحسية المتعاقبة تعبّر من تلقائها عن أساه :

فكأن آخر دمعة الكون قد مزجت بآخر ادمعي لرثائي
وكأني آنست يومي زائلاً فرأيت في المرآة كيف مائي

وصرف خليل مطران جهدًا كبيرًا في الترجمة المسرحية فعرّب من شكسبير « مكبث » و « عطيل » و « هملت » و « تاجر البندقية » ومن

كورناي « السيد » . وقد أخذ عليه بعضهم وتنيم تعيبه في « الغربال » عدم التقيد الكلي بالنص الاصلي باعتبار انه لم يكن متضلعاً التضلع الكافي من الانكليزية فعرّب عن ترجمة فرنسية آثار شكسبير .

خليل مطران في الشعر ديوان « الخليل » (جزءان) و « النيرونية » و « الاسد الباكي » و « آثار بعلبك » وله في النثر بحث في التاريخ العام (ستة اجزاء) .

فرح انطون (١٨٧٤ — ١٩٢٢)

هرب من ظلم عبد الحميد الى الاسكندرية سنة ١٨٩٧ وحرر في « الاهرام » ثم أنشأ مجلة « الجامعة العثمانية » وشعارها إصلاح الدولة العثمانية . ولما يئس من اصلاح يتم على يد من لا يقوم سلطانهم الا على الفساد غيّر اسم مجلته فصارت « الجامعة » وجعل نزعتها فلسفية سياسية اجتماعية تعمل على نشر الافكار التحررية الغربية ولا سيما افكار الثورة الفرنسية وفولتير وريتان وقد عرّب الكثير من آثار هذين الكاتبين .

مع اصداره « الجامعة » ترجم عن الفرنسية روايات كان ينشر بعضها في مجلته . الا ان عمله الصحفي لم يؤمن له اسباب الحياة على ما كان يتمناها فانتقل سنة ١٩٠٥ الى نيويورك وكانت شهرته قد سبقته الى اوساط المغتربين فيها . وهناك شاء ان يعمل في التجارة والصحافة معاً فاصدر جريدة « الجامعة اليومية » فما حققت امانيه فعاد الى مصر بعد اعلان الدستور العثماني وانصرف الى الأدب السياسي والى الكتابة في المسرح ترجمة واقتباساً وتأليفاً . الا ان بعض ترجماته كان من نوع الدراما العامية الغنائية الرخيصة .

اهم مؤلفاته خمس روايات اجتماعية هي « اورشليم الجديدة » . « سياحة في ارز لبنان » . « المدن الثلاث او الدين والعلم والمال » . « مريم قبل التوبة » . و « الحب حتى الموت » واربع مسرحيات هي : « صلاح الدين » . « مصر الجديدة » . « بنات الشوارع » و « ابو الهول يتحرك » وقد تكون روايته « اورشليم الجديدة » و « الحب حتى الموت » افضل آثاره . ففي الاولى يتناول قضايا اجتماعية وفلسفية ودينية في اطار غرام رومنطيقي وقد صوّر فيها بشكل مؤثر واسلوب بسيط عنوي مدينة اورشليم يوم عيد الميلاد وكان العرب قد فتحوا الشام وحاصروا بيت المقدس .

اما « الحب حتى الموت » التي نشرها بالتسلسل في مجلة « الجامعة » فتروي قصة المهاجر اللبناني الى اميركا في ذلك العهد . وهي من اولى المحاولات الروائية العربية .

بطل الرواية شاب اسمه « اميل » يعزم على السفر فيأتي نسيب له راهب يودعه عند رابية بين البترون وطرابلس (منطقة المؤلف) . ويدعه هناك لانه اراد ان يسافر خلسة الى الولايات المتحدة : فالهجرة كانت محظورة عندذاك . تدور بين الراهب والفتى محاورة طريفة يقول فيها اميل انه عزم على مغامرة السفر لأنه يأبى حياة خانعة في ظل جدران اربعة . وينطلق المسافر من على شاطئ البترون في قارب يدعوه « بالتهريب » الى الباخرة . وفي الفصل الثاني يصف المؤلف مجازفة بطله في نيويورك حيث يجد نفسه غريباً مستوحداً . فما لبث ان عشق فتاة من اصل لبناني تبيّن له في آخر الامر انها اخته وقد سافرت مع امها وهي طفلة فتبنتها رفيقة لها واعطتها اسم عائلتها بعد موت امها .

الفن الروائي قد يكون بدائياً هنا من حيث التحليل والتسلسل لكنه يمهد لنشأة الرواية العربية بمفهومها الحديث .

نجيب الحداد (١٨٦٧ – ١٨٩٩)

عمل في « الاهرام » تسع سنوات ثم أنشأ مع اخيه امين « لسان العرب » في القاهرة ثم نقلها الى الاسكندرية وأسس مع غالب طلبات « السلام » اليومية وكتب في « انيس الجليس » فبرز في ادب المقالة والشعر والمسرحية الشعرية ترجمة وتأليفاً . من اهم آثاره . على قصر حياته . في الشعر : « تذكار الصبا » و« منتخبات نجيب الحداد » وفي النثر « عداوة الآخرين » . « المهدي » ، « غرام الملوك » (مسرحيات) و « العاشقة المنكرة » و « فرسان النيل » و « غصن لبنان » (قصص) و « اديب الملك » و « السيد » و« برنيس» (ترجمات) .

تميز شعره بصفاء الديباجة وقوة التركيب ونثره بالسهولة الممتنعة والطرافة .

طانيوس عبده (١٨٦٩ – ١٩٢٦)

بدأ صحفياً في الاسكندرية فاصدر « الرقيب » مع حنا النقاش فلم تعش . فأنشأ « الشرق » يومية و « الراوي » اسبوعية قصصية . ثم عاد الى لبنان سنة ١٩٠٩ لعل حظه فيه بالنجاح يكون اوفر بعد بريق التبدل السياسي . لكنه نجيب بعد حين ولم ينجح الا في الشعر . لا سيما النكاهي الذي جمعه في ديوان خاص . ورجع الى مصر سنة ١٩٢٦ وتابع ترجمة الروايات وكان قد بدأها في لبنان فكانت حصيلة ترجماته ما يزيد عن خمسين قصة عن

الفرنسية باسلوب ماتع على بساطة . ومن اشهر هذه القصص « روكامبول » و « البؤساء » و « عشاق البندقية » وكان يتوجه فيها الى الجمهور لا الى النخبة، لذلك كان لا يتقيد بالاصل . قال عنه صديقه الاخطل الصغير : « انظر الى الرجل النشيل الشاحب او بالاحرى الى هذا الوجه المخروق بالسويداء جالساً الى طاولة صغيرة عليها كأس من العرق في قهوة « خضراء » وبيده رواية فرنسية يطالع العشرين من صفحاتها دفعة واحدة ثم يضعها جانباً ويتناول اوراقاً وقلم رصاص بطول الاصبع ويأخذ في درز الكلمات درزاً سريعاً فما هو الا نصف ساعة حتى يملأ نحو الخمسين ورقة بحجم الوسط من غير ان يراجع كلمة او يأتي بحركة الا ان يمد يده الى الكأس المرة بعد المرة » .

مصطفى الرافعي (١٨٨٠ — ١٩٣٧)

اصله من طرابلس، ولد وعاش في مصر عيشة رومنطيقية . احب مي زيادة حباً عنيفاً لم يلق جواباً فتركت فيه خيبة الهوى مرارة عنيفة جعلته يكتب بمن وحيها معظم خواطره الشعرية ومنظوماته . من اهم آثاره « رسائل الاحزان » و « السحاب الاحمر » و « حول المرأة والحب » و « وحي القلم » و « ديوان الرافعي » .

فليكس فارس (١٨٨٢ — ١٩٣٧)

نشأ في مصر ومارس فيها الصحافة وكتب شعراً ونشر ديواناً عنوانه « التيارة » وكان يؤمن بان الشعر موسيقى قبل ان يكون أي شيء آخر . وكان لادب المهجر الاميركي اثر في نتاجه . لا سيما وانه سافر فترة الى اميركا واتصل بمغتربيها اللبنانيين . كتب في عدة مجلات ولا سيما مجلة « سركيس » وعرف خطياً مفوهاً ومترجماً قديراً ، لا سيما في ترجمته لنيتشه « هكذا تكلم زردشت » ولموسيه « اعترافات فتى العصر » و « رولا » وكتب روايات اخلاقية منها : « شرف وهيام » و « الحب الصادق » وله بحث ادبي دقيق بعنوان « رسالة المنبر الى الشرق العربي » .

اسكندر شلفون (١٨٨٢ — ١٩٣٧)

نظم شعراً زجلياً في رواياته الغنائية التاريخية مثل « السبايا » التي مسرحها روما القديمة وألف قصصاً اجتماعية فنية اهمها : « صبر العذارى » و « معبد

النيران » . بيد انه اشتهر بنوع خاص في عمله الموسيقي وفي بحوثه عن الموسيقى وكان ينشرها في مجلته الشهرية « روضة البلابل » .

امين تقي الدين (١٨٨٤ – ١٩٤٧)

اسس مع انطون الجميل مجلة « الزهور » في القاهرة فكانت على حق ندوة الادباء والشعراء على اختلاف المذاهب . كان امين شاعراً مطبوعاً تأثر بالرومنطيقية وكتب من وحيها قصائد حنين الى لبنان فضلاً عن الغزليات ومن شعره قصيدته التي لحنت :

الله يا لبنان ما اجملك	واروع الشيب الذي جللك
بين يديك الملك في جاهه	على الثرى او عزه في الفلك
سبحان من خبأ فيك الصفا	وسل من قلب الصفا جدولك
انت نعيم الله في وعده	مثلت بالنعماء من مثلك

مي زيادة (١٨٨٦ – ١٩٤١)

الآنسة مي كما كانت توقع هي ولا شك ابرز اديبات عصرها . ولدت في ناصرة فلسطين ولما بلغت الرابعة عشرة دخلت معهد عينطورة للبنات في لبنان حيث اكملت دراستها . ثم مضت الى القاهرة وكان ابواها قد انتقلا اليها وانصرفت الى التدريس بنبوغ . وفي سنة ١٩١٠ نشرت باكورتها « ازاهير حلم » (بالفرنسية) بتوقيع ايزيس كوبيا . ثم اسهمت في تحرير « اخبار السيدات » التي كان يتولى ابوها ادارتها عند ذاك . فلفتت اليها المثقفين وجعلت من منزلها ندوة ادبية يلتقي فيها ادباء عصرها . وقد وصفت آمي خير هذه الندوة قالت :

« كنا ندخل هذا الصالون من باب عن يمين المدخل . واني ما ازال اذكر المقاعد العربية والكراسي المغطاة كما والنوافذ المعلقة فوق البيانو ، وتلك الزاوية مع المرآة المطعمة بالموزاييك . كان الثلاثاء يوم استقبالها . وكان الزائرون الاولون يفدون حوالى الساعة الرابعة . غير ان ما كانت تستقبلهم اول الامر بل كانت امها تنوب عنها فتقدم القهوة وشراب الورد والسكاير . ثم عندما يضج الصالون بالناس تقبل مي مرتدية لباساً انيقاً على غير تصنع فتجلس قرب من شاءت ان تكرمه ضيفاً على الصالون .

وكان بين رواد هذا الصالون : وهو الاول من نوعه في العالم العربي : لطفي باشا السيد . داود بركات : خليل مطران . انطون الجميل . ولي الدين

يكن . شبلي الشميل . اسماعيل صبري . يعقوب صروف . طه حسين . جرجي زيدان . فارس نمر وخليل تابت .

وكانت اهداف الصالون واضحة . اولا البحث عن اسلوب عربي جديد يتوسط الاسلوب القديم واللغة المحكية ثم محاولة التقارب الثقافي بين الشرق والغرب وخصوصاً خلق مناخ ملائم لتنتج المواهب الجديدة .

كانت مي تشترك في جميع الاحاديث . وتوجه النقاش وكان لها من الذكاء ما يفرض كلامها على الجميع . كانت ترى في احترام الحاضرين لها الامل الكبير الذي يعلقه هؤلاء على الغنج الذي سيفتح امام المرأة الشرقية الحياة الاجتماعية من بابها الواسع ويسمح لها بالتالي ان تسهم في نشاط الرجل » .

كتبت مي في تلك الفترة في ابرز صحف مصر « كالاهرام » و « الهلال » و « المنتطم » و « المقتطف » و « اليروغره » و « الاجبشن ميل » (بتوقيع رأفت خالد) والقت خطباً اجتماعية في المناسبات وحاضرت والتحقت بالجامعة المصرية .

اولعت مي منذ صباها بجبران وقد قرأت « الاجنحة المتكسرة » فاهتزت لها وتراسلا مدة طويلة لكنهما لن يلتقيا . لقد رأت في صاحب « النبي » اكثر من رفيق يسدد وحدتها المعنوية . رأت فيه المثل الاعلى للفنان الشرقي . دعته الى مصر فما استطاع ان يلبي رغبتها فقال معتذراً في احدى رسائله : « اي رجل يستطيع ان يترك بناء صرف عمره بنحت حجارته ونحتها حتى وان كان ذاك البناء سجناً له . فهو لا يقدر او لا يريد ان يتخلص منه في يوم واحد » . الا ان جبران رغم بقائه في نيويورك ظل صديقاً وفياً لمي وموجهاً روحياً لها وقد ظهر تأثيره في كتاباتها الاولى لا سيما من حيث التفكير الصوفي . الا انها ما كانت لتشاطره التمرد العنيف على التقاليد ولا آراءه المتطرفة في « المجنون » و « العواصف » .

واطل الخريف قاتماً على مي وقد مات اهلها واكثر اصدقائها فوجدت نفسها وحيدة اكثر من ذي قبل فساورها نوع من الهستيريا السوداء فعادت الى لبنان تطلب الشفاء وهي ما انقطعت عن زيارته ولا عن السفر الى اوروبة في مواسم الصيف . ثم عادت وقد تحسنت صحتها الى حد ما الى القاهرة لتقضي البقية الباقية من حياتها اسيرة الوحدة والكآبة والمرض .

صرفت مي اهم نشاطها الادبي في الدفاع عن حقوق المرأة . فكتبت سيرة « باحثة البادية » : و « عائشة تيمور » لتظهر الدور الكبير الذي يمكن

ان تقوم به المرأة المثقفة . وكتبت في الادب الوجداني خواطر نشرت بعضها في « ظلمات وشعة » حيث عبرت عن احلامها وآمانيها وآرائها في الحياة والناس وصورت نفسها الغريبة التي تنادي الغريب،لتحصي له الاثقال التي قوست كتفيها وتسبح بكل قواها : « بي احتياج الى الألم . أليس بين الناس من يثقل تعذيبي» ؟ ثم تهيم على وجهها في العالم سائلة عن مصيره « من اين واني اين ؟ »

« والآن اذ اسمع الرياح تعول وتنتحب . والاجراس تطن طنين الغم والكرب . والارغون يعزف الحان التفجع والانتحاب . ثم تتراءى في اودية . وجبال زرعت فيها العظام منا وامتدت الاعصاب . وتنبسط مخيلتي سهول ومروج نفذت من اجسامنا وارتوت بدمائنا . وتفسح حولي اصوات الباكين الحزانى . وتتزاحم امام ناظري جميع مشاهد الفراق — فراق مر يختمه الموت وفراق امر تقضي به الحياة . فأذوب وانضاءل ثم اذوب حيال بحر الشقاء العام حتى البث ذرة واحدة متوجعة متلهفة متضجعة تتوق الى التلاشي والنسيان . اذ ذاك تنتشع عن عاتقي حجب الجبل والانانية . وتلقي في يد الروح الاعظم في فضاء اللانهاية . ويحملني جناحاه قريبا الى حيث اجد الموت حدثاً عرضياً والفناء خيالاً زائلاً . اذ ذاك ينمو كياني ويتعالى ويعظم فيتشوق هواء الحياة الواحدة السائدة في كل مكان » .

كتبت مي بحثاً في المساواة . تطرقت فيه للاشتراكية ومبادئها وجمعت خطبها الاجتماعية في « كلمات واشارات » ودراساتها النقدية في « الصحائف » و « بين المد والجزر » واراءها التوجيهية في « سوانح فتاة » . لقد اقتنت عدة لغات فترجمت عن الانكليزية « رجوع الموجة » وعن الالمانية « ابتسامات ودموع » لماكس مولر وعن الايطالية « نماذج من الشعر الرومنطيقي» . اما اسلوبها الكتابي فرشيق سلس بارز الشخصية غني بالصور : « اني اكره التقليد الذي يشوه المقلد ويمسخ المقلد واحب ان اكون انا انا في كتاباتي » . اما افكارها فكانت مزيج من التقدمية الاجتماعية لا سيما بالنسبة للمرأة ومن الحلولية الصوفية التي اخذتها عن جبران بنوع خاص .

بشر فارس (١٩٠٦ — ١٩٦٣)

قد يكون بشر فارس الاديب اللبناني الوحيد في مصر الذي لم ينطلق من دنيا الصحافة . لقد عاش في قطيعة مع المجتمع فتنسك للأدب وللتعمق

في قضايا الوجود . كان صعباً مع نفسه يمحت ويعتقل . كتب نثراً وشعراً على طريقته الخاصة وترجم وحاضر . من ابرز آثاره :

« جبهة الغيب » وهي احدوثة شرقية : على حد تعبيره ، في خمس مراحل اخرجها بشكل مسرحي يوافق مفهومه الخاص لهذا النوع الادبي . كان يعتقد ان المسرح الذي لا يتحقق فيه نضال الابطال فعلاً وقولاً انما هو مسرح كاذب فاتر . اما موضوعها فما هو الا توسيع لفكرة اقصوصة حوارية له عنوانها « رجل » ظهرت في مجموعته « سوء تفاهم » خلاصتها ما يلي : في زاوية من الارض جبل عسير المنال على رأسه بيت منقور من ناحية السماء : طريقه وعر والتصعيد فيه خدعة الموت . ولم يقو على بلوغ هذا البيت سوى اثنين . وقد عاد احدهما كسيحاً من الاعياء والآخر مكفوفاً . عادا وبين يديهما الابدية . ويدور الصراع حول حرية الانسان الكائن المحدود الذي يسعى الى الخلود عن طريق امتلاك الابدية . لكنه صراع نفس تريد في جسد لا يستطيع : اي صراع مصيره العجز عن بلوغ الهدف وبقاء الانسان كتلة « هموم تحترق » وتترجح بين ارض تشد الى تحت وسماء تشد الى فوق وتبقى عالقة بين الطرفين معرضة لاعاصير الوجود . يقول بشر فارس في هذا الكتاب :

« رأيت صخوراً توشحت بالياسمين . اخذت ترقص دوارة . بين لفتتين غت اليه يصعد . شبح شجرة يبس عودها وفنا . ظل الشبح يسرع من مرقى الى مرقى : تدفعه يدان على مثال يدي : الا انهما من صوان . كان الليل اسود : ولكن في غيابة جفني فز برق . ما كنت اجرؤ على نداته » .

كان يبحث في المعاجم ليرى هل قالت العرب « نحته » او « نحت اليه » فاذ وجد ان الوجهين جائزان اختار اقلهما شيوعاً . ذلك انه كان يأبى ان يستعمل الا اللفظة النادرة .

« مفرق الطريق » وهي مسرحية يعالج فيها مشكلة المرأة الشرقية المحرومة من اطلاق شعورها المكبوت . عنوانها يعني نقطة التقاء العقل والشعور وانطلاق التجاذب بينهما . فيها جانبان : جانب مظلم يقهر فيه الشعور العقل فينحدر المرء : وقد عمي رشده . الى غاية تحترق عندها النفس . وجانب منار فيه يصرع العقل الشعور وينتصر . وموضوع المسرحية وحركتها تنحصران في محاولة البطلة سميرة سبر اغوار ماضيها المخصب . من خلال الحاضر الجاف عن طريق تداعي الافكار والتأمل الباطني . تقول سميرة :

« اني عرفت ذلك السراب بل شربت منه وكان الماء اجاجاً على لذة . واني اود لو ارتشفه مرة اخرى . آه حتى هذا لا يفوتني اليوم . اخب معترك قتلاه الاوهام » .

اما في شعره فكان مغلقاً اكثر منه في نثره وقد تأثر الى حد بعيد بملارميه ورمزيته . تفهمه باحساسك اكثر مما تفهمه بالمنطق . ويعتبر بشر فارس من رواد الشعر الحر الاصيل الذي يشكر لزيف المشعوذين وهو يرى ان مثل هذا الشعر يلتزم امرين : الاول هو العناية بامر التعبير بحيث يكون اللفظ صحيحاً موفور الايحاء . لا قلق فيه ولا انفعال . والثاني . هو الحرص على الجرس الدقيق الخفي بوساطة التنغيم الحاذي للتفعيل العروضي والتجنيس اللفظي بلا استدعاء . وقوام هذا الشعر صورة مسطرة تنضح شيئاً فشيئاً :

وحفيف روحي بذهبي حلق حقل من الفتن
نزهة الارض من سقمي انها اسطورة الزمن

يقول بشر فارس في طريقته الكتابية في الشعر : « اكافح نظرياً وعملياً لأجل رد سيادة القول الى الشعر لانه صاحب كلمة لا مكرر اللفظ . وبين الكلمة واللفظ ما بين اللحم والعظم . الاول يرنم فيه نشيد الحياة والثاني يرن رنة جوفاء اذا ما نقرت عليه . الشعر لا غنى له عن شرارات الثورة » .

ولبشر فارس بحوث عدة منها : « التصوير العربي والاسلامي » و « سر الزخرفة الاسلامية » . و « كيف زوقت العرب كتب الفلسفة والتقنية » . وكتب بالفرنسية اطروحته « العرض عند عرب الجاهلية » . ونشر بحوثاً في دائرة المعارف الاسلامية وترجم « مشرق الطريق » وهي مجموعة قصص وضعها بالعربية الى الفرنسية . ووضع « سوانح مسيحية وملامح اسلامية حول خطوط مزوق من القرن السابع الهجري » وله بالفرنسية قصائد وقصص رمزية .

الباحثون

انصرف الى البحث العلمي والتاريخي والفلسفي في مصر عدد كبير من اللبنانيين نذكر اسمهم :

فؤاد صروف : بعد ان مارس الصحافة في « الاهرام » وتولى « المقتطف » .

حتى سنة ١٩٥٢ مكملاً رسالة عمه يعقوب في العرض المشوق المبسط لشؤون العلم ؛ وادار مجلة « اختار » المقتبس عن « ريدرز ديدجست » ؛ عاد الى لبنان وتولى منصب نائب رئيس الجامعة الاميركية واتحق بالانسكو وهو اليوم عضو في مجلسها التنفيذي[1] . اما في مصر فقد كتب عدة كتب منها « فتوحات العلم الحديث » ؛ « اساطين العلم الحديث » ؛ « آفاق العلم الحديث » ؛ « الفتح مستمر » ؛ « مذبح المريخ » (والمريخ هنا اله الحرب) و « النار الخالدة » الذي تناول فيه مبادئ واصول الطاقة الذرية منطلقاً من قول فريد الدين العطار الصوفي القائل : « اذا فتشت اية ذرة وجدت في قلبها شمساً » . وقد تميز اسلوبه بالبساطة ودقة التعبير واستعمال المصطلحات القريبة الفهم .

نقولا يوسف الحداد : انصرف الى علم الاجتماع والنفس فكتب في المجتمع والديموقراطية وترجم في هذا الحقل وله كذلك روايات يغلب عليها الطابع العلمي منها « آدم الجديد » و « ثورة عواطف » و « الحقيقة الزرقاء » .

يوسف كرم : اشتهر ببحوثه الفلسفية وتعريبه « الفلسفة اليونانية » ودراسته لمختلف حقباتها باسلوب علمي رصين .

محمد رشيد رضا : وقد اسهم مع الشيخ محمد عبده في حركته الاصلاحية وكتب « الوحي المحمدي » . و « انجيل برنابا » وبحوثاً دينية اجتماعية دعا فيها الى التساهل والتطور .

اسعد خليل داغر : كتب في التاريخ ومن اهم بحوثه « تاريخ الحرب الكبرى » وله ترجمات تاريخية متنوعة . وقصة عنوانها « الاميرة المصرية » .

نجيب عقيقي : وهو ما يزال يمارس التعليم الجامعي في القاهرة منذ عهد بعيد . له دراسة في الأدب المقارن ورواية عنوانها « برج بابل » وصف فيها هجرات اللبنانيين الى مصر منذ اواخر القرن الماضي وجعل شارع النجالة وحي الظاهر مسرحين لها . وقد ظهرت له دراسة ضخمة « المستشرقون » في ثلاثة مجلدات رتبها على الحروف الابجدية بحسب البلدان والاشخاص متناولا سيرة المستشرقين من كل بلد واعمالهم محللاً ناقداً واحتوت الدراسة فهارس علمية ومراجع المؤلفين .

---

(١) الف في لبنان عدة كتب لكنها لا تدخل في نطاق بحثنا .

المسرح

اسهم معظم الكتاب اللبنانيين في كتابة المسرحية ترجمة وتأليفاً ، كما رأينا . اما ظهور المسرح العربي في مصر فيرجع الى سنة ١٨٦٧ بعد ان رحل اليها من لبنان سليم النقاش مع بعض عناصر الفرقة التمثيلية التي كان انشأها عمه مارون في لبنان وجاء معه بمسرحياته المنظومة الثلاث : «البخيل»، و «ابو الحسن المغفل وهارون الرشيد» ، و «الحسود» فقدمها اول مرة على مسرح الاسكندرية . وقد عاون سليم النقاش في عمله اديب اسحاق . ثم تركا هذه الرسالة الشاقة ليوسف الخياط فقام بها حتى الحرب الاولى الا ان هذا المسرح استمر بدائياً الى حين ظهور لبناني آخر هو جورج ابيض وكان قد تتلمذ على سيلفان في باريس واسس سنة ١٩١٢ فرقة جديدة استأنفت نشاطها بعد الحرب . وكانت المسرحيات التي تمثل اما مترجمة واما مقتبسة وكثرها مستوحى من التاريخ العربي مثل : «جهاد الاحرار» لانطون الجميل ومن الكتب المقدسة مثل «مثل هيرودس» لعبدالله البستاني صاحب «البستان» . وتنظمت شؤون المسرح بعد ان فتحت له دار الاوبرا ابوابها وتألفت فرقة قومية بادارة خليل مطران .

كاتبات بالفرنسية

ثمة كاتبات لم يكتبن الا بالفرنسية مثل : جان ارقش . التي ولدت في الاسكندرية وتخصصت في الادب والموسيقى وقامت برحلات عدة في الشرق وفي اوروبة واهم ما كتبته وقد ظهر في باريس بين ١٩٣١ و ١٩٣٨ : «عبر في مرآتي» . و «الفرقة العالمية» و «الامير ذو الصليب» . في الكتابين الاولين خواطر شعرية وانطباعات مبتكرة الاسلوب . موضوعاتها تستمدها من اشياء عادية جداً كالنافذة او الغسيل المنشور او حديقة الازهار او طلوع البدر فتنطلق منها الى تأملات عميقة في الوجود والانسان . تقول مثلاً : «القمر يتسلل الى غرفتي ويرتسم في الليل صليباً من الضوء الابيض الميت . اسير بدون ضجيج في غرفتي لا وحدي . حتى بدون هذا الظل الكبير الذي تلقيه الشمس الغاربة على جوانبي . وحدي مع كل الفراغ الذي اورثه يوم طويل عقيم فائر : التي برجلي العاريتين على هذا الشحوب اللاصق بالارض : وعندئذ ينبض العرق خلال الحمى اللاهثة التي تمر . الاقدام ... كلها تغيب في الليل» .

اما « الامير ذو الصليب » فهو سيرة الامير فخر الدين تروي فيها انتصاراته المتعاقبة ولا سيما موقعة عنجر وتصف حنكته السياسية وميله الى البناء وتصور قصر بني معن وتبرز اثر حضارة فلورنسا في تفكير الامير وذوقه الجمالي .

آمي خير : وقد كتبت في حقول متنوعة في الشعر والقصة والرواية والبحث . من كتبها الروائية « ضجة في باب توما » . « سلمى وقرينتها » ، « حداثة برينيس » ، و « اخواتي » وقد تميزت بوصف القرية اللبنانية في جوها الطبيعي قبل الحرب وحياة الفلاح الآمنة وضيافته السخية وتعلقه بالارض كما تميزت بتصوير الريف المصري في بساطة اهله وبؤسهم وظرفهم .

في الشرق العربي خارج مصر

لئن كانت الهجرة اللبنانية الى مصر اتسمت بطابع خاص كما رأينا فتميزت بالعدد والفاعلية فانها لم تنحصر فيها من دون سائر البلدان العربية . وثمة من بلغ تونس والسودان واسهم بالصحافة فيها كما رأينا . وثمة من قصد الى المملكة السعودية كالريحاني والى العراق وفلسطين وسوريا منذ عهد بعيد او قريب .

ففي العراق برز آل الصدر (واصلهم من جبل عامل) في البحوث الدينية ولا سيما فيما يتعلق بالشيعة . ومن علمائهم العلامة حسن الصدر الذي عرف مؤرخاً ومفسراً ومجتهداً (١٨٨٥ـ١٩٣٥) ومن آثاره الكثيرة « تأسيس الشيعة الكرام لعلوم الاسلام » و « تعريف الجنان في حقوق الاخوان » و « وفيات الاعلام من الشيعة الكرام » .

ولمع في بلاد الرافدين الاب انستاس ماري الكرملي وهو من آل عواد (١٨٦٦ـ١٩٤٧) ببحوثه اللغوية المعمقة ودراساته التاريخية . فكانت مجلتاه « لغة العرب » و « دار السلام » ملتقى ادباء العراق . وقد اسهم في حركة الاستشراق وفي نشر المخطوطات القديمة . له اكثر من خمسين مؤلفاً منها : « اغلاط اللغويين الاقدمين » ، و « خلاصة تاريخ العراق » ، و « الفوز بالمراد في تاريخ بغداد » ، و « والالفاظ العربية في اللغة الفرنسية » . و « حكايات في اللغة الدارجة » ، و « العرب قبل الاسلام » ، و « الالوان عند العرب » ، وتاريخ الملابس وتطورها عند العرب » .

اما في سوريا فقد كثر اللبنانيون الا ان سهولة التنقل بين البلدين

المجاورين جعلتهم وكأنهم ما زالوا مقيمين . نذكر مثلاً : خليل الخنداوي وكوليت سهيل خوري في القصص وماري عجمي في البحث .

ما في فلسطين فأبرز من اقام فيها من الكتّاب اللبنانيين وديع البستاني (١٨٨٦–١٩٥٤) وقد ترك التدريس في لبنان حيث نشأ ليتولى رئاسة الترجمة في القنصلية البريطانية في الحديدة (اليمن) . وبعد حين انتقل الى القاهرة ومارس الترجمة من الانكليزية فعرّب آثار الشرود بيشري في معنى الحياة والسعادة والطبيعة . ونشر سنة ١٩١١ اول ترجمة عربية لرباعيات عمر الخيام في سباعيات موشحة . وفي السنة التالية سافر الى لندن وقضى عامين فكانت له خلالها اتصالات بطاغور . فعرّب ديوانه « البستاني » وكتب مرجز « الاساطير الهندوية » ولما عزم على الرجوع الى القاهرة توقفت الباخرة في الطريق على اثر اندلاع الحرب الاولى فاقام مضطراً في الترانسفال حتى استطاع ان يرجع بعد سنتين الى فلسطين . وهناك بدأت مرحلة جديدة في حياته : مرحلة الدفاع عن قضيتها بعد وعد بلفور واستئناف النشاط الصهيوني ونشوب الاضطرابات فنظم ديوانه المعروف « الفلسطينيات » وكتب في الصحف العربية والانكليزية ملتزماً قضية الحق بكل جرأة الى ان وقع اسيراً بين ايدي عصابة « اغاغانا » فنقع في اسره « المياباراته » وكان قد عربها شعراً منظوماً وهي ملحمة هندية شهيرة تعتبر اخت الالياذة وتروي قصة حرب بني مهيرات في سفر ضخم . وعرّب كذلك « الرماياته » الملحمة الهندية الثانية وترجم الى الانكليزية رباعيات المعري . وكتب فيها دراسة مفصلة عن الاستشراق على فلسطين .

لقد ترسم وديع البستاني خطى نسيبه سليمان في الاسفار وترجمة الملاحم وخدمة القضية الفلسطينية وفي وفرة النتاج على تنوع .

الهجرة البعيدة

الهجرة اللبنانية بمعناها الكامل هي تلك التي اتجهت الى العالم الجديد وسائر الاقطار النائية وانتسبت بطابع جماعي متصاعد . وقد بدأ مدها في الثلث الاخير من القرن الماضي[1] فما انقضى خمسون عاماً حتى بلغت ذروتها وزاد عدد المغتربين والمتحدرين منهم على عدد المقيمين .

(١) انطون فريحه البشعلاني هو اول المهاجرين . نزل في بيمنتو سنة ١٨٨٤ وعاد في بركلن وقد كتب على ضريحه : « كان شجاعاً كالاسد وحكيماً كالحية ووديعاً كالحمل » وهذه الصفات تنطبق على غالبية المغتربين اللبنانيين .

ولا تختلف اسباب هذه الهجرة عنها الى اوروبة والى مصر الا اختلافاً نسبياً . واهم هذه الاسباب . كما رأينا : التطلع الى آفاق حرة لا تلبدها غيوم الظلم والاستبداد والميل الفطري الى المغامرة سعياً وراء الثروة والمعرفة واكتشاف المجهول .

ليس من المصادفة ان تكون قصة « روبنسون كروزوه » من اول الكتب التي عربت في بيروت ان لم تكن اولها . فان في معظم طبيعة اللبنانيين نزوعاً لتشبه ببطل دانيال ديفو في المجازفة والاتكال على النفس[1] . ولعل السبب الاقتصادي هو الاهم بالنسبة للهجرة الاميركية ، كما يؤكد الأدباء المغتربون انفسهم . يقول بولس نجيم في كتابه « المسألة اللبنانية » (بالفرنسية) :

« ان نظامي سنتي ١٨٦١ و ١٨٦٤ شوها لبنان وسلباه بعض اخصب مناطقه وحرماه خصوصاً من مرفأ بيروت الكبير اذ وضعاه تحت ادارة الباب العالي مباشرة فحرمت التجارة اللبنانية المزدهرة آنذاك من منفذ الى البحر . ولم يسمح الباب العالي بانشاء مرفأ على الساحل اللبناني فوجد اللبنانيون انفسهم ، وهم المكثارون ، في رقعة صغيرة تضيق بهم ... فكانت كل سنة تمر تشهد رحيل آلاف اللبنانيين من سكان الجبل » .

ويؤكد ميخائيل نعيمه في محاضرة له حول ملحمة الهجرة : « ان لبنان بعد ان جرّد من سهلي البقاع وعكار ومن مدنه الساحلية ، لم يبق للبنانيين الا ان يغتصبوا لقمة العيش اغتصاباً من قلوع جباله الصخرية ولم يبق لهم من موارد العيش الا تجارة التوت والزيتون والكرمة وزراعة الحبوب » .

ولكن حتى اوراق شجرة التوت لم تعد تصلح الا طعاماً للماشية بعد نكبة موسم الحرير . اهم المواسم ، على اثر فتح قناة السويس واتصال اوروبة عن طريقها باسواق الشرق الاقصى فضلاً عن ارهاق الضرائب .

ويقول ميخائيل نعيمه ايضاً : « بطريقة تشبه السحر راح تيار غريب يمتد في لبنان من الشواطئ حتى القمم . وهذا التيار الذي بدأ ضئيلاً اخذ ينتشر بسرعة حتى بات في نهاية القرن سيلاً جارفاً ... لقد كان نداء المجهول اقوى من ان يعاند . فمنهم من جرفهم التيار الى اميركة او الى افريقيا او الى الفيليبين واليابان وحتى الى اقاصي الصين ، وكلها بلاد كان المهاجرون . وهم في غالبيتهم اميون ، يجهلون كل شيء عن جغرافيتها وعن سكانها وعاداتهم ولغاتهم وتاريخهم وثقافتهم » .

ويذكر ادوار عطيه في كتابه (بالانكليزية) « عربي يروي سيرته » :

(١) ترجمها المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٣٠ .

« فيما استمر بعضهم يعلل نفسه بمستقبل افضل في بلاده منتظراً من اوروبة ان تنقذها من النير العثماني حزم البعض الآخر — وفي عروقه دم فينيقي اوفر — امتعته ومضى نحو مواطن جديدة في مختلف انحاء الارض ».

وكانت اخبار الذهب الدانق في العالم الجديد والاساطير الكثيرة حول مغرياته تقع حداً لأي تردد.

قد لا ندرك كل ابعاد الادب المهجري في القارة الاميركية وفي سائر الاقطار النائية ان لم ندرس انطلاقة هذه الهجرة وتطورها والظروف التي حرت فيها استناداً الى تجربات الرواد المدونة في مذكرات الكتّاب بينهم.

في « ذكرى الهجرة » لتوفيق ضعون قصص . يؤكد واقعيتها. تبدو لغرابتها كأنها اساطير . وقد استخلصنا منها بعض ما تعلق بالسفر من لبنان وبالمرحلة الاولى بعد الوصول نثبته بايجاز كلي :

كانت الهجرة محظورة رسمياً في العهد العثماني . فكان يضطر الراغبون في السفر الى وسائل غير مشروعة كتلك التي يلجأ اليها المجرمون او الفارون من وجه القضاء.

عند وصول السفن الصغيرة الى مرفأ بيروت كانت توفد سماسرة الى اسواق المدينة والقرى لتعلن عن موعد سفرها فتتهافت جماعات من الجبل . وقد رهنت او باعت املاكها واثاثها ، تتجمع نفقات السفر . وتتم عملية الانتقال كما يلي : يسلم المسافر طالب السفر الى خفير الشاطئ فيصعد به من وراء الحدود الجمركية الى مركب محمل بالبضائع . فيتولى الربان ادخاله الباخرة كحمال . وهناك يتسلمه القهوجي ويضعه في احد المستودعات ويبقى هكذا حتى تصل الباخرة الى مرسيليا فيستلمه سمسار جديد ينزله في خان وضيع ويبقيه حتى يستنزف كل نقوده ثم يدفعه الى باخرة تقله الى اميركة فيلتقي فيها حشداً من امثاله المكرهين على الرحيل.

السفر البحري كان يومئذ بدائياً ومتعباً. ان صعد الركاب الى ظهر الباخرة تعرضوا للحر تارة وللبرد تارة. وان احتشدوا في الطابق السفلي تعرضوا للاختناق . وكثيراً ما كان يسلط عليهم البحارة زرابيش الماء الساخن لردعهم عن الاحتجاج. وكثيراً ما انزلتهم الباخرة في بلد غير البلد الذين يقصدون اليه فتشتد مأساتهم في ارض غريبة بين شعب غريب. وكان السعيد السعيد بينهم من وجد على الميناء شخصاً ينتظره او عرف عنواناً لرفيق او نسيب او حمل رسالة توصية لمن يؤمن له مكاناً يبيت فيه الليلة

الاولى . اما الذين لم يحظوا بمثل هذه النعمة وهم كثر فكانت الارصفة والاروقة مضاجعهم لعدة ليال . ويروي ميخائيل نعيمه في « سبعون » حكاية اسفاره . بعد ان تحسنت نسبياً اسباب السفر في عهده فيقول : « كنت اسافر ذهاباً وياباً على ظهور بواخر صغيرة قذرة تجمع اجناساً من البشر فأنام ولا سقف فوق رأسي الا السماء ولا سرير تحتي الا الخشاب الباخرة الصلبة ولا غطاء علي الا ثيابي . وكنت اصاب بالدوران واتألم من البرد والاقذار ومن الجوع احياناً » . لكن اللبناني الذي حوّل الصخور الى جنائن في بلاده ما كان ليتهيّب اقتحام الصعاب .

بعد الوصول كانت تبدأ المشكلة الثانية . مشكلة العمل : فالمهاجر الذي انفق ما معه على الطريق وهو يجهل لغة البلد الذي وصل اليه ماذا تراه يعمل ؟ لكن الحاجة التي تفتق الحيلة جعلته يلجأ الى نوع جديد من التجارة في تلك البلاد هو بيع « الكشة » . كان ينتش عمن يأتمنه من التجار : لقاء رهن ساعته او خاتمه : بعض ادوات الزينة والعطور والدمى وما اليها يطوف بها في علبة كبيرة على البيوت ويعرضها بالايماء والاشارة ثم يعود في المساء الى صاحب المتجر ليحاسبه ويجدد « اصنافه » لجولة الغد . حتى اذا طاف جميع احياء المدينة انتقل الى ضواحيها بعلبة اكبر ثم الى القرى النائية بعد ان يكون قد استقل ببضاعته وادخر المال الكافي لمثل هذا العمل .

وقد عبّر الشاعر مسعود سماحه الذي اصبح فيما بعد ضابطاً كبيراً في الجيش الاميركي عن المشقات التي قاساها هو وزملاؤه في اقتحام المجاهل سعياً وراء الرزق قال :

« كم طويت القفار مشياً وحملي فوق ظهري يكاد يقصم ظهري
كم قرعت الابواب غير مبالٍ بكلال وقرّ فصل وحر
كم تعرضت للعواصف حتى خلت أن الثلوج في القفر قبري »

ويقول الشاعر القروي في مذكراته :

حملت صندوق الزنك مملوءاً بمختلف السلع ومربوطاً بسيور جلدية الى كتفي . وضربت في مناكب ولاية ميناس متعرضاً لاقسى مشقات الحر والسيول الطامية . وفي الغابات الخضخة كنت ارفع بصري الى السماء كلما امطرت : واغني العنادل حتى يمتلئ قمي بالغيث المدرار . ثم اشتدت الازمة التجارية اثناء الحرب وكثر العمال العاطلون حتى ملأ المشردون طرقات العاصمة

فعمدت الحكومة الى قيد اسمائهم وابوائهم في باحات المخافر يؤمونها كل مساء وينقون باجسادهم المنهوكة على حبال مشدودة بين حيطانها. فاذا اصبحوا حل الموكلون بهم اطراف الحبال فسقطوا على وجوههم ثم خرجوا يبيعون. وقد طال سعيي شهوراً في تلك الاثناء ولم اجد مرتزقاً حتى فرغ آخر فلس من جيبي فقيّض الله لي احد هواة العود فشرعت في تعليمه مستلفاً اجرتي. ثم انتقلت من الداخلية الى ساوباولو واخذت اعلم في المدارس وفي البيوت ثم تحولت الى التجول في الولايات المتحدة كمعتمد لبعض المحلات التجارية. على اني كنت امتنع عن التجوال شهراً كاملاً مضحياً باجرتي لأنظم قصيدة في حفلة وطنية:

بعدت عني فعفت كنوز الارض لما عرفت قيمة كنزي
لا ابالي شبعت ام جعت واللحن شرابي وعزة النفس خبزي

اما الشاعر الياس فرحات وهو لم يبدأ حياته بائعاً متجولاً بل حاول تربية المواشي في البدء فلم ينجح فعاد الى «الكشة» المضمونة الربح على مضاضتها فانشد:

ونشرب مما تشرب الخيل تارة وطوراً تعاف الخيل ما نحن نشرب
حياة مشقات ولكن لبعدها عن الذل تصغو للابي وتعذب

وفوق هذه المصاعب كان الاميركيون ينظرون الى المهاجرين بشيء من الازدراء وينعتونهم بالاتراك. فيضطر بعضهم الى تغيير اسمه تجنباً لنعت «التركو» وتسهيلاً لنقله. فاذا يوسف الاسمر مثلاً يصبح جو براون ويحول ميكائيل وسلمان ولبم الخ... وكانوا يتعاونون فيما بينهم ويتجاورون ويشكلون مستعمرة قائمة برأسها. يقول نعيمه: «هناك في اسفل المنهاتان على مرمى حجر من وول ستريت كانت متاجرهم ومطاعمهم ومقاهيهم. وهناك كنت تسمع لهجات القرى اللبنانية مع لهجات بيروت وحمص وحماه والقدس الى جانب كركرة الزجيلة وطقطقة النرد ودوي المدقة في جرن الكبة. كان ذلك قبل الحرب الكونية الاولى اما بعد الحرب فقد انتشروا على جادة الافنيو الخامس وفي اهم شوارع المدينة».

وهكذا جاء اليسر بعد العسر بالنسبة للمهاجرين في جميع الاقطار الاميركية بفضل همتهم واخلاصهم ومثابرتهم على العمل: فـ«كشة» المهاجر في عهده الاول كانت منطلقاً له ولابنائه بعده الى ارفع المراكز في جميع

الحقول من الصناعة الى التجارة الى الزراعة الى الادارة الى الثقافة الى العلوم الى مجالس التشريع الى الوزارات والرئاسات فاكتسبت الجاليات اللبنانية ثقة الشعوب التي عاشت بينها وفرضت احترامها عليها حتى ان شهادات كبار المسؤولين في اللبنانيين المغتربين باتت تملأ مجلدات ضخمة[1].

اللبناني المهاجر ، على رغم تعلقه الشديد بالوطن الام ، وفيّ للبلد الذي تبناه لا يوفر جهداً في سبيل اعلاء شأنه. لقد تجاذبه حبان متعادلان بين وطنيه. حب غريزي وحب اكتسابي. وفي القطعة الرمزية التي كتبها امين نخلة الريحاني بالانكليزية وعنوانها «بلادي» تعبير صادق عن الصراع العاطفي الذي عاناه ويعانيه المغترب بين بلد احتضنه وبلد اراه النور :

«عاشق الطبيعة. شاعراً كان ام فيلسوفاً ام طفلاً لا يستطيع الا ان يستجيب لدعوة ازهار بلاده. فهي لا تنفك تناديه. وهذا يفسر اجتيازي المحيط مرات لزيارة موطني لبنان مع انني اموت مرات في السفر البحري قبل الوصول.

اميركا موطن بلادي الثاني. اجتني مطمئناً في احضان طبيعتها. حدائقها. التي ابتدعها الانسان تفوق الطبيعة جمالا. لكني انّى اجلت نظري بين ازهارها الفاتنة رأيت صورة ازهار بلادي المحببة الى امي. هذه ايضاً ازهار اجمل واصلب من تلك الازهار الرخصة التي تنشق عنها اخاديد صخور بلادي. وكلما رأيتها تخيلتني واكفاً عاري القدمين في هضاب لبنان اجمع باقة من الزهر ليوم الجمعة العظيمة اضعها تحت قدمي المصلوب.

ونبات المنحدر في موطني الثاني لا يقل جلالاً وبهاء عن الصنوبر في لبنان. ان له علي حق عرفان الجميل لاني عايشته فترة وافدت من تأثيره الشافي. لكن هذا لن يصرفني عن حبي الاول لاشجار طفولتي وملاعب طفولتي وايمان طفولتي.

ما هو ذلك الذي يتغلب على ارواحنا في هذه الدنيا قاهراً جميع ملكات المنطق ليحملنا بعطف باماكن واشياء معينة ندعوها الوطن او البلد الام؟ حقاً ان تاريخ بلادي هو تاريخ ارض بدون علم لكن رسالتها الروحية حركت مرة اعمق اعماق العالم. حقاً ان تقاليدها تقاليد امة بدون ملك وشعب بدون صوت وروح وهيكل. لكن روحها القديم ما زال حياً ويؤمل له ان يتغلب فيبعث. ان بلدي ارض الوعود. ان بلدي مهد الآلهة ولحدها.

(١) اطلق اسم لبنان على عدة مدن اميركية.

ولكن اذا كانت اصوات الانبياء عادت لا تدوي على جباله فان البلابل ما زالت تغرد في الاودية والوهاد . والورود تتفتح على اجفانه ، وارزه الشامخ من اعالي الجبال المكللة بالثلوج ما فتئ يلقي ظلاله على رماله الذهبية » .

في هذه الخطرات انعكاس صادق لنفسية المغترب . لا سيما ذاك الذي ترك بلاده فتياً . وهي تفسر الى حد كبير بروز « الحنين » كموضوع رئيسي في الأدب المهجري الاميركي ولا سيما الشعر في المرحلة الاولى وحتى في المراحل الاخيرة .

كان المغتربون الى العالم الجديد والاقطار النائية يعللون النفس بالعودة اغنياء الى بلادهم وقد تحررت . فما كانت الهجرة في نظرهم الا مرحلة اكرهوا عليها اكراهاً فعاشوا غرباء بانتظار اليوم الموعود . قال ابو ماضي :

لبنان لا تعتذ بنيك اذا هم ركبوا الى العلياء كل سفين
لم يهجروك بلالة لكنهم خلقوا لصيد اللؤلؤ المكنون
نسوا ولدتهم نسورًا حلقوا لا يقنعون من العلا بالدون
والنسر لا يرضى السجون وان تكن ذهباً فكيف محابس من طين

لذلك كان المغتربون يعيشون في اجواء خاصة بهم . والاشارات الى هذا الواقع كثيرة في مذكراتهم . يصف نعيمه احدى جلساته مع جبران وبعض الشعراء في كتابه « جبران خليل جبران » حول شلال في اميركا فيقول انهم غنوا جميعهم على صخرة اغاني لبنانية كالعتابا والميجانا والمعنى وشربوا عرقاً ممزوجاً برشاش الشلال وكأنهم في قلب لبنان .

اما قال سعيد تقي الدين في « غابة الكاڤور » : « تخيرت بعقلين بلدة استقط فيها رأسي . ولو أعطي لي ان اتقمص الف مرة لما نزلت الا بعقلين دار مولدي » .

وجبران نفسه رغم انه آمن بوطن عالمي للانسان في نظراته الفلسفية اجاب من سأله هل يرغب بالعودة الى وطنه قال : « نعم اريد ان ارجع الى موطن حداثتي الى مهبط الوحي الى ضفاف الوادي الذي منه تغذت روحي ... اود ان اعود كل يوم الى لبنان الى بشري . اتمنى العودة الى مار سركيس لاقطف زهر الصيام في الربيع . اتمنى الرجوع لأجلس على شرفة مار جرجس التي يزلق عنها الطير وارى الوادي المقدس تجري فيه مياه نهر قاديشا فتبين كخيط ابيض وانا اعلو عنها خمسماية قد . اتمنى العودة

الى لبنان الى بشري لارى ثانية موطن « خليل الكافر » و « مرتا البانية » و « يوحنا المجنون »[1] اتمنى العودة لاذهب الى مرجحين وراء جبال الارز : حيث تملك مزرعة : فاعيد ذكريات الصبا في احراجها واسمع حدو الاحالي :

يـــا بيكنا محمد سعيد وبـــارودنا يرعد رعيد

اتمنى العودة الى لبنان . الى الارز : لاقطف العطر في الخريف واشرب الحليب عند رعاة الماعز واسمع صوت منجيرة انتصب مائلاً تلك الهضاب » .

كان جبران في منزله : على حدّ ما يتمنّه نعيمه : يلبس جلابية شرقية ويتربع على طراحة امام موقد من الفحم يراقب « ركوة القهوة » تغلي على الجمار . اما قال لمي زيادة في احدى رسائله الحميمة اليها : « انا اكره ملابس رجال الغرب فيبي بدون وزن ولا قافية . واذا ما عدت الى الشرق فلن ارتدي الا الثياب الشرقية القديمة .

لكن جبران ورفاقه ان راموا الرجوع الى لبنان فانما لكي يؤدوا فيه دوراً رسولياً في رفع مستواه : لانه كان يعز عليهم ان يتبخر سراب احلامهم . وهذا ما يفسر : كما سنرى : حملاتهم على الجمود والتعصب وكل ما يؤخر بلادهم . وهذا يسوغ المشاريع المنوعة التي كانوا يتدارسونها في سبيل تحقيقها بعد الرجوع . ففي اول لقاء بين الريحاني وجبران ويوسف حويك في لندن سنة ١٩١٠ دار النقاش حول تأسيس دار للاوبرا في بيروت رسم جبران مخططها الاول وقد ظهرت فيه قبتان ترمزان الى المسيحية والاسلام متصافحا وقد وقع المخطط كل بدوره : وكتب الريحاني فوقه : « اول كلمة من قصيدة لم تنظم . لفظت في لندن في غرة تموز سنة ١٩١٠ » .

صحيح ان اللبناني سريع التكيف لانه ذو عقل مرن وارادة قوية . لكن هذا التكيف ما كان الا ظاهراً بالنسبة للاولين . حتى الثاهر كان يتلمس تقلص القشور الاصطناعية عندما يعودون الى نفوسهم ويعيشون في وحدتهم الحميمة . اما الذين قطعوا كل علاقة بموطنهم ساعة تركوه ولم يفكروا حتى بالعودة اليه مثل ادوار عطيه كما يقول في « عربي يروي سيرته » فقلة لا تذكر .

حتى الذين لم يعرفوا لبنان من الاجيال الجديدة يزهم حنين مجهول

(١) ابطال اقاصيصه .

الى الوطن الام . فكم من حفيد مغترب قبّل تراب لبنان حين وصل اليه . وكم من ولد نال غير جنسية ولم يعرف قط لبنان ثار ثورة الاحرار في سبيل الذود عن كيانه . يقول ابو ماضي مثلاً معبرًا عن رأيه ورأي الاجيال الحديثة في الخطر الصهيوني .

ما كفتنا مظالم الترك حتى ... زحفوا كالجراد او كالوباء
طردوا من ربوعهم فاراد وا ... طردنا من ربوعنا الحسناء

هذا الحنين الحار يفسر نضال المغتربين في سبيل تحرير بلادهم من النير العثماني ومن الانتداب ومن كل طامع بالسيادة عليه . وهذا النضال لم ينحصر في مقالات صحفية وقصائد بل تعداها الى تأسيس الجمعيات[1] وجمع الاموال وعقد المؤتمرات والقيام بالاتصالات الدولية على اوسع نطاق . وما انتفاضة المغتربين اليوم ضد الصهيونية الغادرة المغتصبة الا دليل حي على التعلق الاصيل بالوطن الام .

ثم اما اول بلد اميركي أمه اللبنانيون فهو الولايات المتحدة ثم البرازيل فالارجنتين . واول اديب هاجر (قبل حوالى قرن) هو خايل رستم والد الشاعر الساخر اسعد رستم . وكان ينظم الزجل وهو اول لون ادبي مارسه المغتربون وما زال بعضهم يمارسه حتى اليوم . اما اول قصيدة نظمت بالفصحى فهي لنقولا فيّاض صابونجي . وقد انشدها في وصف استقبال بارك يوم زار نيويورك اول مرة وقد نشرها في مجلته « النحلة » في لندن ١٨٧٢ .

وكان بدء الهجرة الى البرازيل سنة ١٨٧٤[2] وكانت حكومتها تشجع على الاقامة فيها لاستثمار اراضيها الشاسعة . بيد ان اول لبناني حلّ فيها يرجع تاريخه الى القرن الثامن قبل المسيح . فقد اصبح اليوم من الثابت لدى علماء الآثار بعد الاكتشافات التي بدأت سنة ١٨٧٢ واستمرت حتى اليوم ان الفينيقيين وصلوا منذ ذلك العهد الى العالم الجديد . وبين الكتابات التي عثر عليها في البرازيل ما يروي مغامرة مركب فينيقي انطلق مع عشرة قوارب من العتبة فقذفته العاصفة الى الشاطئ البرازيلي . وليس ما يؤكد ان هؤلاء المغامرين او ابناءهم عادوا الى بلادهم بدليل ان لا الجغرافي الفينيقي

(١) من الجمعيات التي وجبها المفكرون ودعتها « النهضة اللبنانية » في الولايات المتحدة والبرازيل « والاتحاد اللبناني » في كندا والارجنتين . اما الاندية فهي كل مدينة ودسكرة .

(٢) اما الهجرة الى اوستراليا فقد بدأت سنة ١٨٧٦ وبعدها الى الفيليبين وزيلندا الجديدة وافريقيا السوداء .

المعروف مارينوس التصوري ولا سواه من الجغرافيين او المؤرخين ذكر شيئاً من هذا القبيل . وقد اشار العلامة البرازيلي لرديفيكوسيون هاتج في تقرير الى اكاديمية التاريخ والجغرافية في البرازيل الى الاكتشافات الكثيرة في دول اميركا ولا سيما في منطقة الامازون من آثار فينيقية . وأكد ان اسم البرازيل نفسه قد يكون مركباً من كلمتين فينيقيتين : بر وازل . اي بلاد ازلية . ولعباس العقاد بحث مطول عنوانه : « اللبنانيون اكتشفوا اميركا قبل كولمبس » .

اما وقد عرضنا تاريخ الهجرة الى اميركا والبلدان البعيدة وما رافقه من مغامرات ومشقات والقينا نظرة على الاجواء اللبنانية هناك مستندين على مذكرات الادباء . ننتقل الآن الى درس ما خطته اقلامهم بادئين بالصحافة ثم بالشعر المهجري وخصائصه العامة لننتهي الى ابرز الكتّاب .

الصحافة

نزعة التفرد والاستقلال بالرأي من طبيعة اللبناني . فهي وراء تعدد المشاريع المتشابهة على الغالب التي يقوم بها اللبنانيون وهي مفتاح السر في كثرة الاندية والمعابد والجمعيات والصحف . ففيما كان للجالية الفرنسية في الارجنتين وهي جالية كبيرة بعددها ، جريدة واحدة تنطق باسمها في اصدار ضخم وتستمر اكثر من ثمانين سنة كان لجاليتنا فيها ما يزيد عن الخمسين صحيفة ومجلة محدودة النطاق تظهر ثم تغيب ويصدر غيرها . لذلك قلّت الصحف اللبنانية في المهاجر الاميركية التي كان لها « كالهدى » اثر يتجاوز محيطها .

اما اول جريدة عربية انشأها اللبنانيون في اميركا فهي « كوكب اميركا » للاخوين عربيلي . وقد ظهرت في نيويورك ١٨٨٨ ثم صدرت « الهدى » لنعوم مكرزل في فيلادلفيا بعد عشر سنوات[1] . اما في البرازيل فقد ظهرت اول صحيفة سنة ١٨٩٥ بما انقضت خمس سنوات حتى ظهرت اربع صحف غيرها . وهذه الصحف الخمس هي « النسيحاء » و « الرقيب » و « البرازيل »

(١) كانت اسبوعية ثم انتقلت الى نيويورك سنة ١٩٠٢ واصبحت يومية . تولاها نعوم حتى ١٩٣٢ فخلفه اخوه سلوم حتى سنة ١٩٥٢ ثم ابنه ماري وكان نعوم قد تمرس على الفن الصحفي في مصر واشترك كرئيس لجمعية النجدة عقب العدوان في فرساي للمطالبة باستقلال لبنان . واصدر ماري مكرزل مجلة بالانكليزية مع « الهدى » (الجريدة اللبنانية) وكان سلوم مكرزل اول من انشأ التيبوغرب العربي .

و« المناظر » و« العواصف » . وظهرت في الارجنتين في سنة ١٨٩٨ « الساعقة » التي تحولت فيما بعد الى « صدى الجنوب » .

لم تكن مهمة الصحفي اللبناني هناك يسيرة في المرحلة الاولى ولا في مصر كما رأينا . فقد كان صاحب الجريدة مدير ادارتها ومحررها ومنضد احرفها وطابعها واحياناً موزعها . وقد سجل عدد الصحف والمجلات رقماً قياسياً في اواخر العشرينات (منها ما ظهر مدة ثم احتجب) . منها، حسب احصاءات ذكرها الدكتور فيليب حتي، ١٠٢ في الشمالية: بينها ٧١ جريدة (٧٩ في الولايات المتحدة: ١٧ في المكسيك و ٦ في كندا) و ١٦٦ في الجنوبية، بينها ١٣٤ جريدة (٩٥ في البرازيل : ٥٨ في الارجنتين . ٨ في الشيلي : ٣ في كوبا وواحدة في الاوروغواي) .

اهم هذه الصحف في الولايات المتحدة بعد « الهدى » : « النسير » للشاعر ايليا ابو ماضي و« مرآة الغرب » لنجيب دياب . و« الخارس » لأمين غريب و « الايام » ليوسف تهان المعلوف و « الاصلاح » (ويديرها اليوم التونسي شوريز الذي يوقع ابو فيليب) . وفي المكسيك « الشرق » ليوسف كرم وعقل بشعلاني : « التفكر الحر والمسامير » لسليم نصار و « الرفيق » لرفيق محبوب الشرتوني ؛ و « صدى المكسيك » لبطرس الخوري طويلا . وفي البرازيل عدا التي ذكرنا « العدل » لشكري انطون و « البريد » ليوسف نسيب ضاهر و « الحمراء » لالياس طعمه و « بريد الشرق » لنخله الخوري (شقيق الاخطل الصغير) و « الاصمعي » ثم « ابو الهول » لشكري الخوري و « الجريدة » للدكتور خليل سعاده و « الاحرار » لنجيب بشعلاني و« الدليل » لتوفيق ضاعون و « الافكار » لسعيد ابي جمره و « فتى لبنان » لرشيد عطيه و « الاندلس الجديدة » لشكرالله الجر .

اما في الارجنتين فأهم الصحف التي ظهرت « الصبح » لشكري الخوري (مؤسس الاصمعي وابو الهول في البرازيل) و « السلام » لوديع شمعون و « النسر » لسمعان منصور جاماتي و « الجالية » لجورج مسرة و « الارجنتين » لسليم ابو اسماعيل و « الاتحاد اللبناني » (لسان حال النادي الذي يحمل اسمه) و « الفترة » لمحمود محمد سلوم و « الحياة » لجورج عساف و« لبنان » ليوسف خوري مخايل ابو زيدان و « الاستقلال » لأمين ارسلان و « المنبر » لرشيد زين و « العلم العربي » لعبد اللطيف الخشن و « صدى الشرق » لنجيب بعقليني و « المهجر » ليوسف نجم الرشماني . وفي

التشيلي « المرشد » لبولس الخوري و « الوطن الاول » لداود مجاعص و « الاعتدال » لتوفيق ضعون و « اهادي » لانطون جمال .

لقد قال شكري الخوري (صاحب « ابو الهول » ومؤلف التحفة العامية في قصة فينيانوس وطيلة العمر في حديث ابو يوسف نمر ١٨٧٢—١٩٣٧) من قبيل النكتة : « لو كان للقمر طريق لرأيت لبنانياً يحمل كشته ويصعد اليه ويخلفه لبناني آخر شك دواته في زناره لينشئ اول جريدة في كوكب العشاق » ! اما وقد انفتحت اليوم طريق القمر وتنوعت وسائل الاعلام فقد لا يكون من المستغرب ان يكون لبنانياً اول من ينشئ محطة اعلامية في الكواكب .

تضاءلت عدد الصحف العربية على مرور الزمان فلم يبق اليوم الا القليل وذلك لاسباب مختلفة : منها انفال الجيل المولود في الوطن الثاني على اللغة المحلية بحكم الضرورة المعيشية ومنها انقطاع مد الهجرة بعد الحربين في معظم الدول وغياب المدارس العربية (باستثناء بعض دراسات جامعية كما في ساوباولو) ومنها حظر بعض الدول صدور الصحف بغير لغتها كما فعلت البرازيل في الحرب العالمية الثانية فتحوّل بعضها الى لغات اجنبية : « الارز » صار بالاسبانية El Cedro (في فنزويلا) و « الوطن » Patria في الاورغواي . و « لبنان » Libano و « لا يزول » و « الامير » تحتفظان اسميهما العربي وتصدران بالاسبانية ، كما صار باليورتوغالية « فتى لبنان » Brasil-Portugal و « الشرق » O Oriente في البرازيل . وثمة صحف صارت تصدر بلغتين كـ « المراحل » لزيانا دعبول فاخوري (عربي برتغالي) و « الغربال » لسليم عبود (عربي اسباني) في المكسيك ، او بلغات ثلاث كمجلة الشرق الاوسط لجوزيف لحود في كندا (عربي ، فرنسي ، انكليزي) وصدرت عدة صحف جديدة بلغات اجنبية نذكر منها : Cercano Oriente, Tozohas Selectiones, The Voice, The Heritage, The Caravan, Le Moraliste فضلاً عن الصحف المختصة بالامور الدينية The Word او بالرياضة وصراع الثيران مثل Redondel او بالتصوير مثل Pictures وبالسينما مثل مجلة هوليود .

الا ان اللبنانيين لم يقتصروا على الكتابة في الصحافة اللبنانية بل ان كثيرين منهم اسهموا في الصحف المحلية الكبرى . نذكر مثلاً نجيب الجميل في « النيويورك ديلي نيوز » واميليو خزامي في « الديارين » وميك حبيب « في نيويورك تايمز » وداود نصر في « اوكروزيرو » وجيلين توماس في « وكالة

الصحف الدولية . . وثمة اذاعات خاصة يتولاها المغتربون بعدة لغات في معظم القارات على سبيل الدعوة للبنان خاصة والقضايا العربية عامة[1] .

لقد اسهمت المرأة اسهاماً بارزاً في الصحافة ونذكر من اللبنانيات ، عدا مريانا دعبول فاخوري . عفيفه كرم التي كتبت في « الهدى » واصدرت سنة ١٩١٢ اول مجلة عربية نسائية في اميركا « العالم الجديد النسائي » (كما اصدرت هند نوفل اول مجلة نسائية في مصر سنة ١٨٩٢ « الفتاة ») ولبيبه هاشم التي أنشأت « الشرق والغرب » ثم « فتاة الشرق » وماري يني عطاالله مجلة « ميرفا » وكنتاهما في الشبلي . والجبيل: عون شليطا وليلى نقاش وامينه نصر وقد اسهمن في عدة صحف .

ثمة قاسمان مشتركان بين الصحافة اللبنانية في ديار الاغتراب على اختلاف اللغات والمناطق والاجيال هما :

ـ الاسهام الفعال في اثارة الوعي القومي وفي تنظيم العمل الجماعي للدفاع عن القضايا الوطنية منذ العهد العثماني حتى ايامنا هذه مروراً بالانتداب ومرحلة بناء الاستقلال والخطر الاسرائيلي على لبنان .

ـ تسهيل مجال انطلاق الادباء والمفكرين ونشر افكارهم بين الجوالي فضلاً عن الاتصال بالمؤسسات الوطنية المقيمة والاوساط الثقافية في لبنان والخارج.

بيد ان الصحف اللبنانية في اميركا كانت تستهدف غايات اخرى منها اذاعة اخبار الجالية الناطقة باسمها وجمع شملها وابراز نشاطاتها ومآثرها والدعوة الى الاتحاد بين الجاليات واثارة الحمية للقضايا الوطنية كالدعوة الى مساعدة لبنان بعد ان نكب بالجوع في الحرب الاولى والحث على التطوع لمساعدة الحلفاء في الحربين وتوضيح القضية الفلسطينية بالنسبة للغرب .

جاء في العدد الاول من « العروة الوثقى » التي اسسها جبران قطان ويوسف معوض بالارجنتين :

هدفها : « تدوين الاعمال المحمودة التي اتاها كرام الجالية في سبيل المصلحة القومية المشتركة . وما المواضيع الاخرى المطروحة نثراً ونظماً الا نقط ترمي الى الخدمة الوطنية وتذكارات تاريخية تعيد الى اذهان الابناء آثار

(١) بعد ان توقفت « الرسالة » لفريد شيفل لم يعد في استراليا صحف عربية ولا انكليزية خاصة باللبنانيين الا ان بعض المغتربين مثل رودلف ابو خاطر يحررون في الصحف المحلية . اما في افريقيا السوداء فقد اسس نجيب مكرزل في مدينة دكار مجلة اسبوعية بالفرنسية « افريقيا التجارية » عاشت من ١٩٣١ الى ١٩٣٥ .

الاجداد كي تثير فيهم الحماس وتدفعهم الى الاقتداء بهم ووسائل لايجاد التعارف بين ابناء الوطن وعواطف تجلى فيها التحبب بالوطن والتحريض على تعزيزه ونقض كل حواجز وتقليدات تقف بوجه المحبة الوطنية ».

وجاء في العدد الاول من جريدة « السائح » لصاحبها يوسف مسلم التي صدرت ١٩١٠ : « من يحب ان يكرم من السائح عليه ان يتجنب كل ما يغض من كرامة الجالية ويجحف بحقوقها ويشوه سيرتها بين بقية الجوالي واهل المهجر وان يسعى الى خيرها غير شامخ بانفه ولا متكبر على مواطنيه ».

ولما اصدر فيليب جرجي بدران جريدته الاسبوعية « جوفر » في مكسيكو اثناء الحرب الاولى كتب في عددها الاول : « في الاسبوع المنصرم كانت مصالح اللبنانيين والسوريين مهددة بضروب الاخطار من سياسة الاحلاف الذين كانوا يعدوننا اتراكاً حلفاء الدول المحاربة لهم وكدنا نذهب ضحايا هذا الظن ونكون في جملة التجار الذين قطعت عليهم طرق التجارة وسدت في وجوههم الابواب . منذ عشرة ايام وصلت اوامر دول الاحلاف مصحوبة بتشديد عنيف من الرئيس ولسون الى جميع تجارها ومصارفها في المكسيك بتقطع علاقاتهم التجارية مع اعدائهم . ولما كنا معدودين تركيين نظراً لمظاهر بعضنا كاد يختلط الحابل بالنابل ويؤخذ البريء بجريرة الجاني » .

ولقد اسهمت هذه الجريدة وسائر الجرائد المهجرية بانقاذ الموقف عن طريق التوضيح بان لبنان هو غير تركيا . ثم تركزت حملة باللغة الاسبانية على هذا الموضوع .

لئن ادت الصحافة المهجرية الاميركية رسالة وطنية مهمة فقد أدت كذلك رسالة ادبية لا تقل اهمية لا من حيث اسلوبها وهو ركيك بسيط في اكثر هذه الصحف على عكس الصحف اللبنانية في مصر بل لان الصحف الادبية منها كانت المنبر الاول للادب واشهر الادباء برزوا اول الامر عن طريقها . فجبران مثلاً كتب اول مقال له في « المهاجر » للاديب المؤرخ امين غريب بعد ان تعهد له هذا بتصحيح الاملاء وتقويم الجمل (٥ آذار سنة ١٩٠٤) وكان اذا عجز عن التعبير صور ما يرمز اليه تصويراً وترك لصاحب الجريدة مهمة التصحيح . وكذلك كان اول مقال نشره بالانكليزية سنة ١٩١٨ في مجلة « الفنون السبعة » وكان شريكاً فيها . وكانت مجلتا « الفنون » و « السائح » منبري انطلاق ادباء الرابطة القلمية كما كانت مجلة « العصبة الاندلسية » لسان حال كتاب هذه العصبة في اميركا الجنوبية . الا ان الكتاب المهجريين لم يكتفوا طبعاً بمنبر الصحف بل نشروا دواوينهم وكتبهم في اميركا وفي لبنان وفي مصر .

الشعر المهجري

قلّ بين الادباء اللبنانيين في الأميركتين من لم ينظم الشعر وكثير منهم من اكتفى به دون النثر . وقد غلب على هذا الشعر ، في نسب مختلفة ، طابع خاص جعله مدرسة قائمة برأسها . فما هو هذا الطابع ؟

يمتاز الشعر المهجري بانه ، في معظمه ، تعبير حي صادق عن تجربات شخصية . انه نوع من التنفس الطبيعي لكائنات مستوحدة في محيط غريب لم تنسجم مع اجوائه فظلت موزعة بين حياة جديدة ما انفتها وحياة ماضية لم تنسها . ومن هنا كان الحنين في جميع وجوهه من ابرز المواضيع واكثرها شيوعاً في شعر المغتربين الى الاميركتين .

هذا الحنين الذي يبدأ بتسقط الرأس الخنود لا يلبث ان يتعداه الى الوطن بطبيعته واهله وطريقة العيش فيه ثم الى المطلقات التي صبا اليها الرومنطيقيون ازاء صدمة الواقع ونسبيات الوجود . وهكذا يتطور الحنين من عاطفي الى ميتافيزيقي عند البعض ويستمر عاطفياً صرفاً عند الآخرين .

يروي امين الريحاني في « قلب لبنان » ان رشيد ايوب رأى ذات يوم الثلج يتراكم في اسواق نيويورك وسمع زقزقة طير شريد يحوم حول المدخنة على سطح من سطوحها ليصطلي فنظم قصيدته المعروفة :

يا ثلج قد هيجت اشجاني ذكرتني اهلي بلبناني

« في ذلك اليوم ، اطل الشاعر الدرويش ولا يزال الجسم منه مكبلاً بالكبول الاميركية يروح ويجيء في اسواق نيويورك ومكاتبها كالماشي في نومه ، تأكل نعاله وحشة التمدن وتخترق الاضلع منه الى النسيم » .

حتى لو لم ير الثلج لكان رأى شيئاً يذكره بلبنانه كما ذكرت خصلة الشعر الياس فرحات بخيبته في الوطن فأنشد :

خصلة الشعر التي اعطيتنيها عندما البين دعانا بالنفير
لم ازل اتلو سطور الحب فيها وسأتلوها الى اليوم الاخير

في هاتين القصيدتين كما في اكثر القصائد المنظومة من وحي الحنين العاطفي عفوية مؤثرة في بساطتها وبراعتها حتى ولو لم تكن من مستوى رفيع . وهي ان دلّت على شيء فانما تدل على نفسية الطائر المغرد خارج سربه في توقه للعودة اليه . وهذا ما يشير اليه شفيق المعلوف في قوله :

هاك ملهى الصبا فيا قلب لملم ذكرياتي على ضفاف الوادي

او رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) :

لبنان هل في الارض غيرك مربع حلا لي وهل في جنة الخلد مرتع

او ايليا ابو ماضي :

وطني ستبقى الارض عندي كلها حتى اعود اليه من ارض اليه

الا ان هذا الشاعر يخشى الا يجد « فردوسه » كما كان ويأبى ان تصعقه الخيبة فيتقلص السراب :

لا غابتي اليوم كعهدي بها ولا التي احببتها فيها
قد بدل الانسان اطوارها واغتصب الطير مأويها

وربما كان هذا الشعور هو ما دفعه الى اطلاق وطنه من إبعاده المادية فعاد لا « طوداً ولا بلاداً » ، لكن سماء .

ويتخذ هذا الحنين طابعاً مأساوياً كلما تقدمت السن بالشاعر فاذا الاسى بكل ما يرمز اليه هو محور الدائرة .

يقول يوسف الخاخوري :

تعالي نجمع بقايا الشباب فقد لوحت شمسنا للغروب
تكاد سفينتنا في الضباب تضل عن الشط عند المغيب

وميشال المعلوف :

سيأتي زمن به نتلع بزورقنا ماخرين العباب
الى اربع جوها أهل باطياف اجلامنا في الغياب

الا ان مخايل نعيمه ، وقد فلسف الحنين على طريقة ابن سينا والحلولية الهندية ، يرنو الى الغروب كمرحلة انعتاق الروح من الجسد وزوال رغائبها الفانية :

غير اني لا بد ابلغ يوماً فيه ابني حراً عديم التمني

وكذلك فوزي المعلوف اذ يقول في الشاعر :

هو بالرغم عنه من عالم الارض وان كان تربا بشكل ابناء جنسه

وهذه الطمأنينة التي يسعى نعيمه ومخلوف اليها في غير هذا العالم يصبو اليه جبران في قلب الطبيعة البدائية التي يرمز اليه الغاب والناي في «المواكب».

وهكذا يجسد كل من هؤلاء الشعراء على طريقته الخاصة فكرة الفردوس المفقود التي شغلت الرومنطيقيين وهم غرباء في ديارهم غربة الملاك الساقط الذي يتذكر السماء على حد تعبير لامارتين. ومن هذا النوع كانت مثلاً غربة جبران التي يصفها بقوله: «انا غريب وفي الغربة وحدة قاسية ووحشة موجعة غير انها تجعلني افكر ابداً بوطن سحري لا اعرفه».

وهكذا سيطر الحنين على المهجريين بدون استثناء. فالناجحون لم تنسهم النعمة وطنهم والفاشلون زاد البؤس فلتتهم الى حضن الام. الى البيت المهجور. الى الكرم الاخضر. الى ملعب الطفولة. الى الموقد والعرزال.

وهذا حس الاغتراب الذي يتجاوز مجرد الحنين الى وطن معين ثمة عناصر رومنطيقية اخرى تتجلى في الشعر المهجري: منها المثل الذي يعززه مشهد كآبة الخريف والعجز عن تحقيق الاماني الذي يورث نوعاً من شعور اليأس نتيجة الصدام الذي يشهده الشاعر بين ما هو كائن فعلاً وما يجب ان يكون برحي مثاليته. فيدرك ان السعادة وهم ومع هذا يتشبث بذلك الوهم كما الغريق بالحطام. ومنها التعلق بالطبيعة: رمز الفناء الذي يناقض فساد البشر. ومنها النزعة الى تعرية الذات وكشف بواطنها عن طريق الاعتراف والنجوى ومنها قدسية العاطفة التي يرفعها الخيال او الحلم الى ما وراء الواقع في مواكب النغم المجنح. ومنها الحس الوطني المرهف المتجلي في ردات فعل تبلغ احياناً حد العنف الشعوري. لذلك نرى ان اكثر الشعر المهجري من نوع الاناشيد يتجلى فيها الايقاع والمعنى الجديد على حساب البلاغة والتأنق وخصوصاً في اميركة الشمالية. وهذا ما حدا ببعض النقاد على وصفه بالركاكة فأثار ثائرة مخايل نعيمه في «غربال» كما سنرى وحمل النقادة المصري على الدفاع عنه بقوله:

«اما استخدامهم للالفاظ المألوفة فلا ارى فيه موضع ضعف بل قوة: لان الالفاظ المألوفة (ولا اقول المبتذلة) هي التي تستطيع في الغالب ان تستنفد احساس الشاعر. كما انها اقدر من الالفاظ المهجورة على دفع مشاعرنا الى التداعي. وقد كثر استعمالنا لها في الحياة فتحددت معانيها وتلونت في نفوسنا فحملت شحنة عاطفية وهذه صفات من اول فضائل

الاسلوب الشعري ، بل اسلوب الادب بوجه عام . (الدكتور مندور : « في الميزان ») .

وقال جبران : « لكم منها الرثاء والمديح والفخر والتهنئة ولي منها ما يتكبر عن رثاء من مات وهو في الرحم ويأبى مديح من يستوجب الاستهزاء . لكم منها التصنيع دون التركيك والبليغ دون المبتذل ولي منها ما يتسنمه المستوحش وكله فصيح مما يغص به الشوحج وكله بليغ » .

وقال شفيق المعلوف : « افهم بالتجديد في شعرنا العربي ان نرأب ثلمة لا ان نثغر ثلمات وان نخرج به من اضاكاة الى الابتكار مستحدثين له المعاني التي نريدها نحن لا التي تجرنا اليها القافية دون ان نخرج على روح اللغة وروابطها الصحيحة او نتنزل عن تخيلاتها الشرقية الموسومة بطابع خاص يميزها عن تخيلات شعراء الغرب » .

وشعراء المهجر وان جمع اخيرين بينهم من حيث المعنى . فانهم من حيث المبنى انتسبوا الى مدرستين مختلفتين «الرابطة القلمية» و«العصبة الاندلسية» .

في العشرين من نيسان سنة ١٩٢٠ اجتمع بعض الادباء في نيويورك وتداولوا الرأي في الطرق العملية لبث روح جديدة في الادب العربي تنشله « من وهدة الخمول والتقليد الى حيث يصبح قوة فعالة في حياة الامة » . وقرّ رأيهم على تأسيس الرابطة . وفي اجتماع آخر نشأت الرابطة القلمية وغايتها نشر مؤلفات عمادها ميراثهم من كتاب العربية المستحقين وترجمة المؤلفات المختارة من الآداب الاجنبية ومنح جوائز في الشعر والنثر والترجمة . اما الأعضاء المؤسسون فكانوا : جبران خليل جبران ، نخائيل نعيمه ، رشيد ايوب ، وليم كسنفليس ، ايليا ابو ماضي ونسيب عريضه ونديم حداد (والاخيران من حمص) . وكانت « الرابطة القلمية » مركز انطلاق الادب المهجري كردة فعل على ادب الجناس والطباق والتسجيع والتاريخ الذي كان شائعاً في العربية . فأحدث ثورة فعلية . وقد قال جبران عميد الرابطة : « ان الادب العربي لن يواكب الحياة الا اذا تحرر من التقديم . فشاعرنا ينظم ولكن بافكار من تقدموه ، وكاتبنا يستعيد تشابيه ابن البادية . واذا نظم الشاعر فشعر مناسبات ، واذا كتب الكاتب فمن اشياء لا تحسها روحه ولا يراودها خياله » . وكأنه بذلك يحدد منهج المدرسة الجديدة . الا ان قول جبران هذا لا ينطبق على الادب في لبنان ، حيث قامت النهضة واستمرت واحتل الشعر خصوصاً بعد انتشار الروائع الغربية بفضل الجامعتين الاميركية واليسوعية ، ولا على الكتّاب المجددين في مصر .

اما « العصبة الاندلسية » فقد جمعت ادباء امريكة الجنوبية سنة ١٩٣٣ بعد ان كانت قد تواريت « الرابطة القلمية » . وكان من ابرز اعضائها : ميشال المعلوف ، اول رئيس لها . وشفيق المعلوف ، رئيسا بعده . وحبيب مسعود واسكندر كرباج ويوسف البعيني وعقل الجر وشكرالله الجر ورشيد سليم الخوري والياس فرحات وقيصر الخوري وتوفيق قربان ونعمة قازان وتوفيق ضعون وسعيد اليازجي وجورج حسون ويوسف غانم (وسلمى صائغ ورياض المعلوف لفترة قصيرة) . وكانت اهدافها : تعزيز الادب العربي — تآخي الادباء — رفع مستوى العقلية العربية — مكافحة التعصب — نقض التقاليد التي تنافي روح العصر . اما اسمها فهو على حد قول حبيب مسعود : قد اختير « تيمناً بالتراث الغالي الذي تركه العرب في الاندلس واشارة الى الابتعاد عن التطرف الذي اتسمت به الرابطة القلمية في الشمال » . وقد عنيت هذه العصبة بمعالجة مشكلة اللغة لما احست انها بحاجة الى تشذيب في نطاق عبقريتها خوفاً من طغيان اللهجات العامية عليها . وقد صدرت سنة ١٩٣٥ مجلة شهرية بادارة حبيب مسعود تنطق باسمها .

اذا كانت الخصائص العامة التي ذكرنا تنطبق على الشعر المهجري بوجه عام فان لبعض الكتّاب والشعراء خصائص انفردوا بها . لذلك سنتناول ابرزهم بكلمات مستقلة . ونبدأ باكبرهم سناً امين الريحاني الذي لم ينتسب لرابطة .

امين الريحاني (١٨٧٦–١٩٤٠)

سافر فتياً الى نيويورك وساعد عمه في عمله التجاري . كان اذا اتعبته الحسابات والمراسلات اتجه الى النهر يصيد السراطين ويبتاع بثمنها بعض الكتب الانكليزية المبسطة . وكان ينام في قبو مظلم تحت مستوى شارع واشنطن تغمره المياه في الشتاء فيتشلها بالدلو الى ان تنهك قواه فينام لاعناً « اولئك المتكئين على وسائد الريش المتسربلين بالخز والحرير » . مارس التمثيل فلم ينجح . واعتلت صحته فعاد الى لبنان يكمل دراسة العربية فترجم « لزوميات » المعري شعراً الى الانكليزية وعاد الى نيويورك فنشرها ونشر نبذة كتبها بالعربية عن تاريخ الثورة الفرنسية . ولما لم تلق باكورته النجاح التي توقع عزم على ان يكسر مزراب العين فيشتهر بسرعة . فكتب « الخالقة الثلاثية في المملكة الحيوانية بين الحصان والبغل والحمار » تهجم فيها على

النظريات اللاهوتية وحرف اقوال المسيح . فأثار عليه النقمة العامة فانقلع عن الطريق السهل وانصرف الى البحث الجدي فكتب خواطر في المجتمع والانسان والكون نشرها فيما بعد في اجزاء متتالية من « الريحانيات » (بعضها صدر بعد موته) ظهر عليها تأثير فولتير وروسو والرومنطقيين : « ان في ورقة من اوراق التوت سراً لا يكشفه اللاهوت : الى الوادي اذن هناك بين اشجار البطم والزعرور وتحت ادواح الصنوبر والسنديان اشيد هيكل الايمان . اراني هناك في بيتي : في بيت الطبيعة : بل في بيت الله » . وضمن ريحانياته بعض شعره المنثور وكان اول من نشر هذا اللون في العربية متأثراً خطى الاميركي « والت ويتمن » .

بعد رحلة طويلة الى اوروبة نشر الريحاني بالانكليزية عام ١٩١١ « كتاب خالد » وقد وضع رسومه جبران . فكان له صدى بعيد في الصحافة الاميركية . كتبت عنه بوسطن هرالد : « يفضل كتاب خالد تبوأ العنصر الشرقي مركزه اللائق في الادب الانكليزي » : ونيويورك بوست : « لامين الريحاني هبة سامية من جمال اللغة » .

وكتاب خالد درس اجتماعي قصصي فيه تصوير لنفسية المهاجر اللبناني وتحليل لاخلاقه وعاداته في الغرب . يقع في ثلاثة اقسام : السوق ــ الهيكل ــ كل مكان . بدأ كلاً منها بانشودة ترمز الى المغزى العام . وبطل القصة « خالد » شاب بعلبكي هاجر الى نيويورك مع صديقه « شكيب » وراحا يبيعان « بالكشة » . اتيح له ان يدرس المدنية الغربية ولا سيما الاميركية فلما عاد الى لبنان متحرراً بدأ ينشر آراءه في الدين والمجتمع والسياسة . انه يمثل المهاجر العصامي الذي ينظر الى المدنية الشرقية بعين الغربي فيتمنى لو تنتشر العلوم والصناعة الحديثة في بلاده والى المدنية الغربية بعين الشرقي فيكرز بالروحانيات . وهو مسيحي المولد شرقي الصبغة اسلامي اللهجة يسرد آراء المؤلف ومبادئه في التساهل الديني والتحرر الفكري وفي التوفيق بين الذهنيتين الغربية والشرقية . انها نظريات الريحاني التي عبّر عن اكثرها في ريحانياته تنسجم هنا في وحدة متجانسة فتظهر رأيه في المدنية المثلى وهي مدنية متزنة حرة توازي فيها العقل والروح وفي الفرد المثالي الذي تحرر من العصبية والجهل والتقليد وصهر في ذاتيته صفات العالم الغربي والمتصوف الشرقي .

بعد اربعة سنوات ظهرت « زنبقة الغور » بالعربية وهي قصة اجتماعية

اخلاقية جرت وقائعها في فلسطين . ولما اندلعت الحرب الكونية الاولى تعاقد الريحاني مع مجلتي « بوكمان » و « فورم » لمراسلتهما في ميادين القتال . ولكن عندما اعلنت اميركة الحرب خشي انقطاع طريق الرجوع فعاد الى نيويورك وقام بجولة في الولايات المتحدة الاميركية يحث مغتربينا على التطوع في صفوف الحلفاء وعلى مساعدة الجياع في الوطن . وقد شاركه جبران في هذه الحملة . الا ان هذا النشاط العملي الكثيف لم يكن ليمنع الريحاني عن التأليف . فنشر قصة « جبران » (بالعربية والانكليزية) ومسرحيتا تركيا الفاتحة في لجة التعصب والجهالة والطغيان . ثم اصدر بالانكليزية بحثاً عن تحدر البولشفية على اثر سيطرة لينين على الحكم وقد ردّ فكرتها الى الشرق . الى القرامطة والحشاشين . ثم نشر مجموعة خواطر « جادة الرؤيا » بالانكليزية حول اضطراب الحياة الاجتماعية والروحية في عالم اليوم بسبب التكالب في سبيل المادة ؛ وديواناً شعرياً « انشودة صوفية » جسّد فيها شوق الغريب الى وطنه وتوقه الى اللانهاية قال فيها نعيمة في « الغربال » : « الريحاني شاعر ينطق بتموجات فكره ونبضات قلبه فحيثما تسمع لقلبه نبضة تجد في شعره جمالا وتسمع له رنة ... لقد اصبح اليوم وكأنه ليس منا فهو يكتب لسوانا بلغة غريبة عنا . وما يكتبه بالانكليزية اجمل وافصح وابلغ من كل ما كتبه بالعربية » . لكن الامين ما لبث ان عاد الى لغة الضاد واشتق له فيها نهجا خاصاً بدأ يظهر في كتابه « ملوك العرب » الذي جال فيه رحلته الى الجزيرة العربية واتصاله برؤسائها وشعبها في سبيل جمع الشمل وتوحيد الكلمة ، مبشراً بالعلم والتمدن — كما كتب في المقدمة — لا بالوحدة الغربية وحدود ابن عباس كما يفهمونها بالحجاز . لا والله ما جئت لانصر جهلاً مسلحاً واعزز تعصباً يفتخر بوحشيته . تبغي الحرية والاستقلال نعم ولكننا نبغي المدارس ايضاً والطباعة والمستشفيات ونبغي النظافة في المعيشة وفي اللبس وفي البيوت وفي المدن » . وقد حاول الامين ان يشرك القارئ برحلته فجعل اخباره صوراً حية كما في وصفه للامام يحي : « دخلنا فاذا نحن امام رجل ربع القامة ، صغير الرجل واليد ، اسمر اللون عالي الجبين مستدير الوجه قائمه . له فم كفم الطفل صغير بارز الا ان في مرونه وهو يتكلم اشارة تقربه طوراً منك وتارة تبعده . وفي عينيه السوداوين القريبتين من انف قصير عريض نور يضيء وشرارة في بعض الاحايين رواعة وله لحية سوداء قصيرة مستديرة تخللها خيوط من الشيب ويلبس قباء من القطن مخططاً فوق جبة ذات اردان من نسج اليمن ولعمامته البيضاء الكبيرة ذؤابة تكاد تصل الى اذنه . دخلنا

ذا هو جالس على فراش اسود وثير . تحته فراش آخر وبجادة عجمية وعن جنبيه الوسائد يتكئ عليها وامامه زجاجة من الماء وروزمة من اللفات وخادم ينتخب الفطري من غصونها فيقدمها له » .

ولم يقتصر على وصف ملوك العرب وحدهم كما يتبادر لاول وهلة . بل تناول الشعب كافة على اختلاف طبقاته من قبائل رحل وبدية وامراء ورعاة وخدم وطهاة واعطى نماذج عدة عنهم مبيناً مقدار وعيهم لامور الحياة وحقائق الكون دارساً احوال معيشتهم نافذاً الى اعماق وغائبهم : « كنت في كل قطر من الاقطار العربية افتح الأذن دائماً لجميع الناس فاسمع الشريف والبدوي والجمال والجندي والتاجر والسياسي وادون احاديثهم » .

لم يستند « ملوك العرب » كل مادة رحلة الامين بل رحلاته ، فكتب بالعربية « تاريخ نجد الحديث » و « قلب العراق » و « فيصل الاول » و « المغرب الاقصى » ، وبالانكليزية « ابن سعود وشعبه وبلاده » ، و « بلاد اليمن » و « حول شواطئ الجزيرة العربية » و « مصير فلسطين » (نشر بعد موته) وقد تنبأ فيه بتطور القضية الفلسطينية والمطامع الصهيونية[1] . وقد القى عدة محاضرات في اميركة حول هذا الموضوع واخطاره .

لم يكن للريحاني ، رغم تلقيه بفيلسوف الشركة مذهب فلسفي متماسك التركيب يتطرق حل مشكلة كونية او انسانية معينة على طريقة جديدة ، انما كانت له نظرات فلسفية على غرار حكماء الشرق القدامى وبعض رفاقه كجبران ونعيمه ، مبعثرة في آثاره ولا سيما « الريحانيات » يكوّن مجموعها نواة تجمع انتقائي توفيقي فيه من الرواقية شيء ومن علمية رينان شيء ومن الحلولية الطبيعية اشياء في اطار اختباراته الخاصة بين خلال الاجواء الاميركية والاوروبية والشرقية التي عاش فيها . والحلولية الطبيعية التي دان بها لا تختلف كثيراً عن تلك التي بشر بها نعيمه وهي تقول بان الكون هو الحقيقة وان الله ليس الا قوة تلازم الطبيعة وتحركها بل هو روح الكون ينمو دواماً وبنموه تنشأ الكائنات : « اني ارى في كل ما حولي من الطبيعة شيئاً من الجوهر الالهي » . اما الانسان في نظره فليس آدمياً ساقطاً بل كائناً بدائياً يحسنه المجتمع المتطور بفضل التقدم فيتجاوز ذاته باستمرار حتى يبلغ المستوى الاعلى . والريحاني الى هذا مفكر سياسي ملتزم دعا

(١) لم نذكر الا الكتب التي لها علاقة باغترابه ، تلك الحملة رائعته « قلب لبنان » وسائر الكتب في النقد والاجتماع التي ظهرت في لبنان من وحي الاقامة فيه .

الى القومية المتحررة من التعصب والقائمة على المصلحة المشتركة والمنطق والحرية والعدالة. انشاؤه نزق فكه سلس ، بعيد عن التعقيد والغرابة. وهو يلائم كل الملاءمة تنقل الكاتب على غير تمهيد من الوصف الى الحوار الى النقد ، فاذا لكل لون من الحديث لون من اللفظ. الجزل للجزل والغريب للغريب والخفيف للخفيف. وما اكثر التوريات والكنايات التي تأتيه عفو الخاطر والريحاني غني بمفردات اللغة ينزل الكلمة منزلتها على غير تثاقل. لقد تتلمذ في اسلوبه على الجاحظ والشدياق وفولتير من حيث الظرف والسخرية والدعابة حتى في اخطر المواضيع. فهو يعبر عادة عن افكاره بأمثلة حسية ملموسة كقوله : « رب اوهام تعيش كبعض الاطيار تعيش بيوضها في عش الحقائق ». ويعنى بالدقائق والتفاصيل ويسعى الى الكلمة المؤثرة المحيية والى اللون والحركة ويتجنب الكلام غير المألوف اللهم الا للهزء والتجريح كما في « المقامة البكجية » وهو لا يتورع كسائر المهجريين عن استعمال اللفظة التي تألفها اذنه حتى ولو لم تكن قاموسية.

جبران خليل جبران (١٨٨٣ – ١٩٣١)

ما كان جبران قد اتم الثانية عشرة عندما حملته امه مع اخيه واخته الى بوسطن ، الى حي الصينيين ، اقدم احياء المدينة واضيقها ، حيث تتعانق نواجيل الشبك واللافين على الارصفة القذرة. وارسلته الى مدرسة مجاورة تعلم فيها مبادئ الانكليزية مظهراً ميلاً الى التصوير. بعد سنوات ثلاث وقد توافر لاهله بعض المال جاء جبران الى معهد الحكمة في بيروت وتعلم العربية فيها طوال ثلاثة اعوام. وفي تلك الاثناء احب جارة له في بشري (حلا الضاهر) ابنة الشيخ. فاضطره التفارق الاجتماعي ان يختنق هذا الحب برعماً ويعود الى اميركة حيث انصرف الى الكتابة والرسم ومناجاة الحبيب البعيد. وفي ربيع ١٩٠٤ حملت « المهاجر » اول مقال له وعنوانه : « الرؤية » لفتت اليه الانظار فواصل الكتابة والنشر حتى قويت ثقته بنفسه فوضع بحثاً ذاتياً في الموسيقى تميز بالبساطة الانيقة على انطلاق خيال وجدة تشبيه. وبعد حين نشر حكايات ثلاثاً عنوانها « عرائس المروج » تناولت اولاها : « رماد الاجيال والنار الخالدة » ، كاهناً عاش في بعلبك قبل العهد الميلادي وقد اغتصب الموت عشيقته فلم يمت حبه بل كمن ناراً تحت رماد حتى اتقد من جديد سنة ١٨٩٠ حين عاد العاشقان الى بعلبك عينها وقد تقمصا غناماً وقروية بفضل عشتروت ليتذوقا من جديد « ملذات الحب ومجد الشبيبة »

والثانية « مرتا البانية » قصة يتيمة ساذجة غرر بها احد الفرسان ثم نبذها بعد ان حملت منه فتردت في البغاء لتعيل طفلها . والثالثة « يوحنا المجنون » ومسرحها يشري نفسها وقد ندد فيها بقسوة ببعض رجال الدين الذين استبدوا ببطل القصة .

وكان لهذه الاقاصيص الثورية بعض الرواج فتشجع جبران واصدر مجموعته الثانية « الارواح المتمردة » وفيها اربع قصص : « وردة الخاني » وهي تدور حول حسناء ابية استيقظت من غفلة الشباب فوجدت نفسها في منزل زوج هرم غمرها بماله لكنه ما استطاع ان يغمرها بحبه فعاشت بائسة مستوحدة حتى انتقت شقيقاً لروحها فلحقت به غير عابئة بعقد الزواج ولا بالتقاليد . و « صراخ القبور » وهي ترتكز الى حكم بالاعدام اصدره تعسفاً امير طاغية على مجرمين وبجرمة فعوقب الاول بالموت لانه قتل قائداً حاول اغتصاب رفيقة عمره والثاني شنق بشجرة لانه سرق زنبيل دقيق ليطعم اولاده الجياع والمجرمة جرت عارية الى الحقل لانها خانت زوجاً ارغمت على الاقتران به . و « مضجع العروس » حكاية فتاة احبت فتى ما لبثت ان شكت باخلاصه بسبب النسيبة ، فسلته وتزوجت من شاب آخر . وفي ليلة العرس استيقظ حبها القديم فانتحرت . و « خليل الكافر » وهي توسع في موضوع « يوحنا المجنون » الا ان مسرحها دير قزحيا لا دير مار اليشاع النبي .

كانت المجموعتان وسيلتين لنشر افكار جبران الثورية على الزواج القسري والاستبداد الاقطاعي ، حرك اشخاصها على هوى نظرياته . وقد لقيا في بعض الاوساط العربية والمهجرية رواجاً فتهافت الناشئة على قراءتهما وقد وجدت فيها تمرداً ظمئت اليه لا سيما وقد سبكه في اسلوب ملون ندي يختلف عن الأدب المومياتي المومى الذي كان ما يزال منتشراً على رغم النهضة الجديدة في اللغة والأدب . لكن بعض الاوساط الراقية في لبنان ان استعذبت اسلوب هذه القصص والخواطر التي جمعها فيما بعد في « دمعة وابتسامة » وان احبت التعبير المجنح في الحديث عن الموسيقى وان اشفقت على ضعف « مرتا البانية » وعلى بؤس « يوحنا المجنون » فانها ما كانت لترضى بالافكار الثورية الداعية الى الخروج على الشرائع والتقاليد ولا سيما شريعة الزواج فقامت حملة عنيفة على الأدب الجبراني المتمرد المسمى بـ « السم في الدسم » . الا ان جبران اعتز بهذه الحملة لانها شهرته في اكثر الاوساط ولان « الاضطهاد — كما يقول — غذاء المبادئ الجديدة » .

يشاء القدر ان تتعرف اميركية فاتنة حسناء ماري هسكل بجبران في معرض له فتعجب بتصويره وتساعده على السفر الى باريس . فتقضي هناك ثلاث سنوات يتعلم الرسم رجع بعدها الى بوسطن ثم انتقل الى نيويورك واقام في غرينتش — فيلاج . حي الفنانين . ثم نشر قصته « الاجنحة المتكسرة » التي كتبها قبل سفره وروى فيها حبه الاول جاعلاً « سلمى » على صورة حلا الشاعر . وهذه القصة سلسلة اعترافات وجيعة في اطار زاهر بالتشابيه والاستعارات الطريفة . وعن طريقها عرف جبران نسيب عريضة وخائيل نعيمة وبدأ التعارف بينهم وبين سائر الأدباء المجددين الذين جمعتهم ، ما عدا الريحاني ، الرابطة القلمية .

لكن جبران رغم مجده الادبي الطالع استمر فريسة « الملل الذي يميت » فاذا حياته في نيويورك كدولاب تحركه ايد خفية . دولاب اعوج لا يعرف الانسجام في دورانه كما يقول لي في رسالة اليها . وما لبث هذا الملل ان تفجر في اعماقه حنقاً على الجو الذي خلقه وعلى الناس فاذا هو في « المسيح المجنون » الذي ظهر في كتابه « العواصف » يخاطب نفسه ويريها ما يحيط بسجنها من كائنات عادت لا تليق بمن عرف نيتشه مثله : « هذا كالخنزير قذارة اما لحمه فلا يؤكل . وهذا كالجاموس خشونة . اما جلده فلا ينفع . وذاك كالحمار غباوة ولكنه يمشي على الاثنين . وذلك كالغراب شؤماً ولكنه يبيع نعيه في المآكل وتلك كالطاووس تيهاً واعجاباً . اما ريشها فمستعار » .

ويبقى من ثورة نفسه نور لا يضل به على مظاهر العمران والحضارة ، فاذا القصور والمعاهد اوكار ضيقة تحجب النور فتذبل في ظلالها ازاهر الشباب وتترمد في زواياها جمرة الحب . واذا الشوارع والازقة اودية خطرة يتربص في منعرجاتها اللصوص والخلائق العجيبة . غير ان هذه الثورة المجسدة في « العواصف » ما لبثت ان هدأت فاذا جبران يتمرس على الكتابة بالانكليزية وقد ساعدته عليها ماري هسكل وكان اول ما نشره في هذه اللغة « المجنون » وهو الكائن الجبراني الذي تجرد من براقعه الكثيفة فصار يحس بالشمس ساطعة امام عينيه ، وصار يرى في الانسان والله والعالم وحدة لا تتجزأ وصار يمجد القوة ويحتقر الجبن والاستسلام . انه مزيج من الناصري وزردشت بل هو « الجبران » الذي كان يود يومئذ لو يكونه قبل ان تتبلور في ذهنه فكرة « النبي » . فهو ان تكلم فكالرسل او الانبياء . « الحق الحق اقول

لكم ». وان تمنى فاقصى مناه ان يصلب كما صلب الشهداء . انه غريب على هذه الارض يحاول عبثاً ان يتناهى والغير . انهم من غير جبلته . « لم انا ها هنا يا الهة النفوس الضائعة ؟ ! انه كالليل صامت وعميق . في قلب وحدته تكمن الاهة تتمخض بمولود علوي تأتلق بكيانه الجنة والجحيم . وفي اذنيه تخيب الامم المستعبدة والتحسر على الممالك المنهجورة . وفي نفسه يحمل وقر الشرق العربي المستضعف المتقاعس عن رسالته .

في « المجنون » حكايات لاذعة التهكم ، بعيدة المغزى . تجسد مرارة الحيبة والنقمة على الخبث والجهل والتحجر . ولربما جعل المؤلف بطله مجنوناً ليصح فيه قول المثل السائر : « مجنون يحكي وعاقل يفهم » او لان الجنون ، على زعمه ، هو اول خطوة نحو التجرد الرباني وهو يساعد ، في عرفه كما في عرف المدرسة السريالية ، على ادراك ما وراء نقاب العقل من اسرار .

بعد ان صدر « المجنون » راح جبران يعدّ قصيدته « المواكب » للطبع فاصدرها في سنة ١٩١٨ اثينة الاخراج ، مزينة بالرسوم الحجازية .

والقصيدة طويلة وموزونة ومقفاة على غير عادة جبران . فيها صوتان متقابلان . بل متكاملان ، وكأنهما في حوار . اولهما يعبر عن نقمة الشاعر على حياة الانسان وما فيها من شر وقبح ولؤم وصراع وضعف وظلم ، فوجد ان الخير لا يتسع فيها الا جبراً ، وان اكثر الناس آلات متحركة . وافضلهم قطعان بعيد للذي يأتي الخضوع .

اما الصوت الثاني ، وفيه شيء من نبرة رومنسي ، فيتغنى بحياة الغاب ، حياة الفطرة والطبيعة ، حيث لا حزن ولا هم ولا سم ولا عقاب ولا ظلم ولا نزاع ، حيث القوة الخلاقة اللامنظورة تدير الامور على خير وجه ، وحيث اثنين الناي ، رمز التناغم في وجود الكائنات ، يبقى بعد ان يفنى الزمن وتفنى الحياة والذئوب والشموس والنجوم ...

والصوتان ، على ما يبدو ، ليسا صوت شيخ وصوت شاب يتعارضان . بل صوتي جبران نفسه . واحد يعبر عما ترى عينه من ألم وقبح وتشويش وقلق وشر والآخر يستوحي خياله فيصدر عن عالم الهدوء والامن والموسيقى والصفاء . انه حوار ذاتي يدور في اعماق الشاعر حول ما هو كائن وما يجب ان يكون . فلا ينتهي الصوت الاول من تبرمه بمفاهيم العدل والدين والعلم والحرية والحب وما اليها في دنيا البشر حتى يرد عليه الصوت الثاني : صوت فتى الغاب ، في نهاية كل مقطع فيجد الطبيعة وسلامها ونغمة الناي عنوان

الخلود والحياة الشاملة . انها وجهها الثنائية التي تعرف هنا في « مجنونه » الخير والشر . والروح والجسد . حاول ان يذوبهما هنا في وحدة الوجود :

« لم اجد في الغاب فرقاً بين روح وجسد
فالهواء ماء تبادى والندى ماء ركد
والثرى زهر تمادى والثرى زهر جمد »

شغل تأسيس الرابطة القلمية جبران فترة من الزمن انصرف بعدها الى الكتابة بالانكليزية فنشر « السابق » وموضوعه رمزي شعري : « اربع ضفادع اجتمعن على خشبة عائمة في النهر » فأخذن يتجادلن عن المحرك الذي يحركهن . قالت الاولى : انه الخشبة . وقالت الثانية انه الماء . بل هو الفكر ردت الثالثة معترضة . فلولا الفكر لما كانت الحركة . واذ لم يتفقن على رأي سألن الرابعة . فأجابت . ان كلاً من اخواتها اصابت فيما ارتأت . فالحركة انما هي في الخشبة وفي الماء وفي افكارهن ايضاً . فما كان منهن الا ان اخذن بخناق الاخيرة وقذفن بها الى النهر . وذلك لان كلاً منهن أبت ان يقال عن رأيها انه ليس معصياً وان آراء رفيقاتها هي الخطأ بعينه » .

وعدا الحكايات والامثال : العميقة الحكمة على بساطة السرد . يتضمن « السابق » قصائد منثورة يتناول اكثرها شقاء الروح في عالم المادة وتوقها الدائم الى العالم الاسمى حيث تعانق الروح الكونية الشاملة . ثم تتعدد من جديد فتستأنف دورانها في العالم الفاني حتى الازل . « كلنا سابق لنفسه . مما نحن عليه اليوم سيكون اساساً لما نصبح فيه غداً . فحياتنا الحاضرة هي لاحقة لحياة مضت قبلها وسابقة لحياة ستأتي بعدها . والحياة الآتية بعدها ستصبح بدورها سابقة لحياة اخرى . وهكذا بلا نهاية . نزرع في هذه الحياة ما جنيناه في حياة سابقة . ثم نحصد ما زرعناه في الحياة لنعود ونزرعه في حياة بعدها . فنحن الحقل ونحن الزارعون ونحن الحصاد ونحن الحاصدون » .

انها الافكار الجبرانية عينها التي شكلت اللحمة الرئيسية في آثاره العربية يرددها في قالب انكليزي لا يختلف عن القالب العربي الا بقدر ما تقتضيه عبقرية اللغة الانكليزية من اقتصاد في التزويق . وبقدر ما تسمح له امكاناته فيها الانطلاق في مهب الخيال .

شدّ جبران الى بوسطن وشج وثيق فكان يؤمها بين حين وحين . كان فيها مس هاسكل واخته مريانا وخلان اعزاء . وكانت فيها ذكريات شبابه

الحلوة ـ المريرة تشقى على الجو سراباً عاطفياً مغرياً . الا ان هذا السراب تتلمس ذات يوم فبدأ الواقع المجرد بألوانه الباهتة وظلاله المكفهرة وضجيجه وعجيجه . فاذا هو في تلك المدينة بين صحته المشوشة ومشيئة الناس به أشبه شيء بآلة موسيقية محلولة الاوتار في يد جبار يضرب عليها انغاماً غريبة خالية من الالفة والتناسب ؛ بل اذا هو بين الف عمل وعمل مثل نحلة مريضة في حديقة ازهار .

ويلجّ به الحنين الى لبنان واوديته وبيادره حيث الطبيعة الهادئة ارفق به من الناس وأوفى . لكن انّى له ان يرجع اليه ومشاغله الكثيرة تفرض عليه البقاء في اميركا : وجسده المتهازل يبعث في نشاطه فتوراً يزيد .

بعد «السابق» ظهر «النبي» سنة ١٩٢٣ في غلاف اسود عليه صورة النبي «المصطفى» وقد جرى احد عشر رسماً تنطبق على مغزى الفصول وتساعد في تنوير غوامضها .

وضع جبران «نبيه» بشكله النهائي ، وهو يعارك الداء المستبد ولا يدري ما تكون نتيجة العراك . كان يكتب منه صفحة : وهو يفرغ التصومعة مهدداً أله : وصفحة وهو يتنزه في «السترال بارك» شتاء : او في غاب كوجاست : على الشاطئ صيفاً . وقد خطه على دفترين احمرين كتب بالعربية في نهاية ايلما : «يا اخي ان كل مشكلة تقلقك قد اقلقتني ايضاً» وفي آخر الثاني : «ساعد يا ربي لتكتب حقيقتك مغلفة بجمالك في هذا الكتاب» .

انطوى «النبي» ، الذي يعتبر بحق رائعة جبران . على خلاصة آراء المؤلف في الحب : والزواج : والاولاد : والبيوت : والثياب : والبيع : والشراء : والألم : والجرائم : والعقوبات : والحرية : والشرائع : والعطاء : والعقل : والهوى : والاثم : والصداقة : والدين : والموت : واللذة : والجمال . وقد وردت على لسان نبي سمي «المصطفى» .

حلّ المصطفى في مدينة اورفليس ومكث فيها اثني عشرة سنة مترقباً عودة سفينته ليستقلها ويرجع الى حيث ولد . كانت ايامه في تلك المدينة ، كآبة موصولة ووحدة أليمة . لكن عزّ عليه ان يغادرها . لانه احبّها . ولما دنت ساعة الرحيل ودّ لو يصحب الجوّ الذي اودعه بعض روحه . لكن هيهات ان يحمل النسر عشه عند الانطلاق ... فتنازع نفسه شعوران متناقضان : لذة الانعتاق من الغربة ، وحرقة الوداع .

اجتمع اهل اورفليس ساعة الزحيل حول المصطفى واسترحموه ان يبقى بينهم لانه روح محبة ونور مشرق . ولانهم احبوه واحبوه ولم يدركوا عمق هذه المحبة الا عند الفراق . وكان بين هؤلاء امرأة . ولا كالنساء . احبها « المشرة » (لعلها مارى هاسكل !) كان يتطلعها « النبي » بحنان وحب لانها اول من آمن به . سألته ان يخطب فيهم . ويفيض عليهم من حكمته . ويكشف لهم اسرار الحياة من المهد الى اللحد . فلبى بسخاء ...

وهمست المشرة تسأل : والمصطفى يجيب : فاذا المحبة نار تطهر الانسان بعد ان تحرره من قشوره وتطحنه وتعجنه . لتجعل منه خبزاً مقدساً لمائدة الاله . واذا العطاء في الطبيعة حاجة كيانية . فالقطعان والاشجار لم تعط تعرضت للهلاك . فالحياة هي التي تعطي الحياة . والانسان ان هو الا شاهد على عطائه ليس الا . واذا العمل بركة وتحقيق لحلم الارض البعيد : يخصب المعرفة بقدر ما تخصبه المحبة . واذا الفرح والترح توأمان لا ينفصلان يأتيان معاً ويمضيان معاً . واذا القتيل مشارك في الجريمة . لان المجموع متضامن مع الفرد في السير نحو الذات الالهية . واذا جذور الشر وجذور الخير مشتبكة معاً في قلب الارض الصامت . واذا توبيخ الضمير هو العدالة التي تتوخاها الشريعة . واذا الالم انكسار القشرة التي تغلف الادراك . وذا الخير في الانسان حنين الى ذاته المجاورة . واذا الجسد قيثارة النفس . وذا الجمال قلب منقلب . ونفس منتونة . وابدية تنظر الى ذاتها في مرآة . واذا الدين كل ما في الحياة من عمل وتأمل . واذا الرب يمشي في السحاب ويبتسم بثغور الازهار . واذا الموت ذوبان في حرارة الشمس .

وآن المساء فنزل المصطفى من على درجات الهيكل يمشي . فتبعه الشعب بأسره حتى المرفأ ليودعه ويعده بالرجوع اليه مع المد . واستقل السفينة مليئاً امر الرياح بالذهاب وقد بارك اهل اورفليس الذين احبهم من اعماق قلبه مع انه لم يخالطهم . ولم يدخل مساكنهم . وعاد الى جزيرته . مسقط رأسه . كما عاد زرادشت في آخر المطاف الى جزائره البعيدة .

ووصل الجدول الى البحر . واتيح للام العظيمة ان تضم ابنها الى صدرها من جديد . لكنه سيعود لان امرأة اخرى ستلده .

وبلغ الاسلوب الجبراني حدّه الاسمى في هذا الكتاب : فاستقامت الانكليزية للمؤلف استقامة لم تتوفر في العربية على وحدانية الجوهر . الا انه سواء كتب بلغة الضاد . ام بلغة شكسبير : كان يصور افكاره تصويراً

ويستنبط الالفاظ اقصى طاقتها الايحائية في اتساق تركيبه وضبطه بالنسبة الى المعاني التي تؤدي .

وما اكتفى جبران بتبيه الذي جعله عالمي الشهرة بعد حين بل واصل مطافه الطويل فنشر «رمل وزبد» . مجموعة خواطر بل حفنة من الرمل وقبضة من الزبد ، على حد تعبيره . جاء فيها ان الانسان عابر طريق في هذه الحياة . يتمشى على شواطئها فيمحو المد آثار قدميه وتذهب الريح بالزبد . الا ان البحر والشاطئ (رمز الحياة) يظلان الى الابد ، وعناصر الطبيعة تتحول على غير انقطاع . الضباب يصير دودة والدودة عصفوراً والعصفور رجلاً والرجل ضباباً من جديد .

انها نظرات جبران المألوفة في التناسخ . وفي وجود الروحانا . وفي اتحاد الانسان بالطبيعة على الطريقة الحلولية وفي الوهية الانسان بالقوة يعبر عنها هنا في غير طريقة الاسلوب . تظهر خلال التناقضات البيانية والكنايات .

ما ان تنفض جبران يده من «رمل وزبد» حتى انكب على «يسوع ابن الانسان» . ذلك الكتاب الذي شاءه تتويجاً لرسالته الادبية . فما انقضى ثمانية عشر شهراً حتى صدر انيقاً في اخراجه ، غنياً في اسلوبه ، غنياً في رسومه .

ما اراد ان يكتب سيرة يسوع كتابة المؤرخ المدقق بل رام ان يرسم صورة شعرية لمفهوم خاص . كان يرى ان المسيح ، عاش حياته البشرية حتى الطفاف فما ترك كأساً من كؤوس النشوة الانسانية الا تجرعها ولا لذة انسانياً الا عاناه من خلال الوهته ولم يعرف حياته ضباب ولا دنس .

اما طريقة التعبير عن هذا المفهوم فخاصة به . لقد جعل سبعة وسبعين رجلاً وامرأة من معاصري يسوع ، منهم من ذكره الانجيل ومنهم من ولده خياله ، يتحدثون عن الناصري ، كلاً على هواه . ويبينون خطوط صورته العجيبة كما وعاها المؤلف . ويختم الاحاديث رجل من لبنان (لا يختلف كثيراً عن جبران) بعد تسعة عشر قرناً فيرى ان اولئك الذين رفعوا الصليب على كل قمة انما رفعوه دليلاً لاقدامهم الدائمة . فهم لا يقصدون تكريم الرجل الحي الذي فتح عينيه ونظر الى الشمس باجفان غير مرتعشة لانهم لا يعرفون هذا الرجل ولا يريدون اتباع خطاه . والذبائح التي يقدمونها امام عرشه ، انما يقدمونها لذواتهم السجينة ، بينما هو وحده ذاتهم البعيدة وشوقهم اللامحد .

بعد « يسوع » نشر جبران كتابه « آلهة الارض » وفيه نظراته في الحياة والانسان وقد خبرها الاختبار المكثف . واهمها سعي الانسان الى مجاراة الآلهة . لان مجده لا يبدأ الا عندما تمتص شفاه الآلهة المقدسة نسغه الخالص على غير هدى ؛ وكما ان حبة الحنطة الصماء تتحول الى الشهوة محبة عندما يبتلعها البلبل . هكذا الانسان لا يتذوق الالوهية الا اذا كان خبز الآلهة . عند ذلك يجرد نفسه من حدود الزمان والمكان ليعبر الى عالم الشفق البعيد . ولربما استيقظ في فجر عالم آخر ؛ لكن المحبة باقية ولن تمحى آثارها . انها السلم الذي يصل الارض بالسماء .

لكن طاقة الجسم حداً مهما يكن شأن الارادة فقد اعتلت صحة جبران نتيجة النشاط المتواصل كتابة وتصويراً فتوقف مرغماً وتاق الى تلك الراحة التي تبعث الحيوية في عروقه تحت ظلال الارز .

« الألم يد خفية تكسر قشرة النواة لتستنبت لبابها . لم ازل رهن الاطباء الاخصائيين وسأبقى رهن مقاييسهم وموازينهم حتى يتمرد جسدي عليهم او تتمرد روحي على جسدي . ولكن تمردت او لم اتمرد فلا بد من الرجوع الى لبنان ؛ لا بد من التملص من هذه المدينة الساترة على دواليب ومعانقة تلك المدينة المتلألئة بنور الشمس . انني اريد ان اذهب الى لبنان وابقى ذاهباً »[1] .

لكنه ما استطاع ان يحقق حلمه هذا . فانطفأ وهو في عنفوان العطاء تاركاً كتابين ظهرا بعد موته « النائه » و « حديقة النبي » .

وغاب ذلك الوجه المشرق الذي طبع مرحلة انطلاق الادب المعاصر بطابعه المميز . فاذا المدرسة الجبرانية تنتشر في كل بلد عربي . واذا ما كتبه المغتربون عن صاحب « النبي » وترجموه في الاميركتين لا يعادله الا ما انتهى من وحي لبنان . واذا « النبي » ؛ وقد ترجم الى ٣٩ لغة[2] يتصدر واجهات المكتبات في الولايات المتحدة منذ حوالى نصف قرن ويستمر فيتلو الكثيرون آياته وكأنها من الاسفار المقدسة . واذا ضريحه محجة كل سائح عرف بلادنا خلال هذا الساحر . على حد تعبير آلاف المعجبات والمعجبين به . الذي دخل الاسطورة والتاريخ من الباب العريض .

(١) رسالة الى فيلكس فارس سنة ١٩٣٠ .

(٢) له في العربية وحدها اربع ترجمات : للارشمندريت بشير ؛ نخايل نعيمه ؛ ليوسف الخال ، ونشرت عكاشه .

وله بالفرنسية اربع : للآنسة بولانجه ، لكيل ابو سوان . لشارل قرم ؛ لانطوان كرم .

ايليا ابو ماضي (١٨٩١ — ١٩٥٨)

ترك لبنان (الحيدثة) وهو في اول العمر الى مصر حيث مارس الصحافة في « الهلال » الا انه لم يتبع طويلاً بعمله هذا فاجتذبته الولايات المتحدة وآفاقها الرحبة اليها فسافر الى نيويورك وأنشأ فيها صحيفته « السمير » واتصل برفاقه الشعراء المهاجرين الذين جمعتهم فيما بعد الرابطة القلمية فحدث انقلاب في نظريته الشعرية . فبعد ان كان ينظم الشعر على طريقة العباسيين وهو في وادي النيل تحوّل الى التجديد في المباني والمعاني : فاشتهر شاعراً اكثر منه صحفياً على رغم استمراره بالتحرير . وقد جمع قصائده في ديوانين « الجداول » و « الخمائل » . كان ابرز من دعا اليه في الصحافة الشاعل الدبني على طريقة امين الريحاني فتميز بنقده الساخر اللاذع . اما في شعره فقد تجاوز الخصائص العامة التي ميّزت الشعر المهجري فلقح قصائده بنزعة فلسفية صريحة .

ايليا ابو ماضي شاعر واقعي عضه البؤس فولّد فيه مرارة ونقمة على الوجود والقدر . وقد بلغت به النقمة حدّ الشك بكل شيء لربما بانتظار اليقين عن طريق الشك ، لكنه ضاع قبل الوصول . اسئلة كثيرة طرحها على ذاته حول معنى الحياة والحرية والموت وما بعده فعجز عن جواب يطمئن اليه فاذا هذا القلق محور الكثير من شعره ولا سيما قصيدتيه : « الطلاسم » و « لست ادري » غير ان « اللست ادري » التي تتردد كاللازمة لا تتخذ في شعره شكلاً مذهبياً بل تظل احساساً شعرياً غامضاً . ولعل مصدر هذا التشاؤم هو طموح الشاعر الكبير وعجزه عن تحقيق الا القليل مما صبت اليه نفسه ، حتى هذا القليل لم يبق منه الا ظل بعد المثال . لذا انكمش على ذاته في اثانية حاقدة وانشد :

كل نجم لا اهتـــداء به لا أبـــالي لاح او غربا
كل نهر لا ارتواء بـــه لا ابـــالي سال او نضبا

لقد يئس حتى من النعيم فدعا الى التمتع بملذات الحياة قبل الرحيل . غير انه مع هذا آمن بخلود الشاعر لانه بشعره يتحدى الفناء :

لا تجزعي فالموت ليس يغيرنا فلنـــا اياب بعده ونشور

ان بعض قصائد ايليا ابو ماضي في الدعوة الى اللذة تذكرنا بعمر الخيام ولا سيما « تعالي » :

تعالي نتعاطى كأس الخمر او سمّ ... ونسقي النرجس بقايا الراح في الكأس
فلا يعرف من نحن ولا يدري ما نصنع ... ولا يقال عند الصبح نجوانا الى الناس
تعالي نسرق اللذات ما ساعدنا الدهر ... وما دمنا وما دامت لنا في العيش آمال
فان مر بنا الفجر وما ايقظنا الفجر ... فما يوقظنا عالم ولا يوقظنا مـــال
تعالي نطلق الروحين من حبس التقاليد ... فيلهو زهر والوادي ويلهو العطر في الوادي
وهذا الخمر تيه فخور بالاشاريد ... فمن ذا عفف الزهر او من وبخ الشادي؟

وشبلي ايوب (١٨٧١–١٩٤١)

لقد آمن وشبلي ايوب كذلك و بدواه ، الخمرة لكنه ما تورط في الشك بل استعان بالنشوة كما استعان بها ابو نواس وسيلة للذهول عن وقع مواليم .

وقائلـــة لمـــا رأتـــني مكثرا ... من الخمر ان الخمر تذهب بالنب
فقلت دعيني في رشادي فانني ... اعوض عما يشرب الحزن من قلبي

ثم يحول قط ان يفلسف شعره بل هو فطرياً ينظم قصيدته كما يغني موّالا او يثر على العود ترجيعاً لمحزون . وهو في دواوينه الثلاثة «الايوبيات» و «اغاني الدرويش» و «ذهب الدنيا» لم يتجاوز الخصائص التي ميّزت الشعر المهجري بوجه عام .

ميخائيل نعيمه (ولد في بسكنتا سنة ١٨٨٩)

لا شك ان ميخائيل نعيمه ادى دوراً مهماً في تطاق الادب المهجري ان قل شأنه عن دور جبران فانه ما قل عن دور اي اديب مغترب آخر . فهو بعد ان تعلم في الناصرة في المدرسة الروسية واكمل دراسته في روسيا نفسها سافر الى اميركا لتحصيل الجامعي وبمزاولة التجارة بالوقت ذاته . وهناك في نيويورك كان التقاؤه بجبران اللحظة الحاسمة في جمع شمل الادباء اللبنانيين والسوريين في الولايات المتحدة وتعاونهم في سبيل خلق حركة جديدة تجلت في الرابطة القلمية .

بيد ان نعيمه ، بعد موت جبران ، عاد الى لبنان ليعيش ناسكاً في شخروبه بجوار صنين فقضى اكثر عمره في الوطن الاول وكتب فيه معظم نتاجه النثري . لكن هذا النتاج كان في اكثره اما توسعاً في افكار عبّر عنها في المهجر بشكل بدائي ثم انضجها في صفاء التأمل واما تعبيراً عن خواطر عنّت له هناك وتمخض بها . كتابه عن جبران مثلاً ولو ظهر في

لبنان فانما هو نتاج اختباره المهجري وكذلك «سبعون» في جزئيه الاولين وبعض نظرياته في «مرداد» و«المراحل» و«زاد المعاد». لذلك ان لم نتبسط في درس هذه المؤلفات باعتبارها من نتاج مقيم فلا يسعنا الا ان نلقي نظرة عامة على طريقته الكتابية التي ظلت هي هي. وعلى خط تفكيره الفلسفي الذي ما زال في سياق نقطة انطلاقه. اما المؤلفات التي كتبها نعيمه في اميركا فهي. عدا ديوانه «همس الجفون» و«كان ما كان» و«الغربال» و«مذكرات الارقش» و«الآباء والبنون».

«كان ما كان» مجموعة قصصية من وحي لبنان وعاداته وتقاليده ومن وحي الهجرة كتبها باسلوب فكه ساخر سار عليه في مجموعتيه اللاحقتين «اكابر» و«ابو بطة» الا انه تميّز في مجموعته الاولى بطرافة قلما وجدناها في القصص اللاحقة. قصته «ساعة الكوكو» مثلاً وما ترمز اليه من العقلية المنفتحة على عالم مذهل تبقى مرحلة في تاريخ تطور القصة القصيرة. اما «الغربال» فهو مجموعة دراسات نقدية تصدّى فيها للادب المعاصر بجرأة ومنطق ولا سيما الادب المهجري فدافع عن الذين أُخذت عليهم هنات لغوية دون التفات الى الجوهر المبتكر. مقاله «نقيق الضفادع» نموذج حيّ عن طريقته النقدية البارعة:

«ان اللغة التي هي مظهر من مظاهر الحياة لا تخضع الا لقوانين الحياة. فهي تنتقي المناسب وتحتفظ من المناسب بالانسب في كل حالة من حالاتها. وكالشجرة تبدل اغصانها اليابسة باغصان خضراء واوراقها الميتة باوراق حيّة. وحين لا يبقى لها في تربتها من غذاء تموت بفروعها وجذورها.

«... سألتكم يا سادتي باسم العدل والفهم والقاموس. لماذا جاز لبدوي لا اعرفه ولا تعرفونه ان يدخل على لغتكم كلمة «استحم»[1] ولا يجوز لشاعر اعرفه وتعرفونه ان يجعلها «تحمم»؟ وانتم تفهمون قصده بل تفهمون «تحمّم» قبل ان تفهموا «استحم». ان شأننا مع فضادع الادب لشأن والله غريب عجيب. يطالعون ما نكتب فيقولون: نعم الافكار ونعم العواطف ونعم الاسلوب لكن... «اللغة»: كأننا فيما نكتب او ننظم نلقي عليهم دروساً في اللغة وكأن لا همّ لنا من النظم الا ان نتحاشى الخطف والاشباع واستعمال «تحمّم» بدلاً من «استحم»».

(١) اشارة الى جبران حيث يقول: «هل تحمت بعطر» في «المواكب».

قدّم عباس محمود العقاد « لغربال » بقوله : « صفاء في الذهن واستقامة في النقد وغيرة على الاصلاح وفهم لوظيفة الادب وقبس من الفلسفة ولذعة من انتهكم ... رأيت قلماً جاهداً في طلب الشعر الصحيح : شعر الحياة لا شعر الزخارف والعطل ، ورأيته ينعي على الشعر الزيف الذي تركنا بلا شعر ولم يبق في حياتنا ما ليس منظوماً سوى عواطفنا وافكارنا ، ورأيته يريد من الشاعر ان يكون نبياً وينكر ان يكون بهلواناً ، ويريد من الشعر ان يكون وحياً وإلهاماً وينكر ان يكون ضرباً من الجلجل والجمز والمشي على الاسلاك والانتصاب على الرأس ورفع الاثقال بالاسنان ولف الرجلين حول العنق الى ما هنالك من الحركات التي تجيدها القردة ايما اجادة » .

« فذكرات الارقش » خواطر في الحياة والوجود فيها بذور افكاره الصوفية التي نجلت فيما بعد تشكلت نواة مذهب حلولي . اما « الآباء والبنون » فمحاولة مسرحية حول الخلاف الابدي بين الآباء والبنين والتباين الدائم بين القديم والحديث في اطار شرقي كتبها بلغة فصيحة وعامية في آن واحد وقد وضع لها توطئة تناول فيها الرواية التمثيلية العربية وتطورها قال فيها : « الرواية التمثيلية : من بين كل الاساليب . لا تستطيع ان تستغني عن اللغة العامية . انما « العقدة » هي اننا لو اتبعنا هذه القاعدة لوجب ان نكتب كل رواياتنا باللغة العامية وذلك يعني انتراض لغتنا الفصحى فأين المخرج » . وقد وجد نعيمه المخرج في جعل متعلمينا من اشخاص مسرحيته يتكلمون لغة معربة والاميين لغة عامية[1] .

اما « جبران خليل جبران » الذي نشره في بيروت بعد رجوعه فهو سيرة روائية لصاحب « النبي » وضعت باسلوب رائع الحبرية اجمع النقّاد على الاشادة بها ، رغم ان معظمهم اخذ على المضمون مآخذ شتى . منهم من رأى ان نعيمه لم يرو حياة جبران بل حياته هو من خلال جبران على حد قول صلاح لبكي . ومنهم من رأى ان المؤلف لم يكتب عن جبران كما هو بل كما رآه وتصوره وتخيله . ومنهم من رأى ان نعيمه حاول لغاية في النفس ان يحط من قدر جبران فيجعله يؤدي دوراً ثانوياً بالنسبة اليه . ومن هؤلاء امين الريحاني .

بعد ان رجع نعيمه الى لبنان كتب في جميع انواع الادب من القصة

(١) اصدر نعيمه مسرحيته الثانية سنة ١٩٦٩ وعنوانها « ايوب » بصفة فصحى باعتبار ان موضوعها تاريخي .

الى الرواية الى البحث الى المقالة الفلسفية الى الخواطر الى اليوميات الى المسرحية غير ان اسلوبه الكتابي قلما تغيّر من حيث البساطة والدقة في التعبير . لكن اللذعة الساخرة تقلصت منه مع الايام خصوصاً وان ناسك الشخروب تطور في صوفيته حتى تغلب الطابع التبشيري على تفكيره . اما افكاره التي انضجتها التجارب فلها بذور كثيرة في كتاباته الاولى . قال مثلاً في مقدمة « الغربال » : « الطبيعة اكبر مغربل . اولا تراها في كل حالاتها تنبذ وتحتفظ ؟ الا تراها في الشتاء تكفن الارض بالثلوج او تغمرها بالغيث لتحفظ من الفساد ما في رحمها من جراثيم الحياة واذ يأتي الربيع تحول الثلج ماء وترسل ما زاد منه عن حاجتها الى البحور . وما بقي تبعثه مع حرارة الشمس الى لباب الحبة قوة تنشط بها من الموت الى الحياة .. وعندما تنبثق الحياة اوراقاً وزهاراً تحتفظ بالازهار الى ان تكون الاثمار وتبعثر الازهار » .

انه مبدأ الوحدة بين الانسان والطبيعة والخالق والعودة الخالدة وسمو الروح كما تفهمها الهندوية قد بدأ يطل برأسه ليتجلى فيما بعد في « مرداد » . ومرداد هو النبي المرشد الى طريق الروح التي تهيئ له « المراحل » مرحلة الزرقانا . او في « اليوم الاخير » حيث يقول : « فما دام في الكون ما يزعجني دمت بعيداً عن الانسجام مع الكون : وما لم انسجم مع الكون انسجام قطرة الماء مع البحر سأبقى في صراع مع الكون » .

ان الوان الادب على اختلافها بالنسبة الى مخايل نعيمه ما هي ذرائع فنية للتعبير عن افكاره الحلولية الروحانية في الكون والانسان والطبيعة . حتى في شعره الذي انطوى على اكثره ديوانه « همس الجفون » تبرز هذه النزعة من خلال الحنين الى المطلق .

كتب نعيمه بالانكليزية والروسية شعراً قليلاً . فقصيدته « النهر المتجمد » كتبها اولاً بالروسية ثم ترجمها الى العربية . وبين قصائده بالانكليزية « السباق الذي لا ينتهي » التي نشرت التايمس سنة ١٩٢٨ وترجم هو نفسه بعض قصائده الى العربية ويقول في خاتمة احداها :

« ناري تميد وتلهث وتلملم السنتها
والرماد يختم شفتيها على مهل
والذي اخفاه عني تحت خاتمه
سأبى على كشفه الليل الغيور »

الا ان نعيمه عاد في لبنان فكتب من جديد بالانكليزية « جبران خليل جبران » و « مرداد » .

وثمة ادباء في الولايات المتحدة ولكسيك امثال نعمه الحاج وسعود سماحة وتوفيق الشرتوني لم يتجاوزوا في شعرهم وفي نثرهم الخصائص العامة للشعر المهجري . وكذلك في اميركا الجنوبية . لذا لن نتوقف الا عند البارزين من اعضاء « العصبة الاندلسية » .

الشاعر القروي (ولد في البرباره سنة ١٨٨٧)

سافر في اول عمره الى اميركا الجنوبية وجال « الكشة » كما رأينا في مذكراته . لكنه ان لم ينجح في التجارة فقد نجح في شعره ولا سيما الوطني منه وفي بعضه نفس ملحمي .

في شعره حنين الى لبنان كما في قوله : « احن الى لبنان حنيناً يغلبني على امري . اشتهي ان امشي على ترابه حافياً وان اتوسد خشبه وحجارته » .

« بربارتي هل بعد فيك من الاحبة من بقية

« يا برازيل لو افضت علي المال فيضاً ما طاب فيك المقام » .

الا انه اشتهر بدعوته العروبية حتى ان صديقه جورج صيدح لقبه بقديس الوطنية العربية . كان يدعو في شعره الى التحرر من التعصب الطائفي ومن الجهل والتفرقة في سبيل تضامن عربي متين يقف بوجه كل طامع . وفي شعره قصائد كثيرة دفاعاً عن القضية الفلسطينية واستثارة حمية العرب ومن ابرز قصائده تلك التي عنوانها « وعد بلفور » يقول في مطلعها :

« الحق منك ومن وعودك اكبر فاحسب حساب الحق يا متجبر »

وتناول رشيد سليم الخوري وهذا هو اسمه الحقيقي الصحافة في جريدة « الرابطة » فتولاها بعد موت مؤسسها خليل سعاده . لكنه لم يعرف الا شاعراً . وقد جمعت قصائده في عدة دواوين : « الاعاصير » . « الرشيديات » . « القرويات » . « البوكير » . « التمازج » .

اما الياس فرحات فقد جارى القروي في نزعته العروبية لكنه كان مقلاً . ومن ابرز شعره رباعياته التي صوّر فيها حياته وثورته على القدر ووصف آفات المجتمع العربي وطرق اصلاحه باسلوب ساخر احياناً :

« دع آل عيسى يسجدون لربهم عيسى وآل محمد لمحمد

انا لا اصدق ان نعت مؤمناً اوفى لربك من شريف ملحد

شعره غنائي عذب في اكثره . لكنه قليل التجديد مبنى ومعنى .

عقل الجر (١٨٨٦ – ١٩٤٦)

ترك بخشوش الى القاهرة حيث عمل مع مواطنه داود بركات في « الاهرام» ثم سافر الى البرازيل وأسس في ساوباولو النادي التينيقي الادبي مع فوزي المعلوف . كان في شعره محافظاً وابرز ما كتبه في الغزل وفي حب لبنان . وفي دعوة الابناء لبلوغ مجد الجدود :

لا بـــارك الله في يوم نـــام بـــه ... فـــيماً فيبرأ منا مجد ماضينا
الم نكن وعيون الشرق شاخصـــة ... شعباً عـــلى صغره فاق الملايينا
الم نكن وبخار الكون مسرحنـــا ... نلقي على ايبـــا شتا مراسينـــا
الم نكـــن لبني الدنيا اساتـــذة ... حتى حروف الهجاء من صنع ايدينا
انـــا ثبتنا ثبات الارز في جبـــل ... قد جاور الله في اعلى علينـــا

اما اخوه شكرالله الجر فقد سافر الى البرازيل سنة ١٩١٩ وأنشأ «الأندلس الجديدة» ناطقة باسم ادباء اميركا الجنوبية ثم مجلة « الزنابق » . كتب في النثر دراسة عن جبران « نبي اورفليس » ومجموعة نقدية « المنقار الاحمر » وله ديوانان « الروافد » و « زنابق التجر » .

فوزي المعلوف (١٨٩٩ – ١٩٣٠)

نشأ في بيت ادب وعلم في زحلة وتولى وظيفة في دمشق ثم سافر الى البرازيل سنة ١٩٢١ ومارس التجارة لكنه رغم يسر حاله عاش كئيباً متوحداً تتراءى له دائماً اطياف الموت الرهيب فيقول في مذكراته : « الموت ، الموت ، كلمة رهيبة مكتوبة في كل مكان : على اديم الغمام ، على صفحة الارض ، على متن الرياح ، على كم الزهرة ، على جذع الارزة ، على جبهة الانسان ، ... اتمنى ان يطرحني الدهر عند موتي في حضن الخريف بين اصفرار الاوراق وذبول الزهور وبكاء السماء . حينذاك قد ابسم عند عتبة الموت غير آسف لفراق حياة قطعتها في خريف صامت زاو وتركتها في خريف صامت زاو» . ويشاء القدر ان تتحقق امنية الشاعر السوداء فيموت بعيد الخريف وهو في زهرة ربيعه .

اهم آثاره الشعرية « على بساط الريح » وملحمة لم تنجز « شعلة العذاب » ومتفرقات مثل « اغاني الاندلس » و « تأوهات الروح » و « من قلب السماء » . وله في النثر مسرحية ناقصة .

و على بساط الريح » بناء شعري متكامل في اربعة عشر نشيداً متنوعة القوافي والاوزان ومركزة على فكرة رئيسية فكرة الشاعر الغريب في دنياه يحن الى موطن غير عالم التراب .

بين روحي وبين جسمي الاسير كان بعد — ذقت مره
انا في الارض... وهي فوق الاثير انا عبد — وهي حره

ينطلق الشاعر بالطيارة وراء احلامه تعله يحققها في العلى . لكنه ما ان حلّق حتى ادرك ان قيود الجسد هي التي تقف عثرة في سبيل تحرر الروح لانه عبد الشرائع والمال والغرور :

انا عبد الحياة ولست اشتي مكرهاً من قيودها تتحرره
عبد ما ضمن الشرائع من جور يخط القوي كل سطوره
عبد مالي . احظى به بعد جهد فاذا بي انوء من ثقل نيره
عبد اسمي ذوّبت روحي وجسمي طمعاً في خلوده ونشوره
عبد حبي : انزلته في فؤادي فكوى اضلعي بنار سعيره

قال الشاعر الاسباني فيلاسباسا : وقد ترجم هذه القصيدة الى الاسبانية. في مقدمته التحليلية : « علّق فوزي الشاعر ربابته على غصن صفصافة لتعزف على هوى الريح ناطقة بما في لغة الطبيعة من نبرات خفية تهمس بها الالوهة ... انه النزاع النفسي بين الشرقي وحضارة الغرب فاتزان الشاعر ما اختل بسبب هذا الصدام بين عالمين متعاكسين . فعبّر عن اروع ما في روح الشرق من جمال وقوة وخيال (تمثلها الشاعر) في وجه مدنية الغرب التي ترمز اليها الطائرة » .

شفيق المعلوف (ولد في زحلة سنة ١٩٠٦)

انه ابرز شعراء المهجر الجنوبي . ما زال يواصل رسالته الشعرية في البرازيل رغم اتساع نطاق اعماله . نظم مجموعة « الاحلام » في شبابه على الرومنطيقيين ثم برز كشاعر ملحمي كبير في « عبقر » وهي تقع في ٢٧٣ بيتاً يصف فيها رحلة الى ما وراء الطبيعة على غرار دانتيه او غوته في فاوست. الا ان شيطان « عبقر » لا يغوي بالضلال بل يوحي الشعر كما في الاسطورة العربية . ينام الشاعر ويستيقظ على الشيطان القادم من عبقر يدعوه اليه فيطير معه الى بلد الجن حيث يلتقي عراقة عبقر المزنرة بثعبان ثم سطيح الذي يعلمه الحكمة ثم ينتهي الى مقبرة فيها عظام الشعراء وقد

نقلها الشياطين الى عبقر فيستنطقها عما كانت عليه وآلت اليه ؛ وتنتهي الرؤيا الى نوع من الخيبة ولا يبقى الا الحلم .

في « عبقر » يستخرج شفيق المعلوف من الاساطير العربية البارزة مضامينها البعيدة ويربط بينها وينفذ من خلالها الى روحية الشاعر العربي وعبره الى كل شاعر . فقد عالج في هذه القصيدة الطويلة الموضوعات الكبرى التي تصدى لها جبران في « نبيّه » من الحياة الى الموت مروراً بالحب والبغض ، واللذة والالم ، والصفاء والاغتراب . ولعله اول شاعر اتخذ من الميثولوجيا العربية مادته الشعرية . وابرز ما يميز « عبقر » قوة الرؤيا التي يعبر عنها الشاعر بالاستعارات خلال صور خاطفة وايقاع متجانس . وقد ترجمت الى البرتغالية . فقال فيها الناقد اغريبنو غريكو « ما اروع ذلك المزج بين الروح الشرقية والروح الغربية الذي ينتهي بنا الى رؤية مدينة الجن ... هو اولئك الذين على رغم كل شيء لا يزالون يثقون بانتصار الحب انتصاراً تاماً . واذا كان في قلبه شيء من الكره فهو كره البغض الثنائي الذي يتجلى في كبريات المعارك . وهو كالقديسة تيريزيا يعتقد بشقاء ابليس لانه لا يستطيع ان يحب » . وقال الدكتور فؤاد البستاني في « عبقر » : « انها وحدة بنائية شاملة على تنوع الاجزاء وتضارب الاحاسيس واختلاف الاوزان والانغام . فهي خروج واستلال وابتكار وهي بناء واستقرار وثبات » .

ولشفيق المعلوف ايضاً مجموعتان شعريتان « نداء المجاذيف » و « لكل زهرة عير » اختار بعض ما فيها وجمع اليه قصائد اخرى ونشرها كلها في « سنابل واعوث » وقد تميزت بالموسيقى الباطنية مع الحرص على اصولية الوزن والقافية والسعي الى الصورة المبتكرة . يقول المعلوف في « نداء بعيد » :

نداء تردد عبر الحقب ... فكان له في الاصالع رجع
ومن ثلج صنين شب لهب ... وفي الارز حن الى الصوت جذع
نداء لحيرام ايام كان ... يسوق الاعاصير بالصولجان
نداء بعيد يهز السفوح ... فينجاب عن طلعة الفجر ليل
فتثير صيدون سيف الفتوح ... وتنقل في البحر اوجلا جبيل
ويزرع منكار من قلب صور ... فجاج البحار وكور النسور

اما ميشال المعلوف وجميل المعلوف فكانا مقلّين وحبيب مسعود عرف بنثره ولا سيما فيما كتبه على صفحات مجلته « العصبة الاندلسية » وكتابه

« جبران حياً وميتاً » لكن النثر على حدّ قوله لم يكن له شأنه في أدب الجنوب الاميركي . « فهو كالشاي البرازيلي الذي لا يسكر بينما الشعر خمرة معتقة » . اما سائر شعراء الجنوب كيوسف الغريب ويوسف الخاتوري وعبد اللطيف الخشن وسعيد اليازجي ووديع الشرتوني فقد جاروا التيار الرومنطيقي . وبين اهم ما كتب في النثر ادب المذكرات مثل يوميات توفيق فعون في ذكرى الهجرة ومذكرات خليل سليم بوعينين التي يتناول فيها حكاية نصف قرن من الاضطهاد . وقد ظهر في الاميركتين عدد من الكتّاب بلغات اجنبية فضلاً عن الصحفيين .

كتّاب بالانكليزية

عدا الادباء الذين اشتهروا باللغتين العربية والانكليزية كجبران والريحاني ثمة كتاب وصحفيون عرفوا بما كتبوه بلغات اجنبية ولا سيما الانكليزية والاسبانية والبورتغالية . نذكر نخبة منهم :

ابراهيم متري الريحاني (١٨٧٥ – ١٩٤٤)

استقى بروتستنتي مؤرخ ومفكر روحاني عاش في بوسطن وكتب حول تقريب الابعاد بين الشرق والغرب . من مؤلفاته : « سفر بعيد » يصف فيه مصاعب الطريق الى الحقيقة الازلية و « المسيح السوري » ويلقي فيه اضواء على حياة السيد المسيح في فلسطين (بيت لحم والناصرة والجليل) والجو الشرقي الخاص الذي عاش فيه و « حكماء الشرق والغرب » الذي تناول فيه النقاط المشتركة بين رسل الروح على مستوى المعرفة الخادقة الى المطلق . وله مجموعة قصص « كنوز واسمولا الخبلة » .

في « السفر البعيد » يروي سيرته منذ طفولته في الشوير وانتقاله مع اهله الى بتاتر والاجواء المتعمة بروح الله التي عاش فيها حتى انتقاله الى اميركا واتصاله بالنديتها . وله خواطر عنوانها « سبعة ايام مع الله » ينتقد فيها المدنية المادية التي غزت العالم وصرفت الناس الى الشؤون العملية على حساب التصوف الذي يرى فيه امر المسيحية باعتباره ينبوع رائد التصوفية . وهو لا يعتقد بان العلم الحديث يتعارض مع الدين بل على العكس يرى انه يرتكز على اسس اثبت .

فيليب حتي (ولد في لحلان سنة ١٨٨٦)

بعد ان تخرج من الجامعة الاميركية في بيروت سافر الى الولايات المتحدة سنة ١٩١٣ فأكمل فيها دراسته الجامعية ونال الدكتوراه في التاريخ والآداب. كانت اطروحته ترجمة ونقد كتاب «البلدان» للبلاذري. ثم عيّن استاذاً للآداب السامية في جامعة برنستون واستمر هناك يبحث في تاريخ الشرق العربي ويكتب عنه. لما اصدر كتابه «تاريخ العرب» (المترجم الى عدة لغات) لقي اسمه كمؤرخ يقتضي الحقائق من مصادرها الاولى ويتناول الوجوه الحضارية في التاريخ اكثر مما يتوقف عند تسلسل الاحداث وخروب وسير الملوك. اسهم في دائرتي المعارف البريطانية والاميركية ببحوث عدة عن الشرق ولا سيما عن الموارنة والدروز. وحرر في مجلات علمية كثيرة تعنى بالتاريخ مثل «سيكولوم» واقترن اسمه بالمجموعة الكبرى لمخطوطات العربية والفارسية والتركية المدونة في مجموعة «غاريت» الاميركية الشهيرة. وكتب فيما بعد تاريخ لبنان وسوريا وفلسطين ورسالة في المذهب الدرزي. وتاريخ سوريا. وبحثاً حول اللبنانيين والسوريين في اميركا، وهو ما يزال رغم سنه يزور الوطن الام في مواسم الصيف ليعود الى اميركا فيلقي محاضرات عن لبنان وقضاياه وقضايا العرب عامة ولا سيما قضية فلسطين.

من اطرف ما كتبه الدكتور حتي بعض مذكراته ايام الدراسة تحت السنديانة في مدرسة القبعة. واثر الصدف في حياته. وهو يقول انه كان من حظه انه كسر ذراعه ذات يوم فكان ذلك سبباً لاتصاله الاول بالمؤسسات الاميركية فدخل المستشفى الطبع لها. ولما رأى ابوه ان جسمه النحيل لم يمكنه من مساعدة اخيه النجار اشار عليه بان يستأنف الاتصال بالجامعة الاميركية ففعل واستطاع بذكائه ان يحصل على منحة تعليمية وانصرف الى التعليم مع اكماله الدراسة الى ان سافر الى اميركا للتخصص الجامعي فاختاره الحرب ان يبقى فيها.

سلوم رزق

عرف بكتابه «اميركي سوري الاصل» وقد روى فيه سيرته فوصف حياته البائسة ايام الطفولة في بلدة متواضعة في البقاع وصور بيئتها باسلوب مؤثر. ثم ذكر كيف اكتشف وهو يتيم الاب ان امه تحمل هوية اميركية وبحق له بالتالي ان يحمل ذات الهوية ويسافر الى الولايات المتحدة. وهكذا

كان فعزه على ان يكون جديراً بجنسية البلد الكبير الذي انتسب اليه. فأكب على الدرس والكتابة حتى اصبح احد المع المحاضرين في الولايات المتحدة. انه يصف بالتفصيل الاجواء الديمقراطية الرحبة التي عاش فيها ويشير الى دور المغتربين الكبير في الحياة الاميركية.

حبيب كاتبه

كتب قصصاً عربية باسلوب فكه. ومن ابرزها «ليالي عربية اخرى». «قصص عربية وحكايات». و«الروح الجديدة في الاراضي العربية». اسهم بتحرير مجلات «ذه بروكلن ديلي ايغل» و«ذه بوسطن غلوب» و«ديترويت نيوز» بين ١٩٢٩–١٩٣٠ وكتب بالعربية مذكراته عن رحلته الى الولايات المتحدة.

اقتبس حبيب كاتبه مستوحاة اما من التاريخ واما من الاساطير. يروي في احداها حكاية «حكم تراقوش» ومجالس «هارون الرشيد وابو النواس» ناهجاً نهج الف ليلة وليلة.

باحثون

ثمة كتّاب آخرون انصرفوا الى البحث التاريخي او العلمي كشارل عيسوي الذي الف في الاقتصاد السياسي وكتب تاريخ مصر والدكتورة نجلا عز الدين التي نشرت بحوثاً عن العرب وجبل مراد بارودي عضو الجمعية الاميركية للاقتصاد السيري في نيويورك وقد حرر بصورة منتظمة في «آسيا مغازين» ونشر مجموعة قصائد وجدانية يتجلى فيها الحنين الى الوطن الام منها «بعلبك» و«الارز شجرة لبنان». واسكندر ايكاريوس مؤلف «لبنان في الجو السياسي المضطرب» وجورج خيرالله مؤلف «الاسلام ومحمد» و«الصحافة» و«العالم العربي» و«سيرة جبران» ومترجم «المواكب» الى الانكليزية. وانطوني فارس الذي نقل آثار جبران من العربية الى الانكليزية ووضع بحوثاً تحليلية عنه. وابو رجيله وسيمة عطية وقد كتبا في تاريخ الشرق. وجون الياس لحيقه وقد كتب عن الحروب الاميركية.

وثمة شعراء نشروا دواوين او قصائد في مجلات مختصة تميزت بالنفحة الصوفية نذكر منهم مايكل حداد ومسعود سماحه وانطوني سعاده وماري داقيد (ديوانها عنوانه «العاري» وهو مجموعة اناشيد في الزهد والتوسل الى الله).

اما في الحقل العلمي الصرف فقد برز الدكتور غالب صليبي في بحوثه

في علم التناسل وتطوره في النسب والثقافة العنصرية وفي اساليب التوالد العنصري وحول الام والامومة. والدكتور فؤاد العقل واضع النظريات الجديدة في تطوير اساليب الجراحة ومؤلف «عندما يأتي الصيف» الذي يروي فيه سيرته وينتقد اساليب الطب التي تناقض تطور العلم الحديث. والدكتور مايكل دبغي جراح القلب الشهير ومؤلف عدة بحوث حول مصرف الدم. والدكتور مخايل جورج مالطي والمخترع كامل الصباح وله بحوث في الكهرباء وفي نظريات انشتين. ومؤلف نادر وهو ما زال حديث الصحافة الاميركية على اثر ظهور كتابه «غير مأمون في اية سرعة» الذي درس فيه قضية الامن بالسيارات والاخطار التي تتعرض لها بسبب قلة الدراية الآلية في الانتاج.

بالاسبانية والبرتغالية

عدا الصحفيين الذين أنشأوا صحفاً بالاسبانية او بالبرتغالية او حرروا في الصحف المحلية في اميركا الجنوبية: ثمة كتّاب عرفوا بهاتين اللغتين تأليفاً وترجمة: منهم بالاسبانية:

خوسيه منصور (١٩٠٩ـ١٩٦٥) وهو من مواليد الاورغواي وقد عين سفيراً لها في لبنان وتميز شعره بنفحة شرقية صوفية تجعل من الحب محور الوجود والكمال الانساني. يقول في احدى قصائده من مجموعة ورسائل الى ايلونا:

رنت مزامير الذهب في الكروم. نضجت العناقيد
ما صعدت لتقطيفها حين كانت تعيش الاعجوبة والغناء
سكنت مئات من اسراب السرور
والكرامون تركوا دورهم لانتظارك اسابيع
في طواحينهم وفي التواعير.

ايلونا تمثل حواء الخالدة رمز الحب الخالد. اما فكرة الوحشة فبعثها ان العالم ما هو الا ممر.

يبدو شعره غامضاً احياناً لانه يجرده من الحواشي والتفاصيل ليحصره في طاقة المضمون.

الدكتور جورج قدوم: مغامر درس الطب ثم عمل في السياسة العربية قبل سفره الى الاكوادور مع الملك فيصل فصار مستشاره ولما تبدلت الاحوال فرّ الى جبل الدروز ثم الى مصر فاميركا حيث أنشأ مجلة وكتب بحوثاً بالاسبانية والعربية حول الشرق ويشر بمذهب روحاني اعتنقه هو مذهب الهيكليين

وطاف ينشره في اميركا الجنوبية تحت شعار : « وابني الشمس . وطني الكون . ديني الحب . اسرتي البشر » . ومما يروى عنه انه كان في الاربعين يوم قضى الزلزال على بيته في الاكوادور فانشد لا مبالياً :

دعـــدع الزلزال بيتي ذاتحتي هكـــذا نبني بيوتاً تثنـــا
انـــني بالحب ابني مترلي جاعلاً من كل قلب مسكنا
فـــانا من اول في ابد كل شيء زائل الا انا

لويس غاوسيا موراليس : ولد في كراكاس سنة ١٩٢٩ . اصله من عائلة سركيس من حارة صخر (كسروان) وهو شاعر طليعي له ديوانان « حياة حزينة » و« العودة الخالدة » ينهج فيهما نهجاً توفيقياً بين الرمزية والرومانتيكية وهو يعتبر . حسب تصريح له يوم زار بيروت سنة ١٩٦٣ ، ان الشعر لا يكون اصيلاً الا اذا عبر عن الانسان في وضعه الخاص ومشكلاته الدائمة . الشاعر صدى بيئته وضمير جيله بدون ترمت اقليمي . وهو يرى ان من العبث محاولة فصل المبنى عن المعنى في الشعر . فكل موضوع يفرض شكله . وقد ترجم هذا الشاعر بعض الشعر اللبناني الحديث بالفرنسية الى الاسبانية ونشر في النحت الادبي الذي يديره في جريدة التايمز الكبرى في كراكاس بحثاً عن الحركة الادبية عندنا .

جورج كعدي : وقد نظم بالاسبانية ديوان « الاحلام » الوجداني وبالعربية « الكعديات » . مجموعة قصائد قومية .

ومن الشاعرات البارزات « ميرا دلار » (واسمها الحقيقي اولغا شمس) وقد كتبت شعراً رومانتيكياً رقيقاً ولها عدة دواوين « الخالد » « الابيات الجميلة » وخليط من الشعر الطلق . ولبنى شراره وليلى نفاع وقد نشرتا قصائد متفرقة في المجلات .

في المسرح . برز البيرتو ضو وقد اسهم في نهضة المسرح الكولومبي المعاصر ، من اهم انتاجه المسرحي « السيد بيروس المحبوب » . مسرحية مستمدة من التاريخ فيها نقد ساخر لفئوات المجتمع . وله مجموعة حكايات وروايات عنوانها « روح الشر » تتسم بطابع التوجيه الخلقي .

اما الذين مارسوا البحث في مختلف وجوهه فعددهم كبير جداً بينهم انطونيو شدياق . صاحب « لبنان منارة الحضارة العربية » والفريد ابو زيد وقد الف في الشرع والاقتصاد وماتوريل يونس . صاحب اطروحة « فلسفة في الثقافة » (التي كتبها هو نفسه بالعربية بعد رجوعه الى لبنان) وخوسيه لبكي وقد نشر عدة بحوث عن الشرق والثقافة العربية والتاريخ واصدر مجلة

ثقافية في كراكاس. والدكتور وليم نعمه الذي يعيش في المكسيك وقد الف تاريخ لبنان وبحوثاً عن الادب. والخطيب الفذ حبيب اسطفان (١٨٨٠ — ١٩٤٩) الذي أتقن عدة لغات وقد كتب بالاسبانية في الارجنتين فنشر «وجدان لا سياسة» و «الشعوب الاميركية» وانشأ صحيفة «اتصدن بالعربية».

اما في الثقافة العامة والتاريخ فبرز سالومون عبيد واسكندر قرداحي وانطون الياس وجورج معنف وانطونيو حلو وسمعان عويس وفريد الخوري ويحنا الدّاهوك وسليمان شاكر. صاحب مجلة «لا ليبانيسا» في سان دومانغو. والامير امين ارسلان وقد حرر في «لا برانسا» في الارجنتين. وميشال جورج خوري.

وفي الترجمة من العربية الى الاسبانية. عمل الكثيرون في نقل الأدب العربي الاصلي والأدب اللبناني المعاصر ولا سيما آثار جبران. من ابرزهم انطونيو شليطا صفير وقد ترجم «كليلة ودمنة» وقدم لها شارحاً مضامينها و «النبي» لجبران مع مقدمة عن المؤلف، ويوسف الغريب وجميل شوحي وقد ترجما مختارات لجبران والريحاني وبعض ادباء المهجر. وقد جمع شوحي مختارات من ٣٣ شاعراً. وانتخب رئيس جمعية كتّاب تشيلي. وطانيوس جورج بستاني: مؤلف «لبنان واللبنانيين في البرازيل» (بالاسبانية والبرتغالية).

اما الذين كتبوا بالبرتغالية في البرازيل ولا سيما في الشعر. فكثيرون منهم:

الدكتور جميل حداد: وهو عضو في المجمع العلمي في ساوباولو وله عدة دواوين منها «صلوات سوداء» و «حبيبي التمر». الاول من اللون الحزين استوحاه من مأساة امه وقد اغتيل ابوه قبل بلوغه الاربعين فاصطبغت حياة الشاعر وحياة امه بلون الدم. يقول في هذا الديوان:

كل شيء يصلي في هذا الكون حتى اليومة
في نحيبها ما يشبه الصلاة
زهور الربيع آلامها ودموعها
في اضلاعها وخز الشوك وفي اهدابها قطر الندى.

اما ديوانه الثاني فروماتيكي فيه بهجة وشروق. يقول في «وليمة الحب»:

في الوليمة الشهية التي تشتعلين فيها واشتعل
لأن كأس العذاب جذابة طاغية في جسمك المعطر
بالمسك والعنبر. وفي دمك الصارخ ودمي اللاهب
في هذه اللحظة الصاجة بالشهوة اوانا شعلة تتبلى شعلة

فرنسيسكو كرم: وله ديوان «ساعة المتعة» وقد تأثر فيه بلوركا

وبالأدب المهجري . وله كذلك بحوث في وصف مجاهل البرازيل . وهذا نموذج من شعره :

رأيتك شامخة شموخ الارز
تهوين علي وقد حسرتني
كما تهوي الشمس الغاربة في نفسي .

لقد سرت دنيا جبور على هذا النهج في شعرها وكذلك سلمى جورج في دواوينه « شرقيات » و « جمال الموت » و « غيم صحراوي » .

وثمة شاعر ناشئ هو اسكندر ابن شفيق المعلوف وقد ترجم الوالد لولده قصيدة « انا البحر » شعراً عربياً جاء في مطلعها :

انا البحر ان الحب مضيت مجرراً بذيلي اشلاء الضحايا ورائيا
ولو غمرتني بنجمة الصبح وارتمت مرغة جسماً على الشط عاريا
لغرت عليها من صخور حضنتها ورحت اعض الصخر بالشدق راغيا
فترتد عنه وهي تنفض حولها ، وجوماً تهاوت واحداً ثم تاليا
هي القبل الحرى تواصلني بها فتبوي على بعد ولكنها ليا

وفي القصة برز ماريو نعمه ونعيم ابو سمرا وباسيل غنام . وفي البحث توفيق قربان الذي هاجر الى البرازيل قبل الحرب الاولى وعلم في جامعة ساوباولو وقد اتقن عدة لغات : « الانكليزية والبرتغالية . على حد قوله ، للخطابة والكتابة والفرنسية والاسبانية للدرس والايطالية لتفهم دانته والالمانية للمصلحة التجارية والتركية واليونانية والعبرية للاستعانة على درس اصول العربية » . وقد كتب فصلاً بالانكليزية حول الاصول السامية في اللغة العربية والتصاقها باليونانية . من آثاره البرتغالية : « السوريون واللبنانيون في البرازيل » وهي نبذة عن تاريخ سوريا ولبنان منذ الفينيقيين حتى الحرب الاخيرة ومدى اسهام اللبنانيين والسوريين بالحضارة العالمية واسباب الهجرة وتطورها وواقع المغتربين بين الامس واليوم .

وفي نطاق البحث اللغوي وضع فؤاد نمر « شواهد البرتغالية وصلاتها باللغات الشرقية ، ولا سيما العربية ووضع رشيد عطية قاموساً عربياً برتغالياً في ثمانية اجزاء . فضلاً عن دراسة حول العربية ولهجاتها وما اخذت عنها البرتغالية والاسبانية وسائر اللغات الاوروبية . وفي البحث العلمي ، كتب جورج اليان نبذة عن تاريخ الطب العربي ، واميل كارليس بحوثاً اجتماعية وادوار دو يافت مذكرات حول سفرة قام بها الى اميركا الشمالية بعيد الحرب الاخيرة .

ولنصور شليطا دراسات متنوعة كتبها في البرازيل منها « جبران في

حياته وآثاره » . و«الادب العربي ينبوع جمال وغنى » ومدخل الى الادب العربي الحديث في مجموعة من هذا الأدب ترجمها باسلوب انيق دقيق هو نوع من اعادة الخلق على حد تأكيد النقاد . كما ترجم عن جبران « النبي » و « يسوع بن الانسان » (وهذا الكتاب نفسه ترجمه الى الافرنسية في بيروت) وقد اسهم في الصحافة العربية ولا سيما «الاخبار» وفي الصحافة البرتغالية . وهو يعتبر ان ابراز المآثر العربية عامة في الحضارة واللبنانية خاصة افضل خدمة لقضايانا بالنسبة للعالم ولا سيما في وجه اسرائيل وخير سبيل لتعزيز تمسك المغتربين بالوطن الام .

اما المهاجرون الى البلاد النائية : غير العالم الجديد . فقد ظهر بينهم عدد من الصحفيين اسهموا في الجرائد والمجلات المحلية ولا سيما في اوستراليا وزيلندا الجديدة والهند . اما الادباء فقلة بينهم نذكر منهم في افريقيا الالمانية عزيز ضومط وفي افريقيا الغربية بعض شعراء داروا في فلك المدرسة المهجرية مثل خليل نخله وخليل فرحات وخليل فاخوري . وفي الصين الف المرسل نقولا بارودي (١٨٦٣–١٩٣٠) قاموساً صينياً لاتينياً وكتب دراسات فلسفية برسم الطلاب الصينيين . وفي الفيليبين ظهر نجيب صليبي وسعيد تقي الدين .

اما عزيز ضومط الذي عاش في افريقيا الالمانية ثم في برلين بعد الحرب الاولى : فقد انصرف الى المسرح فألف فيه بعض مسرحيات شعرية ونثرية في الالمانية نشرت في برلين وفيينا وقد استقى مواضيعها من التاريخ الشرقي : نذكر منها : « ابن سينا » : « واقعة الفيوم » ، « آخر الامويين » و« بلتزار » .

اما نجيب صليبي فقد اقترن اسمه بالادارة الاميركية في الفيليبين نظراً لابحاثه الاثرية وخدماته الطبية ولدرسه نفسية الشعوب في تلك الجزر . وقد كتب دراستين تاريخيتين عن « مورو » و « سولو » نشر الاولى في مانيلا سنة ١٩٠٥ وقال في مقدمتها : « تاريخ ميندناو قبل الاسلام حافل بالتقاليد والاساطير لكني شيئاً منها لم يسجل بعد » فقام هو بهذه المهمة استناداً الى الحفريات والآثار ودون معلوماته وانطباعاته باسلوب علمي لكنه ظلي .

اما سعيد تقي الدين (١٨٩٤–١٩٦٠) فهو وان يكن قد نشر كل مؤلفاته في لبنان : فانما تمحض بمعظمها في الفيليبين حيث قضى زهرة حياته . سافر اليها بعد تخرجه من الجامعة الاميركية ١٩٢٥ ثم عاد الى لبنان في اوائل سنة ١٩٤٧ ليسافر الى المكسيك سنة ١٩٥٨ ثم الى كولومبيا حيث مات في جزيرة سانت اندرز .

سعيد تقي الدين يكتب كما يتحدث . لا تعمل ولا حذلقة . الحوار

الرشيق الغني بسيد قصيده ومسرحيته ويطلع بسعادة البرية حيناً والاذاعة حيناً. وهو يشق الطفلة بعبرة على هوه عندما يعجز القاموس عن تلبية التعبير في احتدام الثورة او الانفعال.

بطل قصيده هو نفسه اولا ثم خوان له عايشهم عن قرب. هنا فلاح من بعقلين او وزيق من زحلة او بخ مجهول عصامي تحدى القدر او بائس تحالف عليه الدهر والبشر. انه يعرف كيف يصور الدقائق بحيث يوهم القارئ بالواقعية الحية.

أدبه ينبض بالأحاسيس الشريفة التي يعبر عنها باسلوب شفاف. كتب في السياسة والقصة والمسرحية والاجتماع ومن ابرز آثاره: «تولا نحامي». «نخب العدو». «حفنة ريح». «غابة الكافور». «رياح في شراعي»[1]. وهنا نموذج من ادبه:

«حين فتحت عيني وتحققت اني اصبحت من اهل هذه القارة علا صراخي فغمرته امواج من زغاريد النساء وحداء الرجال ابتهاجاً بقدومي. وسألت من هؤلاء الفرحون بلقاء من لا يعرفون فقيل انهم دروز. فاحببتهم لهم ازل. واني اعترف. وقد طيرت نفسي من اي تعصب حالفني فان ليس في الدنيا ما يهز من اعماق نفسي اوتارها مثل سماع قطعة القاف الدرزية الصلبة القاسية. وانا مدين العالم وقراءة وسأكرر تكبير اهميتها او تضؤل بنسبة قربها الى «بعقلين» او بعدها عنها.

... في الثلاثين عشت — ومت — ٢٢ سنة ونصف. وهناك استوردت كل ما تعرف من اصناف البضاعة. فتحت محطة بنزين. فتحت سينما. كنت دوارًا اي بائعاً متجولا. اجرت. طرت. سافرت على الخيل. ركبت على الجاموس. اغتنيت. افتقرت. لعبت بالبورصة. فتشت عن الذهب. سوكرت حياتي لانتحر. افلست ودفعت ديوني. جعت. اتخمت. حبتني اليابانيون ٥٣ يوماً خلال الحرب. واجهت الموت في اكثر الاحيان مختبئاً».

٥

ويستمر احتفاد واضعي الانجدية في اداء رسالة الحرف والانفتاح على الحضارات العالمية وانماء التفكير والجمال تحت كل سماء نشرًا لاشعاع بلد شاؤود كما شاءته الطبيعة محور لقاء القارات والاديان والثقافات وينطلقون منه، دون ان يفسدوه، كما تنطلق طيور السلام.

(١) لم نذكر الآ ـ ونعم تنسبه او كتبه او تنعه في ديار الاغتراب.

رسائل لويس مسينيون الى الاب لويس شيخو

نشرها وعلّق عليها الاب كميل حسيمه البسوعي

عثرنا بين اوراق الأب لويس شيخو على اربع عشرة رسالة كتبها اليه المستشرق الكبير المرحوم لويس مسينيون (١٨٨٣–١٩٦٢) : وجدناها تزخر بالفوائد كما لا يتيسر الا في التحف النادرة : فاحببنا ان ننشرها ونعلق عليها ليتسنى للملإ الاطلاع عليها والتغرف من فيض معينها .

كُتبت هذه الرسائل جميعها بالفرنسية بين سنة ١٩٠٨ واوائل سنة ١٩١٤ . اي خلال الفترة التي عقبت اهتداء مسينيون الى الدين وواقت انشاء اطروحته عن الحلاج الصوفي الشهير (٩٢٢ †) : فتدور اغلبية مواضيعها حول هذا المتصوف وآراء مسينيون فيه وانفعالاته لما يطرأ عليه ابان انشاء اطروحته او لما يمت بصلة قريبة أو بعيدة الى هذه الأمور : وبديهي ان مثل هذه الصفحات توفر للمطالع معلومات غزيرة ليس عن الحلاج ونظرة مسينيون اليه فقط ، بل وبخاصة عن شخصية المستشرق الكبير ايضاً[1] .

اول ما يسترعي الانتباه في هذه النصوص موقف مسينيون من مسألة الحلاج . فان الرسائل توضح بفضل عفويتها ما ظلما دار في خلد كاتبها

(١) وما تفيدنا عنه هذه الرسائل انها تستند انشاءً على تراجم حاشية ذات شأن . كان تيز بونسو الصداقة الوثيقة التي كانت تربط المستشرق الناشئ والمهتدي الجديد بالعلامة الشرقي والراهب الكهل شيخ الناذرين عن المسيحية في الشرق : فانك تكاد لا تجد رسالتين او ثلاث من المجموعة لا يستهلها الكاتب بأحدى العبارات الآتية : حضرة الأب الجزيل الاحترام والصديق الحميم ، حضرة الأب العزيز والصديق الغالي ، حضرة الأب والصديق العزيز ، أبت وصديقي الجليل (Très Révérend Père et ami, Très cher Père et ami, Cher Père et ami, Très vénéré Père et ami). وهذه الصداقة التي يكنها مسينيون لشيخو مقرونة بتقديره العميق لسائر نشاطاته ، الأدبية منها والرسولية .

عن بطل اطروحته ولم يجبر به ؛ فانه لا يدرسه كموضوع علمي فقط . اي من باب مقارنة الأديان لانه يرى فيه صوفياً ضارعت بعض معتقداته معتقدات المسيحيين . بل لأنه بين يديه حجة حية . بها يود ان يبين للمسلمين المخلصين الذين يعرفهم ويحبهم انه قام بينهم اناس دفعهم الاجتهاد والسجن الى الايمان بينوع المصلوب »[1] .

الحلاج في نظر مسينيون كان على النصرانية (رسالة ١) لأنه كان يرنو الى التشبه بالمسيح لينال بواسطته حلول روح الله فيه (رسالة ١٢) . كان على النصرانية . النصرانية بالشوق ان لم تكن النصرانية بالفعل . لأنه تكلم عن الناسوت واللاهوت كما يتكلم عنهما النصارى (رسالة ١ و١٤) ولأنه نوه بضرورة التعلق بروح الدين لا بأحرف (رسالة ١) ولأنه قال بضرورة التوبة لجميع ؛ كما وانه تكلم عن بذل الذات الكلي بأسلوب لا يُعهد الا في من كانت فيهم روح النصرانية (رسالة ١٤) . كانت حياة الحلاج نصرانية ، اقلّه بالروح ؛ وكذلك موته على الصليب كان موتاً نصرانياً . به اقتدى بالمسيح (رسالة ١٤) . به يرى مسينيون برهاناً ليثبت للمسلمين حقيقة صلب عيسى بن مريم (رسالة ١٤) .

ويتبادر الى الذهن بعد هذا العرض وجهٌ لشبه بين شيخو ومسينيون . جعل الاول من اعز اهدافه في الحياة ابراز دور النصرانية بين العرب لإعلاء شأنها في أعين المسلمين ؛ فجمع ما نظمه « شعراء النصرانية » قبل الاسلام وبعده ؛ وصنف في مجلة « المشرق » المقالة تلو المقالة ليبني صرح « النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية » . اما الثاني فقد انبرى بدوره يواجه الاسلام ولكن من ناحية اخرى ؛ ليس عن طريق الأدب والشعر بل عن طريق التصوف ؛ ليس بتسنّم الجدل والانتصار المتجبر للعقيدة ؛ بل بالنزول الى اعماق نفس عابد هائم بربه كابد من اجله الذل على اشنع وجه .

اراد شيخو ان ينتصر لدينه وكذلك اراد مسينيون ولكن الأخير كان ابعد شيء عن كل ما يُستشف منه روح التعصب . لا جدال عنده ولا مماحكة . إن هو ابتغى للمسلمين ان يتعرفوا الى دينه ؛ فلأنه واثق من انهم مثله ابناء ابراهيم ولأنه يريد ان يشاركوه النعمة التي يرتع فيها . فكما ان المسلم الحق يود من صديقه المسيحي ان يُسلِم لله مثله ؛ كذلك المسيحي المخلص يبغي لصديقه المسلم ما هو فيه من معرفة الله في سر تواضعه متجسداً

(١) الرسالة ١٢ . التشديد منا .

وفادياً . إنّ هذا الضرب من البغية الا صورة من صور المحبة . وشأنها شأن هذه المحبة : تكون بعيدة ايما بعد عن الدعاوة الملحاح لأنها تحترم حرية النفس ؛ وهي بعيدة كل البعد عن التعصب لأنها لا تبغي السيطرة بل الخدمة في التواضع . قال ماسينيون في احدى رسائله (رقم ٨) : « احمد الله كل يوم لأنه تنازل واظهر لي (...) انه ما من معلم الا يسوع المسيح . وما هذا بتعصب[1] لأني بانضمامي الى « انسان الآلام »[2] لمناهضة الخطيئة . نفسه الي . مع صليبه . كل آلام البشر » .

لم يكن ماسينيون متعصباً وهذا ما لم ينكره عليه احد ؛ ولكن مزيته هذه ليست الا واحدة من عدة . فمن طالع رسائله وجد نفسه في اجواء كأنها ليست من اجواء هذه الدنيا . فالرجيات من كل صوب ؛ عميقة الغور ؛ مترامية الأبعاد . هذه الصفحات مليئة بالايمان الفياض المندفع لا يليّن من شدته الا تواضع المتوكل الواثق ؛ انها تطفح باغبة الوفي لشخص المسيح وكنيسته ؛ وتمتزج بالصلاة الدائمة والتعبد للقديسين رواد الانسانية الثائبة ؛ وتنشرح بالتسليم التام لمشيئة تعالى .

من الناس من يحتاجون الى مئات الصفحات ليفصحوا عن مضمون افكارهم ويظهروا حقيقة نفسيتهم ؛ ومنهم من اذا خطوا سطراً واحداً اتلوا معاني وانطقوه بكنوناتهم . الرسائل الآتي نصها هي من النخبة الثانية : غنية مشبعة على ايجازها ؛ بعيدة المدى ؛ يتلألأ من وراء كل منها وجه ماسينيون النير وشخصيته الفذة وروحه السمحاء[3] .

---

(١) هذه الكلمة هي في الأصل بالعربية .

(٢) اي المسيح المتألم من اجل البشر .

(٣) فيما يلي الاصطلاحات التي اعتمدناها للدلالة على بعض مصادر البحث :
« سيرة » = Massignon, *La passion d'Al-Hallāj*, 2 tomes, Paris, 1922-.
« ديوان١ » = Massignon, *Le Dīwān d'Al-Hallāj*, *Journal Asiatique*, janvier-mars, 1931.
« ديوان٢ » = H.M. Hallāj, *Dīwān*, traduit et présenté par Massignon, Paris, 1955.
EI = *Encyclopédie de l'Islam*, (1re éd.); *EI²* = *Encyclopédie de l'Islam*, (2e éd.).

(١)

91 R. de l'Université
Paris

Très Révéread Père et ami [١]

J'espère que cette lettre vous trouvera en parfaite santé.

Je rédige en ce moment mes notes sur la crise d'âme du Ḥallāj [٢] الحسين بن منصور بن محمي الحلاج.

Elle m'a tellement aidé — si providentiellement. — que je le lui dois bien [٣].

---

(١) يخبر ماسينيون صديقه الأب شيخو في هذه الرسالة بأنه تبين له أثناء انكبابه على دراسة حلاج أن هذا الصوفي قد تولى على « المسيحية » . ويعلق في ذلك ضاحكا بارتياح .

(٢) يقول ماسينيون أنه منصرف الآن الى درس « أزمة الحلاج النفسية » . ما هي هذه الأزمة ؟ يجوز نجده في « سيرة » ص ٢٠-٢٥ حيث تكلم عن بعض ما لاقاه الحلاج في سني تنشئته الدينية من صعوبات . فانه كان يجد نفسه في « حالات » روحية يستبد خلالها « واردات » غريبة تحيره وتثير عنده حول مشكلات تختص في تقريب معبود ماسينيون . أما هو فلم يكونوا يعيرون شيئا هذه الحالات أي اهتمام . وفيما يلي بعض ما قاله ماسينيون بنفسه للتكلم عن هذه الأزمة :

« ... Ces textes dont nous venons de parler: nous permettent de saisir parfaitement l'état de conscience initial d'al Ḥallāj (...); c'est, activée par une vie d'ascète stricte. — nourrie à la Mekke même. dans un milieu sunnite. — la formation d'une *crise de conscience**, — d'une vocation mystique. Les événements intérieurs de son âme le mettent en présence de *ḥâlât*, faveurs divines. de "touches" directes de Dieu. ...) il entend des paroles "divines" qu'il note. Il y voit un critérium de vérité pour trancher les controverses pendantes. parmi les traditionnistes. sur divers points du culte, — et il ne trouve. auprès de ses maîtres sunnites. aucun appui. Comme pour al Jonayd. les grâces divines intérieures n'ont. pour al Makki. ni signification, ni valeur, ni utilité. »

* C'est nous qui soulignons.

(٣) هكذا في النص : والصواب « عمي » بالياء المثناة . راجع « سيرة » ، ص ١٠ ، سطر ١٦ و *EI* ، مقالة « *al-Ḥallādj* » .

(٤) يقر ماسينيون بأنه مدين لأزمة الحلاج النفسية لأنها ساعدته . ولعل خير ما يفسر هذا الاعتراف هو النص التالي كتبه الأستاذ روجيه أرنالدز (R. Arnaldez) المستشرق الفرنسي في : *La Spiritualité de Louis Massignon*, dans *Mémorial Louis Massignon*. Dar El-Salam, Le Caire, 1963, pp. 12-13:

« Très tôt Louis Massignon a senti dans la spiritualité hallagienne, le lien qui, en ouvrant l'Islam sur le Christianisme, permettrait de donner un sens et une vérité à l'unité du monothéisme abrahamique, pour le plus grand bien de l'Islam et du Christianisme: car le danger qui guette l'Islam, c'est un pur légalisme; celui qui guette le Christianisme, c'est un pur théologisme à base de philosophie grecque; mais si à travers Ḥallāǧ, Louis Massignon découvre un essentiel désir de l'Islam vers l'amour, au-delà de la pure loi, durcie et arrêtée, il arrive à comprendre toute la richesse d'amour que renferme le Christianisme. au-delà des formules gréco-latines de sa théologie elles aussi durcies et arrêtées. »

ومفاد كلام ارنالدز ان اكتشاف الروحانية الحلاجية قد فتح لماسينيون ابواب محبة المسيحية والاسلام حق المعرفة ، فان ما لاقاه الحلاج الشهم يجب ربه من مقاومة على يد بعض المؤمنين

Preuves de son christianisme final [1] :

Al Balkhī dit qu'il enseignait *l'imitation du Christ* — Et il fut crucifié [2]. Vers de lui [3] :

سبحان من اظهر ناسوتَه سِرَّ سناء لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقته ظاهراً في صورة الآكل والشراب [4] (L'Eucharistie)
*حتى [5] لقد عاينَه [6] خلقُه كلمحة الحاجب بالحاجب

* Mal traduits par Kremer, fausses là et ailleurs [7].

المتحجرين من أهل السنة قد جعل يستشرق على بينة من بعده عن الخشبية في الدين الاسلامي وبالتالي من ابعاده في المسيحية ايضاً . فكأني به رجع افضل الخلاج بزداد تعلقاً بدينه من فرط ما وجده في دين هذا المسلم من سمو وغنى .

(١) يصرح ماسينيون هنا بأن خلاج مات في المسيحية على المسيحية . الا انه لا يعني بذلك انه اعتنق المسيحية اعتناقاً ظاهراً . شيئاً يسائر مستشرقاً يزاوج خلسة شعائرها : فمراده ان خلاج كان مسيحياً « بالشوق » على حد قول علماء اللاهوت ، وهذا ما يتضح من خلال الرسالة ١٤ حيث اتى ماسينيون بعدة براهين تثبت — في نظره — ان الخلاج كان مسيحياً بالشوق (baptême de désir) وانه من افضل القديسين المسيحيين (chrétien de désir). كذلك فانه تكلم عن مسيحيته الضمنية (christianisme implicite) في الرسالة ١٢ .

(٢) قال ابو زيد احمد بن سهل البلخي (٩٣٤ —) في كتاب « الصور والاقاليم » ما نصه : « فمن عرف من هؤلاء (اي اصحاب البيت) والشهر ذكره الحسين بن منصور المعروف بالخلاج من اهل البيضاء وكان رجلاً خلاجاً يتحمل المشك فلذلك لزم يرتقي به طبقاً عن طبق حتى انتهى به الخلاج الى ان زين ان من حذب في الطاعة جسمه واشغل بالاعمال الصالحة قلبه وحبس على مخالفة الشهوات نفسه في سائر الشهوات يرتقي به الى مقام المقربين ثم لا يزال يترقى في درج السعادة حتى يصفو من البشرية طبعه فاذا صفا بين من البشرية نصيب حل فيه روح الله الذي كان منه عيسى بن مريم » . (راجع كتاب « المسالك والممالك » للاصطخري ، طبعة ليدن ، ١٨٧٠ ، ص ١٣٨—١٣٩) . — اما صلب الخلاج فتم في ٢٦ آذار سنة ٩٢٢ .

(٣) راجع « ديوان » ١ ، ٥ ؛ ص ٤١ .

(٤) هكذا في الرسالة . وهذا الخلط حتم على ماسينيون ان يصل بين فكرة « الأكل والشراب » وفكرة سر الافخارستيا (Eucharistie) الذي اعطى به المسيح جسده ودمه مأكلاً ومشرباً لتلاميذه . اما الصواب كما في « ديوان » ١ ، اي « في صورة الآكل والشارب » ، وقد اثبته ماسينيون في « ديوان » ٢ ، ص ٠٠ . الى ان هذه الفكرة مقتبسة من القرآن « ٥ : ٧٥ حيث حاه عن عيسى وبريم انهما « كانا يأكلان الطعام » .

(٥) والصواب « حتى » بالياء المثناة .

(٦) والصواب عينه .

(٧) نقل كريمر المذكور هذه الابيات الى الالمانية بشوهة المعنى فقال ما تعريبه : سبحان (العلي) الذي اظهر لنا ناسوته وستر لنا سناء لاهوته الثاقب ثم بدا في الخلقة ظاهراً في صورة الانسان .

« Preis dem (Allerhöchsten) der seine Menschheit (nāsut) uns schauen liess und den durchdringenden Glanz seiner Gottheit (lāhut) uns verhüllte. Dann aber offenbarte er sich auf Erden in menschlicher Gestalt. » — A.V. KREMER, *Geschichte der herrschenden Ideen des Islams*, Leipzig, 1868, s. 71.

etc., etc.

Il rejette le ḥajj (paganisme) et le djihād [1] (Suppl. à Ibn Khallikan autog. par Wüstenfeld) [2]. Son procès a été truqué doublement 1° par les sunnites officiels qui l'ont condamné illégalement — soutenus par les calomnies des chi'ites qui en (*sic*) avaient besoin de lui, Hallāj — comme دجّال الأكبر — pour l'apparition de leur mahdi — Messie (ceci démontré par div. sources) [3].

2° par les ṣoufis panthéistes postérieurs, amateurs du néant bouddhique, — et qui, désireux de trouver un martyr pour patron de leur triste secte (le martyr de Shams ed Dīn Tabrizī étant trop suspect [4], et celui de Sohrawardi peu intéressant) [5], — ont truqué l'interprétation de ses sentences et ont faussé (sans réussir heureusement) sa biographie [6].

J'en fais ma thèse de doctorat (annoncée ap. Bull. Ecole des Htes Etudes de la Faculté des Lettres de Paris 1907 [7] par mon maître Hartwig Derenbourg) [8] —, et en parlerai au Congrès de Copenhague [9], ان شاء الله

---

(١) يقول مسينيون ان الحلاج لا يقبل باجتهاد وكذلك فانه ينهى ببطلان الحج لأنه مرسوم بقتابع وثني . الاّ ان الحال غير ذلك . فقد اثبته مسينيون فيما بعد ان السبب الحقيقي الذي دفع الحلاج الى مخالفة الحج وغيره من الفرائض الاسلامية . فانه شأنه في ذلك شأن سائر الصوفيين ، كان يؤدي بتسامي النية على العمل اثناء القيام بالفرائض الدينية وان هذه انما هي وسائط بين الانسان وربه لا غايات ويمكن استغناؤها اذا ما تبين انها عائق للاتحاد بالله . فيكون انبا من انواع لا أمل التصوفيات (راجع « سيرة » ص ٢٧٥ وما بعدها ، ص ٢٨٧ ، ٢٩٦ الخ ...) .

(٢) الكتاب المعني هنا هو « وفيات الأعيان » لقاضي ابن خلكان .

(٣) راجع تفصيل ذلك في « سيرة » ، ص ١١٢—٢٩٠ و ٣٤٤—٣٥٢ .

(٤) هو مرشد جلال الدين الرومي . عاش في القرن السابع الهجري . قيل انه قتل على يد زمرة من بينها احد ابناء جلال الدين ، الا ان هذا الخبر وغيره من الاخبار التي رويت عن مقتله لم يثبتها الثقات .

(٥) هو شهاب الدين يحيى السهروردي الملقب بالمقتول دلالة على انه لا يجوز اعتباره شهيداً . قتل بأمر من الملك الظاهر سنة ٥٧٨ هـ .

(٦) في القرن السابع الهجري نادى مذهب الوحدانية او الوجودية بوحدة الوجود (« وجود المخلوقات عين وجود الخالق ») وذلك اطلاقاً مما نسب الى بعض الصوفيين المتشبعين كالحلاج والبسطامي . الا ان الحلاج كان من مثل هذه الخرافة براءً (راجع *EI.* art. *Tawḥīd*, 718) .

(٧) اخطأ مسينيون بشأن التاريخ ، فالسنة هي ١٩٠٨ وقد ذكرت الاطروحة في ص ٧٣ من مجلة مدرسة الدراسات العليا (Annuaire) .

(٨) مستشرق فرنسي (١٨٤٤—١٩٢٨) ، كان استاذاً في مدرسي اللغات الشرقية والدراسات العليا .

(٩) المؤتمر المعني هو المؤتمر الدولي الخامس عشر للمستشرقين المنعقد في آب ١٩٠٨ . لم يتكلم فيه مسينيون عن الحلاج بل عن موضوع آخر .

Avec tous mes souhaits affectueux

Votre cordialement dévoué

M. [1] 21.VII.08
Ste Praxède
La Ville Evêque en Pordic
Côtes du Nord.

Louis MASSIGNON

(٢)

91, Rue de l'Université

Très Révérend Père,

J'espère que cette lettre vous trouvera en bonne santé. Je suis en train de fort avancer ma thèse de doctorat (Université de Paris) sur al Hallādj. A ce sujet je vous serais bien reconnaissant de me faire connaitre:

1° si l'on peut avoir un tirage à part ou une copie manuscrite de la notice de Bostanī [2] sur al Hallādj ap. *t. VII, pp. 150-154* دائرة المعارف dont je n'ai recopié qu'une partie à la Mirdjāniyeh de Bagdād, pensant pouvoir la compléter à Paris, — où la bibliothèque de l'École des Langues Orientales ne possède que les 3 premiers tomes, — se réservant d'acheter le reste quand *tout* sera paru!

2° dans cette notice sur al Hallādj, Bostanī utilise un *ms.* inconnu du Qazwīnī, dont je n'ai trouvé trace ailleurs que dans le Mirāt az zamān du Sibt Ibn al Djawzī [3] à Londres (British Museum, ms. Or. 4619); ce Qazwīnī, je l'ai identifié: c'est un ḥanifite mo'tazilite, le qādhī Abou Yoūsuf 'Abd as Salām al Qazwīnī (né 411/1020, † 488/1095) —, auteur d'une monographie sur al Ḥallādj [4].

Mais où est passé le ms. dont Bostani s'est servi? Y aurait-il moyen de savoir si Souleïman Bostanī [5] en a hérité? Ce manuscrit a une importance capitale pour ma thèse et je vous serais profondément reconnaissant des moindres informations que vous auriez glanées sur son sort.

(١) الكاتدائية ٢١ تموز ١٩٠٨ .

(٢) نشر العلم بطرس البستاني (١٨١٩ – ١٨٨٣) الأجزاء الستة الأولى من «دائرة المعارف» الشهيرة . أما الجزء السابع فقد نشره ابنه سليم .

(٣) هو شمس الدين يوسف المعروف بـ «قزاوغلو» او السبط ابن الجوزي (توفي سنة ١٢٥٧) .

(٤) صحح مسينيون فيما بعد تاريخ ولادة القزويني الذي اورده هنا فجعل مولده سنة ٣٩٣/ ١٠٠٢ . راجع «سيرة» ، فصل ١ ، ص ١٦ .

(٥) هو صاحب تعريب «الابانة» (توفي سنة ١٩٢٥) وقد ساهم في نشر الأجزاء التاسع والعاشر والحادي عشر من «دائرة المعارف» (١٨٨٧–١٩٠٠) .

Il y a dans l'édition du Qorân d'Hinckelmann (1694) [1] une préface latine, — avec un passage bien intéressant sur une question que l'on n'a jamais, je crois, traitée à fond, — et qui est si curieuse... Jugez-en:

« Et quid tandem dicemus, de admiranda veritatis vi, quae jam in aulam Imperatoris Turcici se penetravit, — ut qui humanissimi et acceptissimi in eadem habentur, jam Christum verum deum et redemptorem mundi publice profiteri incipiant... adeo ut nata indesit jam peculiaris secta quae شعوب المسيح audit... ». Source: Paul Ricaut, anc. consul de Smyrne pour Guillaume IV lisez III, roi d'Angleterre — Jap. the History of the present state of the Ottoman Empire, II, c. XVI, p. 244 [2].

Daignez agréer, très Révérend Père, l'hommage des prières indignes que j'offre à Dieu en union avec les vôtres.

Paris. ce V. 5 IVIX. Louis Massignon †.

(٣)

91, Rue de l'Université

Très Révérend Père [3]

Je vous remercie beaucoup de votre lettre. Je pense que votre المختار في كشف الأسرار est l'ouvrage du Djawbari [4] († ap. 618/1221), dont j'ai examiné un exemplaire à la Bibliothèque Nationale de

(1) Abraham Hinckelmann. *Al-Coranus. s. Lex Islamitica Muhammedis, filii Abdallae...*, Hamburg, 1694.

(٢) طبع هذا الكتاب في لندن سنة ١٩٦٨ . وإليك بعض تعريب لبعض ما جاء في هذه الفقرة التي يدعيها مسيحيون « شعوب المسيح » : « ثبت منذ بضع سنين بين الأتراك بدعة جديدة يعتنقها ويؤيدها في الظيعة نخبة من رجال الفكر في البلاد وقد انتشرت في القسطنطينية انتشاراً سريعاً وأخذ يتسمى أتباعه بمعنى Chupmessihis أو تلامذة المسيح . ومع يقينهم بأن يسوع المسيح هو الله وأنه فادي العالم الحقيقي ... » وهنا لا بد من الإشارة الى غلط وقع فيه مسيحيون فسبق أن Chup تعني « شعوب » . بينما هي كلمة « حب » العربية المستعملة في التركية . وقد جاء Ricaut الى حرفي الـ C H لتأدية صوت الحاء المعروف في اللغات الاوروبية .

(٣) جاء الرسالة يصور حول الجوبري وما قاله عن الحلاج في كتابه « المختار في كشف الأسرار » . وسبب انشاء هذه الرسالة هو « أن يستخبر من مستشرقينا عن شيخ بهذا الاسم سمعوا بكتاب فائقه في عن الجوبري ومؤلفه « المختار في كشف الأسرار » . وكان شيخو بعد العدة لنشر هذا المؤلف وقد باشر بالوقائع نشر قسم منه على صفحات مجلة أبحاث من آذار ١٩٠٩ (راجع « المشرق » : ١٢ : ١٨٦ ، ٢٩١ ، ٣٦٩ الخ ...) .

(٤) هو عبد الرحمن (وقيل عبد الرحيم) عمر (وقيل بن عمر) الجوبري : من نواحي دمشق : لا يعرف عنه سوى انه كان مدة في خدمة السلطان مسعود احد ملوك بني أرتق وصاحب آمد .

اما كتابه فمعروف تحت عدة عناوين اشهرها « المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار » : به يبين اسرار المتصابين وتكايد المحتالين .

91, RUE DE L'UNIVERSITÉ.

Cher Mr. et ami

je ne reçois plus " al Machriq " et je le regrette bien, — car il m'intéressait beaucoup. Je vous envoie ci-joint le montant de mon abonnement, — plus le prix approximatif de deux exemplaires de votre cyclostylé sur l'Arménie, — car ma collection d'Orient étant incomplète, — je n'ai pu le lire tout entier.

A la réflexion je suis frappé chaque jour davantage du progrès vraiment surnaturel de l'idée d'"anonymat", — la société anonyme basée sur l'irresponsabilité et la peur, — sur les ordres énigmatiques de chefs inconnus par définition, aussi bien dans le monde politique que dans le monde économique. Il y a vraiment là les signes avant-coureurs de la "Cité" satanique prévue par Saint

إلى رسائل مستشرقين الى شيخو

٧٢٦

Augustin, la Cité de Dieu dans sa pensée jusqu'à
la Raine de Dieu" - Jésus est vraiment la pierre
angulaire et voilà qu'ils la rejettent, - admettant tout
le reste, - sauf Lui, sauf l'Idée d'éternité (mariage
indissoluble, sacré perpétuel) // - sauf l'Homme de Sainte
la sainteté. Ils rejettent le sel, et ne voient pas que la
terre pourrit sans lui.

Je vient prier à Dieu chaque jour de m'avoir donné
comme Maître, selon le mot de St Régis, "il n'y a qu'un
seul Maître, Jésus Christ !" Et cela n'est pas de la piété,
puisqu'en prenant part pour l'Homme de douleurs entre
le Ciel, - c'est toutes les souffrances humaines que
j'étreins avec Sa Croix, qui les a transfigurées.

Je me recommande bien respectueusement à vos
prières et à celles de tout votre Ordre en cette fête
de St Kostka dont j'ai visité la petite chambre, il y a
deux ans, à Vienne, pour y prier. Je recommande
également à vos prières tous les miens et celui qui
m'a réconcilié avec Dieu, mon pauvre et cher Père
Anatole dont les inexplicables publications m'ont
tant fait souffrir, quelques-unes religieuses paraissent,
maintenant, plus près d'être élucidées. Et j'unis
respectueusement et fidèlement mes prières à celles
de tous les vôtres et à celles des pèlerins
dans la communion à l'Église. Dites encore au RP Augustin
tous mes remerciements et au RP Mallet mes fidèles souvenirs
in

V KN

Paris (cod. 4640) — La notice sur al Ḥallādj (p. 12a) est très courte, et empruntée à des sources très altérées (date erronée, nom d'un vizir estropié, comme le prouvent les trois pièces de vers annexés. Elles sont toutes très connues (sauf la dernière, قصيدة في الاحظا, dont il ne donne que les deux premiers vers [1]:

يا طالما غبنا عن اشباح النظر بنقطة تحكي غيابها الشعر
من جسم يشرح واحرف ياسين فوق جبين قد سطر

Peut-être votre ms. en donne-t-il davantage [2] ? Plus loin pp. 22b - 23b je trouve des notices très partiales (hostiles) et très sommaires sur les الحريرية ، الجوالقية ، الحيدرية ، والفاعية [3].

La citation des Ḥaidariyah, fondés au XIV[e] siècle [4], celle

(١) تكاد اخبار الحلاج في كتاب الجريري لا تتعدى العشرين سطراً بما فيها المقطع الشعرية الثلاث المذكورة . اما المقطعتان الأوليان فهما ، كما قال ماسينيون ، مقتطفتان عن عهده في مصادر اخرى ، وفيما يلي نصهما حسب مخطوطة شيخو (المكتبة الشرقية ، ٢٤٨ ، ص ١٣ ألف) :

١) وحرية العبد الذي لم يكن يطمع في افساده المحرو
ما قالوا عند نزول البلا جهد وما سمي الضر
ما قد في عضواً ولا مفصل الا وفيه نكبا ذكر

(قابلها ، بديوان ١ ، ص ١٢٨)

٢) من اطلعوه على سر فبلغ به لم يأمنوه على الاسرار ما عشقه
وعاتبوه على ما كان من ذلل وابدلوه مكان الأنس ايحاشا

(قابلها ، بديوان ١ ، ص ٣٢)

اما القطعة الثالثة المدرج بعضها في الرسالة ، فقد اوردها ماسينيون فيما بعد على النحو التالي (ديوان ١ ، ص ٣٦) :

يا طالما غبنا عن اشباح النظر بنقطة تحكي غيارها الشعر
من جسم يشرح واحسرف وياسين في بين قد سطر
عشوا وعشي وترى اشخاصكم وانتم لا تروننا يا دبر

(٢) يحتوي مخطوط شيخو على البيت الثالث ، عشوا وعشي ، محرفاً بعض الشيء .

(٣) لا فرق عند الجريري بين المتصوفين الجوالين واصحاب الفرق التي يعددها ماسينيون ، فالرفاعية في نظره ، هم الذين كراماتهم اكل الحيات واشباه (...) وان جسمه لا يبقى يوماً واحداً بلا اكل حشيش فذا اكلها اختلط عقله وسولت له نفسه كل قبيح ، والحيدرية هم مبالغون يتعاطون الفواحش تحت ستر التصوف والجوالقية هم ، الذين يلبسون الجوالق ويختنون حمير وهذه بدعة ابتدعوها ، اما الحريرية فقد سميت هكذا نسبة الى الشيخ علي الحريري الذي ، اتلف اولاد اهل دمشق وقد كان اصل مذهبه انه يقول لمن يخدمه له لا تمنع النفس شيء من شهواتها ، .

(٤) عرفت الحيدرية منذ القرن الثالث عشر (راجع ، دائرة المعارف ، لبطرس البستاني ، ٧ : ٢٧٢) .

d'un certain al Wāsiṭī mort, selon le ms. lui-même en 627 (1230) (p. 13a) [1] prouvent nettement que ce كتاب المختار في كشف الاسرار يحتك الاستار [2] n'est pas d'al Djawbarī, ou tout au moins n'a pas été écrit par lui sous la forme donnée par le Cod. BN. 4690, et que la notice de Brockelmann (*Gesch.* I, 497) le datant de l'an 613; 1221 est *inexacte* [3].

Au sujet de سليمان بستاني, je serais très heureux d'être mis en relations avec lui pour tâcher d'obtenir quelques renseignements sur le ms. du قاضي القزويني [4].

Quant à la notice de la دائرة المعارف, je tiens à votre disposition le prix d'une copie de l'article « Hallage », car je n'en ai copié moi-même qu'une partie à Bagdad, et ce vol. de l'Encyclopédie est introuvable à Paris [5]. Merci d'avance.

Agréez, je vous prie, avec tous mes vœux, les prières indignes que je formule pour vous devant Dieu.

Paris, M. 17/III/IX. Louis Massignon †

(٤)

Très Révérend Père,

Je vous suis vivement reconnaissant de votre envoi et vous en expédierai le montant dès mon retour à Paris [6]. J'ai vu Soleyman al Bustānī au sujet du ms. dont je vous avais parlé [7]. J'ai été très heureux de me retrouver ici avec le P. Lammens [8], grâce à une indication de Goldziher [9].

J'ai trouvé aussi le 3e vers de la قصيدة في الاخفا dans le ms. de Djawbarī à S. Bayazid. Mais c'est inintelligible [10] !

(١) جاء في خطوط شيخو ان وفاة الواسطي كانت سنة ٦٢٩ (ص ١٨).
(٢) هكذا في الرسالة. والصواب « هتك » بالتاء.
(٣) لم يقل بروكلمن ان الجوبري انشأ كتابه سنة ٦١٨ ولكنه اثبت ان هذا المؤلف كتب للسلطان مسعود الذي تولى الحكم سنة ٦١٨. وقد خلف مسعود من سنة حكمه على بروكلمن في « سيرة » ، ف ١٥ ، ص ٢٢ ، حيث قال ان الجوبري كتب حوالي سنة ٦١٨.
(٤) راجع الرسالة السابقة.
(٥) راجع الرسالة السابقة.
(٦) طلب مسينيون الى شيخو ان يستنسخ له مقالة « دائرة المعارف » عن الحلاج (راجع الرسالة السابقة) ؛ فلبى شيخو طلبه وارسل له المقال.
(٧) هو المخطوط الذي تحدث بطرس البستاني في انشائه مقالته عن الحلاج (راجع الرسالة ٢).
(٨) الأب هنري لامنس ، المستشرق اليسوعي المعروف (١٨٦٢-١٩٣٧).
(٩) هو المستشرق المجري الشهير (١٨٥٠-١٩٢١).
(١٠) في شأن هذا البيت الثالث من القصيدة في الاخفاء راجع الحاشية ١ من الصفحة السابقة.

J'ai l'expérance de rencontrer le P. Anastase [1] à Rome. J'ai personnellement des doutes sur son ms. dont al Machriq a publié un extrait, — et voudrais qu'il en déterminât l'époque; ce que je sais du langage soûfî ne permet pas de le dater avant notre XVI^e (ou XVIII^e) siècle...

Veuillez agréer, Très Révérend Père, l'hommage de mon respectueux souvenir, et ne pas me refuser l'appui de vos prières.

Péra Palace, M. 11/V/IX. Louis Massignon

(٥)

91, Rue de l'Université †

Très Révérend Père et ami [2]

Je pars pour ma troisième année d'archéologie au Caire (Institut fr. d'Archéol. Or.), — et me recommande à vos prières.

Vous trouverez ci-joint un mandat de 20 fr. pour la copie que vous m'avez si aimablement fait établir d'un passage de la دائرة المعارف [3]. Le surplus de la somme, je vous serais reconnaissant d'en faire l'aumône, à ma place, à Beyrouth.

Votre « Machriq » m'intéresse beaucoup et j'ai signalé dans une analyse de presse votre étude critique sur le faux عهد de Mohammed et des chrétiens [4].

Au sujet de la F.·.M.·., — je vous demande la permission de vous communiquer quelques observations, — car c'est un sujet sur lequel j'ai pas mal de notes bibliographiques, — et d'observations personnelles, — sans compter des ouvrages rares.

1° *La bibliographie* de la F.·.M.·., ébauchée par THORY (Acta Latomorum, 2 vol., vers 1813), — a été bien traitée par KLOSS

(١) هو الأب انستاس ماري الكرملي العلامة اللغوي والمحقق الأديب الشهير (١٨٦٦–١٩٤٧). نشرت له مجلة « المشرق » (١١ : ٨٨٣–٨٩٢) بعضاً من مخطوط عربي قديم قال انه اكتشفه في الآستانة ولم يحدد التقويم به ان هذا المخطوط يأتي على ذكر من تنسك في جبل الكرمل ايام الخضر وبعده حتى العصر الأموي. اما تاريخ كتابة المؤلف فيظهر من حاشية لناسخه انه كان في اواخر القرن الثاني للهجرة. الا ان مسينيون شك في صحة هذا المخطوط لان مصطلحاته الصوفية لا يمكن ان تعزى الى ما يسبق القرن السادس عشر او الثامن عشر. ونحن على هذا الرأي لا بل نزيد فنقول ان اسلوب الكتاب بجملة يدل على انه خط بقلم مزور معاصر. ولما يدعم رأينا ان المخطوط لم يتابع نشره بعد ان شك ورقاه الاستاذ الكرملي بصحته.

(٢) جل مضمون هذه الرسالة ابداء مسينيون آراءه في الصوفية وبعض المؤلفات التي تبحث فيها. وما دفعه الى ذلك هو ان شيخو كان قد باشر في تشرين الأول سنة ١٩٠٩ بنشر سلسلة مقالات في « شيعة الفرمسون ».

(٣) راجع المقطع قبل الأخير من الرسالة ٣.

(٤) كتب شيخو مقالة في « عهود نبي الاسلام والخلفاء الراشدين للنصارى » (« المشرق »، ١٢ : ٦٠٩–٦١٨ و ٦٧٤–٦٨٢).

(Bibliographie der Freimaurerei. Frankfurt 1844 — contient 5000 nos; — on annonce prochainement une bibliographie en français de Fesch. Mais je crains qu'elle ne soit qu'un travail de polémique.

2° Deschamps ne vaut pas Findel Geschichte der Freimaurerei. Leipzig, 1333. 5e éd.), — qui est le manuel historique fondamental, — le seul critique. Ainsi, il vous aurait peut-être fait rejeter le texte accepté par Deschamps (cité par vous pp. 730-731 المشرق), qui est un *faux* (1), — incontestablement: car « Coligny », un des signataires de cette pièce, datée de 1533, — ne peut être que le fameux Gaspard II de Coligny † 1572): or, il naquit en 1517, — et n'aurait donc eu que *18* ans lorsqu'il signa! De plus, il était alors *catholique;* et ne devint *calviniste* qu'après 1557, à quarante ans — on n'a jamais connu de « francmaçons » *politiques* au XVIe siècle: tous les textes invoqués, antérieurs au XVIIe siècle (pièce d'Henry VII d'Angleterre —, publié par Locke. cfr. Thory, Acta, t. I p. 3, etc.), sont de misérables *faux*.

3° Je suis très sceptique également sur la prétendue société fondée par Lelio Sozzini en 1545 à Viance (Lelio avait 20 ans à peine, et n'était qu'un étudiant). Et je suis étonné de voir que Gustave Bord, dans le 1er volume (p. 21 de son remarquable travail sur « La Francmaçonnerie en France des origines à 1815 » (Paris, Librairie nationale, 1909), lui attribue tant d'importance. Le Socinianisme a peut-être préparé la Maç., mais il faudrait pour étudier et prouver cela dépouiller la correspondance de Fausto Sozzini (voir publications de l'Eglise Socinienne, aux Etats-Unis).

4° Je suis pleinement d'accord avec vous sur la comparaison à établir entre un certain manichéisme (celui d'Aristote) et la F.·.M.·.. Barruel a dit là-dessus des choses très justes, mais trop passionnées, dans un langage trop violent, avec une documentation insuffisante.

5° Je suis très intéressé de vous voir publier en arabe des articles sur la F.·.M.·., après les événements de Salonique et la propagande d'« Al-Hilâl » (2), — il était opportun de remettre

(1) Cela a été démontré par Deiprat. Kloss. Bobrik. Schwetschke. Beilermann (voir Findel, *loc. cit.*, pp. 330-331.. avec un déploiement de preuves irrésistible (Mélanchton n'aurait pas signé en 1535 une pièce parlant du « Papam. pontificem maximum »... L'indication des *trois grades*, tout prouve que c'est une falsification des « Templiers » du XVIIIe siècle).

(١) السويدانية بدعة بروتستانية تنكر الثالوث في الله ؛ نشأت في القرن السادس عشر في اوروبا على يد ليليو سوتزيني وابن اخيه فيستو .

(٢) الاشارة هنا الى الحركة التي انطلق بها جيش سلانيك بقيادة محمود شوكت وخلع الزعيم عبد الحميد عن العرش في نيسان ١٩٠٩ . وكانت مجلة « الهلال » المصرية تصرف الكثير من اهتمامها واجهيد في عرض حوادث هذا الانقلاب وما سبقه من نشاط تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي (راجع « الهلال » ، السنة السابعة عشرة) .

les choses au point. La maç.·. pénètre l'Islam très profondément: en Algérie, en Egypte, dans l'Inde, etc. — qu'adviendra-t-il de cet accouplement?

J'unis mes prières indignes aux vôtres dans la communion de l'Eglise.

L. S. XI IX. L M †

(٦)

91, Rue de l'Université

Très Révérend Père et ami

Je vous remercie bien vivement de votre carte du 31 janvier. Je serai très heureux de faire l'échange avec vos si intéressants « Mélanges » [١] et vais vous faire expédier un exemplaire de mon volume [٢].

Au sujet d'« Anthropos » [٣] je vais immédiatement rechercher l'article. Un certain nombre de faits récents m'ont amené à partager complètement l'opinion de Goguyer,[٤] qui m'avait dit « que les méthodes de travail scientifique » du R.P. A. « ne lui paraissaient offrir aucune espèce de sécurité ».

Je suis fort surpris de le R.P. A. ait invoqué mon témoignage sur une question que je n'ai fait qu'effleurer, au point de vue de ses rapports possibles avec le soufisme, — et que je n'ai examinée que sur des documents de seconde main: sans avoir rien publié là-dessus [٥].

Je vous serais bien reconnaissant de m'indiquer *le n° exact du « Machriq »* (année, et page), où a été insérée la devinette en 3 vers, attribuée à al Ḥallāj, et que j'avais communiquée au R.P. A.

(١) هي مجلة المعهد الشرقي بجامعة القديس يوسف في بيروت ، والعنوان الكامل : *Mélanges de la Faculté Orientale*

(٢) لا نعرف اي مجلة من مؤلفاته يعني .

(٣) هي المجلة العلمية المعروفة ، تبحث في الشعوب والالهية ، نشرت في السنوات الأولى (١-٣٩) من سنتها السادسة (١٩١١) مثلاً للأب انستاس عرف فيه عن اكتشافه كتابين من كتب اليزيدية المقدسة وعن سر رموز لغتها وترجمة قسم منها . الا ان مسينيون وشيخو وغيرهما من العلماء شكوا بصحة هذين الكتابين (وراجع مثلاً Maximilien : ايضاً راجع *Vorderasienexpedition* 1906 u. 1907, Leipzig. 1911. s. X. Bittner, *Die beiden heiligen Bücher der Jeziden im Lichte der Textkritik; Anthropos*, 1911, s. 629.

(٤) مستشرق فرنسي . توفي سنة ١٩٠٩ . اشتغل في الفقه الاسلامي واصول اللغة العربية .

(٥) يشير انستاس (R.P.A.) في مقاله المذكور (ص ٩) الى ان مسينيون اوحى اليه بفكرة ساعدته على حل رموز النص اليزيدي الذي اكتشفه وهي ان يقابل بين النص اليزيدي وما تحتوي ترجمته العربية من اعلام . وعليه فيكون تخوف مسينيون من اتيان انستاس على ذكره في مقاله لا مبرر له ولا علاقة له بما نوهم .

يا غافلاً مِن جهالة عن شاني هلا عرفت حقيقتي وبياني
وبيانه نحن ستة أحرف من بيننا حرفان معجوناني...

Je sais qu'un de vos lecteurs avait cru trouver la solution de l'énigme qui y est proposée et que vous aviez publié son explication. Mais dans quel n°? Je la recherche vainement parmi ceux que je possède [1]. Soyez assez bon aussi pour me dire quand je devrai vous faire tenir le montant de mon réabonnement. n'est-ce pas?

Veuillez accepter, Très Révérend Père et ami, l'hommage de mon religieux respect, en N.S.

M. 3 2.XI L M ✝

(٧)

91, Rue de l'Université

Très Révérend Père et ami

Je vous remercie beaucoup de votre bel envoi [2] et de votre aimable mot. Merci aussi pour la référence au « Machriq » [3]. J'ai lu l'article d'« Anthropos » et suis aussi inquiet que vous [4]. Dans la « Revue de l'Histoire des Religions » vous verrez exprimées toutes les réserves que m'inspire cet alphabet *sûrement* artificiel [5]. Attendons la publication intégrale.

Je vous suis bien reconnaissant de votre bonne pensée pour الحلاج. Le travail est en achèvement; je recopie la fin. Il me reste encore à collationner trois mss. que je vais tenter d'aller voir à Stamboul. Je vous serais *bien profondément* obligé de me signaler si parmi vos mss. de mystique musulmane (ou d'histoire des sectes) vous avez quelque chose d'*inétudié?* Car je vais publier ma « Bibliographie critique d'al Hallāj » que je voudrais la plus complète possible [6].

(١) عدد « المشرق » حيث نشر النص هو عدد ١١ (١٩٠٨) والصفحة هي ٦٣٦ ويختلف نص « المشرق » عن نص الرسالة المنشور اختلافاً كبيراً. فقد جاء فيه :

يا غافلاً جهالة عن شاني هلا عرفت حقيقتي وبياني
وبيانه نحن ستة أحرف من بيننا حرفان معجوناني

أما قول « المشرق » الذي تقدم نقله عن الأب فهمي أبو ملحم يوسف مسابكي (« المشرق » ١٩٠٨، ص ٨٨٠).

(٢) لعله يشير هنا الى مجلة *Mélanges* المذكورة في مطلع الرسالة السابقة.

(٣) راجع الرسالة السابقة.

(٤) الاشارة الى مقالة النساس عن الكتب اليزيدية (راجع الرسالة ٦)

(٥) *Revue de l'Histoire des Religions*, 1911, p. 11.

(٦) تتم مجموعة المصنفات التي راجعها مسينيون لانشاء دراسته عن الحلاج في ٧٤ صفحة من القطع الكبير!

A ce sujet je vais vous envoyer mon article paru sur la crucifixion « phantasmatique » d'al Ḥallāj, — dans la « Revue de l'Histoire des Religions » [1]. Je n'ose rien vous offrir au « Machriq », — car la question du mysticisme orthodoxe est trop « brûlante »!

Acceptez, très Révérend Père et ami, l'hommage de mon religieux respect

en N S J C

M. 29/III/XI L M †

(٨)

91, Rue de l'Université

Cher Père et ami [2]

Je ne reçois plus « al Machriq » et je le regrette bien, — car il m'intéressait beaucoup. Je vous envoie ci-joint le montant de mon abonnement, — plus le prix approximatif de deux exemplaires de votre سرّ المصون sur القرمسين, — car ma collection d' المشرق étant incomplète, — je n'ai pu le lire tout entier [3].

A la réflexion je suis frappé chaque jour davantage du progrès vraiment surnaturel des idées d'« *anonymat* », — de sociétés anonymes basées sur l'*irresponsabilité* et la *peur*, — sur les ordres énigmatiques de chefs inconnus par définition, — aussi bien dans le monde politique que dans le monde économique. Il y a vraiment là les signes avant-coureurs de la « Cité » satanique prévue par Saint Augustin, la Cité de « l'amour de soi poussé jusqu'à la haine de Dieu » [4]. Jésus est vraiment la pierre angulaire et voici qu'ils la rejettent [5], — admettant tout le reste, — sauf Lui, sauf l'idée d'éternité (mariage indissoluble, vœux perpétuels), sauf l'héroïsme et sauf la sainteté. Ils rejettent le sel et ne voient pas que la terre pourrit sans lui [6].

(١) *Al Ḥallāj. Le Phantasme crucifié des Docètes et Satan selon les Yézidis ; Rev. de l'Hist. des Relig.*, 1911, p. 1-13.

(٢) هذه الرسالة من اجمل ما بين يدينا مما كتبه مسينيون ؛ يطلق فيها صاحبها العنان لخواطره حول ما يحتاج عالم اليوم من تيارات متباينة قد يسيء فيحلل بعض مظاهرها ويسر بتوقه منها والمسيح سيده .

(٣) باشر شيخو نشر مقالات عن الماسونية في «المشرق» سنة ١٩٠٩ وتابع ذلك الى ان جمع مقالاته في مجلد واحد عنوانه « السر المصون في شيعة القرمسون » (بيروت : ١٩١٠-١٩١١) .

(٤) الاشارة هنا الى ما كتبه القديس اوغسطينوس في معرض كلامه عن المدينتين : مدينة الله ومدينة الشيطان .

(٥) انجيل متى ٢١ : ٤٢

(٦) متى ٥ : ١٣

Je rends grâces à Dieu chaque jour de m'avoir daigné montrer que, selon le mot de St Régis [1] « il n'y a qu'un seul maître, Jésus Christ! ». Et cela n'est pas de la تعصب, puisqu'en prenant parti pour l'Homme de Douleurs contre le Péché, — c'est toutes les souffrances humaines que j'étreins avec Sa Croix, qui les a transfigurées [2].

Je me recommande bien respectueusement à vos prières et à celles de tout votre ordre en cette fête de St Kostka [3] dont j'ai visité la petite chambre, il y a deux ans, à Vienne, pour y prier. Je recommande également à vos prières tous les miens et celui qui m'a réconcilié avec Dieu, mon pauvre et cher Père Anastase dont les inexplicables publications m'ont tant fait souffrir, quoique leurs origines paraissent, maintenant, plus près d'être élucidées [4]. Et j'unis respectueusement et fidèlement mes prières de pénitent à celles de tous les vôtres et à toutes vos intentions dans la communion de l'Église. Dites encore au R.P. Ronzevalle [5] tous mes remerciements et au R.P. Mallouf [6] mon fidèle souvenir.

L. 13:XI:XI † St Stanislas Kostka V

L M †

(٩)

91, Rue de l'Université

Très cher Père et ami [7]

Je vous remercie bien de votre lettre et de l'annonce d'envoi qu'elle contient. Votre œuvre d'Orient [8] est plus essentielle que jamais en ce moment où les sociétés protestantes anglo-germaniques ont formé cet extraordinaire « consortium » financier pour « la conquête de l'Islam » dont vous verrez le détail dans un nº de la « Revue du Monde Musulman » (novembre) auquel je n'ai pas collaboré.

(١) هو القديس جان فرانسوا رجيس اليسوعي Jean-François Régis (١٥٩٧–١٦٤٠).
( ) راجع متن الكتاب ٣٢ : ٣–٥
(٣) القديس ستانسلاس كيستكا اليسوعي. توفي في شرخ الشباب سنة ١٥٦٨.
(٤) يظهر من هذه الكلمة كان للأب الراحل يد في عودة سبيين الى ممارسة الدينية. أما منشورات هذا الكاهن الغربية التي ذكرت فهي ما مر الحديث عنها في الرسائل ٤ و٥ و٧.
(٥) هو الأب سبستيان رونزفال (١٨٦٥ – ١٩٣٧) المستشرق اليسوعي والعالم الأثري. من بين ما درسه الديانات السامية القديمة.
(٦) هو الأب لويس مخلوف اليسوعي (١٨٦٧–١٩٤٦) صاحب القاموس « المنجد » في اللغة.
(٧) يتصرف سبيين في رسالته هذه الى تأملات في كيفية مواجهة الكنيسة الكاثوليكية لبعض التيارات الدينية التي في صلبها او خارجها.
(٨) المعني هنا بعثة اليسوعيين في الشرق الأدنى.

Je crois bien qu'il faudra d'ici dix ans, dans l'apologétique catholique en terre musulmane, utiliser plutôt le terrain de défense qu'occupe l'Eglise en pays protestant anglais ou allemand que le terrain traditionnel grec-oriental, — tant le flot des publications anglo-germaniques aura « protestantisé » l'idée que les musulmans se font de Jésus.

Au sujet de l'apologétique catholique récente, — je ne sais si vous avez lu les livres suivants*, qui précisent admirablement les objections *actuelles* des protestants et des orthodoxes contre l'Eglise:

Miss E.A. Baker, « A Modern Pilgrim's Progress », traduit sous le titre « Vers la maison de Lumière », Lecoffre, 1911.

Alb. Von Ruville, « Retour à la Sainte Eglise », trad. de l'all^d par Lapeyre, Beauchesne, 1911.

d'Herbigny, « Un Newman Russe: Vl. Soloviev († 1900 », Beauchesne, 1911.

Le premier livre est d'une pensée virile et très dogmatiquement catholique. Les deux autres, plus courts, sont aussi très significatifs.

Pourquoi faut-il que, tandis qu'hors de France, l'Eglise est si « intégralement » défendue, — en France l'esprit moderniste renaisse, sournoisement, dans les œuvres d'enseignement supérieur religieux, — pour les laïques et même pour les prêtres? On est étonné de voir, malgré l'avis formel de NS Père le Pape, Mgr Duchesne « Histoire de l'Eglise » maintenu en lecture et recommandé [1] ! Je sais pourtant et bien pertinemment le mal que l'esprit de « minimisme » antisurnaturel personnifié par l'œuvre de Mgr Duchesne a fait à un de mes amis, hélas [2]. Mais bien des gens n'obéissent au Pape qu'en paroles abondantes, non suivies d'effet! Et, pour un laïque, pénitent de fraiche date, il n'y a qu'à prier dans son coin « Adveniat Regnum tuum! » [3].

Bien respectueusement vôtre dans la communion de l'Eglise.

M. 13/XII/XI. S. Lucia VM.

L M †

P. S. Le R.P. Kersanté [4] qui a bien voulu, sur la demande

* ant l'imprimatur

(١) كان المسيو لويس دوشين (١٨٤٣ – ١٩٢٢) من اكبر العلماء في تاريخ الكنيسة . لامت مؤلفاته مناهضة شديدة لا سيما « تاريخ الكنيسة القديمة » المذكور في رسالة مسينيون ، وقد حرمت السلطات الكاثوليكية قراءته سنة ١٩١٢.

(٢) لا ندري من هو هذا الصديق .

(٣) ارتد مسينيون الى الدين بعد ان لمس قوة الايمان في آل الالوسي البغداديين اثناء نزوله ضيفاً عليهم لما طوف بالعراق سنة ١٩٠٧ – ١٩٠٨ .

(٤) الاب جيل كرسنتيه (١٨٥٩ – ١٩٣٢) : رئيس دير اليسوعيين في دمشق آنذاك .

du R.P. Lammens. [1] me trouver un copiste pour un ms. de la ظاهرية de Damas sur al Ḥallāj, — m'a dit que le copiste, en sus du prix convenu, voudrait « un livre de valeur en cadeau ». D'après votre expérience de Beyrouth, quel livre selon vous, pourrait lui plaire?

(١٠)

Très Révérend Père et ami [2]

Je vous suis très reconnaissant de votre indication pour Ibn Qalānisi. C'est *en plus* du prix usuel que je dois offrir un livre à mon copiste: nous en reparlerons [3]. Mille mercis pour le نشر المعرفة. Je vais envoyer les 15-1.50 = 13.50 de mon abonnement pour 1912 au Machriq [4].

J'ai connu l'ouvrage du Waṭwāṭ [5] par un article du pauvre Schreiner [6] (avant qu'on l'interné) ap. Z. D. M. G. — Et il y a deux ans j'ai acheté au Caire l'édition de 1299. Voici le résumé de ce qu'en dit ma « bibliographie d'al Ḥallāj » que je vais faire imprimer avant ma thèse en un volume contenant l'analyse critique et la « généalogie » chronologique des textes sur الحلاج : (n° 503-bis) [8]

(١) راجع الرسالة ٤ : الحاشية ٨ .

(٢) يدور الحديث في هذه الرسالة حول اطروحة سينيون عن الحلاج وحول بعض المصادر التي يستعملها او يود استعمالها في هذا الصدد .

(٣) كان سينيون في رسالة سابقة (راجع الرسالة رقم ٤) قد طلب الى الأب شيخو ان يهديه الى كتاب قيم يقدمه الى احد الشيوخ المستشرقين وقد تحيره ليتقل له مخطوطاً عن الحلاج في المكتبة الظاهرية، فيبدو من ذكر ابن القلانسي هنا ان شيخو اشار على صديقه بالحصول على « تاريخ دمشق » لهذا المؤلف الدمشقي (١١٦٠ م) وقد نشره في ليدن سنة ١٩٠٨ المستشرق هـ. ف. اميدروز Amedroz .

(٤) راجع مطلع الرسالة ٨ .

(٥) كان الاشتراك السنوي « بالمشرق » لمن هم خارج البلاد التركية ١٥ فرنكاً ، ونقل ما دفع سينيون الى حسم فرنك ونصف الفرنك من الثمن المفروض هو ان شيخو قد عناه من تأدية الأرباح قبل ذلك مآلاً — فقد شراء بعض الكتب وزاد (راجع مطلع الرسالة ٨) .

(٦) هو جمال الدين محمد الوطواط (١٢١٨ م) . اما كتابه المعني هنا فهو « غرر الخصائص » (المطبوع في بولاق سنة ١٢٨٤ هـ وفي القاهرة سنة ١٢٩٩) حيث ذكر الحلاج وسيرته .

(٧) هو مارتن شرايبر (١٨٦٣ – ١٩٢٧) : المستشرق الالماني . اما مقاله الذي ألمح اليه سينيون فهو : *Beiträge zur Geschichte der theologischen Bewegungen im Islām.* : *Z.D.M.G.*, 52: 463, 513; 53: 51.

(٨) راجع « سيرة » - ف ١٥ : ص ٢٧ . حيث اشعر سينيون بالتعريف عن الوطواط والاشارة الى كتابه مع بيان الصفحات التي جرى فيها الكلام عن الحلاج .

1°-19° Bāb VII, fasl III, pp. 129-130 [1] : biographie d'al Ḥallāj...

4e phrase « من حذّب » (corr. ici: حذّب (sic) prise à Al Biroūni ou à ʿAbd al Qāhir al Baghdādī [2] ...

14° « Ibn Foūrak Dāoūd al Zāhirī »—confusion: du ẓāhirite Ibn Dāoūd [3] qui a réellement condamné الحلاج, avec le shafi'ite postérieur ابن فورك [4]...

15° « cent » coups: erreur pour « 500 »...

19° « 27 »: erreur pour 24: qui était un mardi [5] ...

20° Bāb V, fasl II: pp. 286-287 : tercet « Anā man ahwā... » D'Abī (sic) al Ḥosayn...

21° distique « Jobilāt roūhoka... ».

22° » déformé (! ! التبية) « Mozijat roūhoka... » (cfr al Khatīb) [6] .

— Mes nos 20°-22° correspondent, vous le voyez, à votre édition (de quelle année?) p. 373. De quelle année est votre édition [7] ?

Il est assez remarquable que trois fragments que je possède d'un diwān attribué à (al-Ḥallāj) [8] commettent pour son nom la même erreur « ابو الحسين » (sic) au lieu de « ابو (المغيث) الحسين... ». Si l'on pouvait retrouver un ms. de ce ديوان ce serait sous le titre « ديوان ابي الحسين الحلاج », sans doute.

Puisque vous voulez bien me montrer l'intérêt que vous portez à mon travail qui m'occupe depuis si longtemps, — peut-être pourriez-vous m'aider dans ma recherche d'un ouvrage où il est

(١) يجدر التنبيه هنا الى ان مسينيون قد خلط في « سيرة » (ف ٥، ١، ص ٢٧) حيث جزا الى طبعة القاهرة التي ذكرها أرقام طبعة بيلاق التي يستشهد بها في هذه الرسالة ، وكان عليه ان يدل ١٢٩ — ١٣٠ ؛ ١٦٩ — ١٧١ و ٢٨٦ — ٢٨٧ ؛ ٣٧٣ .

(٢) هو المتكلم الاشعري (١٠٣٧ —) ؛ صاحب « الفرق بين الفرق » . أما البيروني فهو ابو الريحان محمد بن احمد (١٠٤٨ —) صاحب « الآثار الباقية عن القرون الخالية » (راجع « سيرة » ، ف ٥، ١، ص ١٤ ؛ حيث عدة مصادر في شأن ما ارتآه مسينيون) .

(٣) هو الظاهري ابن داود الاصفهاني . اقتى بقتل الحلاج .

(٤) هو ابو بكر بن فورك الاصفهاني ، من فقهاء الشافعية . توفي سنة ١٠٩٤ ؛ اي ١٧٣ سنة بعد الحلاج .

(٥) الاشارة هنا الى تاريخ مقتل الحلاج وكان يوم الثلاثاء في اربعين والمئتين من ذي القعدة سنة ٩٢٢ (« سيرة » ، ص ٣٢٩) .

(٦) هو ابو بكر بن ثابت الخطيب البغدادي (١٠٧١ —) . (راجع « سيرة » ، ف ٥، ١، ص ١٦) .

(٧) الطبعة التي كانت بين يدي شيخو هي طبعة مصر ، سنة ١٢٩٩ هـ .

(٨) ما بين هلالين ناقص في الأصل .

question, m'a-t-il été dit *formellement*, d'al Ḥallāj: c'est le « تفسير الجلالين » du ṣoûfî égyptien moderne احمد بن محمد الصاوى, mort en 1241 1825, — il y a moins de cent ans. Brockelmann connait l'auteur, mais omet l'ouvrage (II, 353). — L'auteur est un shaykh réputé de la secte des Khalwatiyah. Je vous serais bien reconnaissant de me dire si vous connaissez en Syrie des exemplaires imprimés de cet ouvrage, — ou, à leur défaut, un ms. où je puisse faire chercher et copier les §§ relatifs à الحلاج [1]. J'indiquerais dans ce cas, au copiste, les versets coraniques ou les tafsîr ṣoûfîs que j'ai déjà collationnés, et dont al Ṣâwî s'est servi, — parlant d'al Ḥallāj — afin que le copiste ait un travail bien repéré.

Je vous remercie de vos souhaits, — et j'espère que votre œuvre syrienne triomphera de toutes les difficultés de l'heure présente, — et c'est avec une respectueuse reconnaissance que je vous prie d'accepter, pour vous et pour tous les vôtres, l'hommage fidèle de mes prières en NS.

M. 23 I XII Desponsat. BMV et SJ [2]

L M †

(11)

La Ville Evêque
En Pordic
Côtes du-Nord
†
Fête de Saint Louis, Roi

Très cher Père et ami [3]

Permettez-moi de vous offrir aujourd'hui tous mes vœux respectueux et fidèles, — à l'occasion de cette fête anniversaire qui nous unit dans l'Eglise [4].

Je souhaite qu'الشرق continue à lutter et à faire le bien, et que vos œuvres de Beyrouth fassent rayonner l'Eglise tout alentour.

(١) كتب سينيون في «سيرة» (ف ٥١، ص ٣٩) أن المصنف الذي ذكر فيه الصاوي المتوفى هو «حاشية تفسير الجلالين».

(٢) عيد القران مريم العذراء بالقديس يوسف.

(٣) اهم ما يقوله سينيون لشيخو عقده الثابة على الذهاب الى مصر ليتولى منصب يتظره فيها؛ وهو إن قبل بالوظيفة فلن ولا عنه نصيحة مرشده الروحي وعل أهل الساهة في احلال «منكرات الله».

(٤) كتبت هذه الرسالة في ٢٥ آب وهو عيد القديس لويس ملك فرنسا؛ شفيع سينيون؛ وحيث ان الأب شيخو يدعى لويس؛ فقد ظن صديقه ان العيد عيده أيضاً. الا ان شفيع الأب شيخو هو القديس لويس غونزاغا اليسوعي وعيده في ٢١ حزيران.

Il est question pour moi d'aller cet hiver en Egypte, — mon directeur est d'avis que j'accepte la position qu'on m'y offre [١] : je me recommande à genoux à vos prières sacerdotales, — et aux prières de votre Ordre, — pour que ce séjour ne soit pas stérile, — et que je sois admis, moi aussi, — à travailler un peu là-bas pour hâter le Règne de Dieu. Adveniat Regnum tuum! Je me sens si misérable, — si perclus de mauvaises pensées que je ne vois pas très bien à quoi je pourrai jamais servir. Faut-il que les rues soient désertes pour que les envoyés de la Parabole Nuptiale ramènent au Maître du banquet un invalide comme moi [٢] ... Que sa volonté soit faite!

Bien respectueusement vôtre

Ce D. 25 août 1912
Purissimi Cordis BMV †

Louis Massignon

(١٢)

La Ville-Evêque
Par Pordic (Côtes-du-Nord)

Très cher Père et ami [٣]

Je vous remercie bien de votre lettre, si bienveillante. Puisque j'ai appris un peu d'arabe, — je voudrais me servir de cette langue, dont j'ai mésusé jadis, — pour rendre témoignage à Notre Seigneur Jésus. — s'il me le permet.

C'est ce que je prépare depuis quatre ans. Je voudrais prouver aux musulmans sincères, que je connais et que j'aime, — qu'il y a eu parmi eux des gens que l'étude et la prison ont amené à croire en Jésus Crucifié. Je crois en avoir trouvé deux exemples saisissants: dans al Ḥallāj († 922) et dans Qābidh († 1534) [٤] : tous deux théologiens connus; — L'un s'était proposé, — au témoignage personnel d'al Balkhī, un contemporain, — l'*imitation de Jésus*, — pour obtenir en lui l'infusion de l'*Esprit Saint* [٥] ; et il est mort en

(١) دعي ماسينيون الى القدرة فلقي في الجامعة اربعين درساً بالفرنسية وكان بين تلاميذه طه حسين ومصطفى عبد الرازق .

(٢) الجيل متى ٢٢ : ١-١٤ .

(٣) يبدي ماسينيون في هذه الرسالة رغبته الشديدة في ان يبين لاصدقائه المسلمين انه قد بينهم أناس آمنوا بيسوع المصلوب ، فيأتي ببراهين على ذلك لا سيما فيما يختص الحلاج .

(٤) كان قابض متكلماً سنياً تركياً ، امر بقتله سليمان الأول فاعدم في اواخر سنة ١٥٢٦ (لا ١٥٢٤ كما قال ماسينيون) بعد ان اصر على الاقرار بان المسيح يفوق محمداً وان الانجيل اسمى من القرآن (راجع M. d'Ohsson, *Tableau général de l'Empire Ottoman*, Tome I, Paris, 1788, pp. 153-159).

(٥) راجع في هذا العدد الخاتمة ٢ من الصفحة ٥ .

croix, avec une résignation admirable (ma thèse contiendra des documents du temps, tout à fait saisissants, à ce sujet).

L'autre, Qābidh, s'est fait supplicier pour avoir soutenu que la sunnah سنّة de Jésus était *supérieure* à celle de Mohammad.

Comme il faut, pour convaincre, s'être fait d'abord « l'avocat du diable », j'ai publié d'abord ce qui est le plus fort comme objection contre le « christianisme implicite » d'al Ḥallāj; savoir:

a) son *satanisme* prétendu (cfr. *Revue de l'Histoire des Religions*; [1]

b) son mot « *Ana al Ḥaqq* » (cfr. *Der Islam*, III); [2]

c) un texte étrange, de lui, son *Kitāb al Ṭawāsīn*, [3] — où il est question de la préexistence de Mohammad, — et où il y a des propositions suspectes de gnosticisme, — comme chez tous les mystiques musulmans, — car l'idée de l'unité pure de Dieu, l'unité impersonnelle, anti-trinitaire, — mène droit au panthéisme.

L'important, pour moi, est la mort d'al Ḥallāj, est son influence sociale, son retentissement: sa crucifixion *réelle*, destinée à rappeler perpétuellement aux mystiques musulmans celle du Christ que le Qorān a niée.

قيل لحلاج وهو مصلوب « ما التصوف ؟ »

— ما ترون [4]

Ce n'est qu'en insistant sur la crucifixion *réelle* du Christ que l'on pourra faire comprendre aux musulmans la Rédemption.

Mais ce sujet est difficile à traiter, — et je me recommande respectueusement à vos prières et à celles de tous les vôtres, très cher Père et ami. — afin de ne pas nuire quand je voudrais aider. J'unis mes prières aux vôtres dans la communion de l'Eglise.

Ce L. 23/IX/1912 L M †

Fête de Ste Thècle, protomartyre [5].

---

(١) *Al Ḥallāj. Le Phantasme crucifié des Docètes et Satan selon les Yézidis*, dans *Revue de l'Hist. des Religions*, 1911, pp. 1-13.

(٢) *« Ana al Ḥaqq », Etude hist. et critique sur une formule dogmatique de théol. mystique, d'après les sources islamiques*, dans *Der Islam*, 1912, pp. 248-257.

(٣) نشر مسينيون « كتاب الطواسين » مقدماً له ومعلقاً عليه سنة ١٩١٣ في باريس ..

(٤) راجع « اخبار الحلاج » في بشره مسينيون وكراوس؛ باريس ١٩٥٧؛ ص ٣٦-٣٧ .

(٥) اغلب الظن ان الاشارة هنا الى استشهاد القديسة تقلا هي مقصودة بعد ما جاء في الرسالة عن استشهاد الحلاج .

(١٣)

La Ville-Evêque
Par Pordic (Côtes-du-Nord)

Très Révérend Père et ami [١]

Je suis très touché de votre envoi. Vous avez dû recevoir le mandat, je pense. Je crois qu'il y a beaucoup à espérer des Arabes en ce moment. Je le sens par les lettres et visites (jusqu'ici, en Bretagne) que je reçois de mes anciens élèves musulmans de l'Université du Caire.

Il faut prier beaucoup, — et je me recommande très respectueusement à vos prières et à celles de tous les vôtres, très Révérend Père et ami.

Ce S. 27/IX/1913 Louis Massignon
SS. Côme et Damien †

Vous avez vu le très désagréable compte-rendu que la brave لغة العرب a éprouvé le besoin de faire des طواسين. Je sais que les طواسين contiennent pas mal d'erreurs, — mais des gens compétents m'ont dit que, somme toute, ils en tiraient bon parti. Il n'y a que le Père A. qui ne soit pas de cet avis [٢]. Il me fait de la peine. C'était un homme si bon autrefois, — avant ses rêves de « gloire mondaine ». Et maintenant le voilà devenu un journaliste avide de polémique et de dispute, aigre et discuteur [٣]. J'unis mes prières aux vôtres, très Révérend Père et ami, — pour que ce pauvre Père redevienne l'homme simple et bon que nous avons connu jadis.

— J'ai vu à Louvain le Père Lammens toujours actif et vail-

(١) فكرتان رئيستان في هذه الرسالة : الاولى قوامها الآمال الكبيرة التي يعلقها ماسينيون على العرب ؛ والثانية تتمم في توضيح الكتب الشهيرات التي تواجهها احدى مؤلفاته من قبل الأب انستاس الكرملي .

(٢) عرّف الأب انستاس (= le Père A.) في مجلته « لغة العرب » (٣ [١٩١٣] ، ص ٣٠١ — ٣٠٥) عن طبعة ماسينيون « لكتاب الطواسين » بطريقة التهيئة في موقف المقرّبل الذي « يستقي من البحيرة » (متى ٣٣ : ٢٤) ، يتسرسل في ابراز الهنات كأنه الند غيرة على بيان خطه منه على جلاء صفحة الحق .

(٣) تهجم انستاس على غير ماسينيون ولم ينج شيخو من لذعات قلمه (راجع مثلاً « لغة العرب » ٣ ، ٣ [١٩١٣] ، ص ١٤١ حيث انتقاده موقف شيخو من نصرانية غسان ؛ او ايضاً المرجع نفسه في السنة نفسها ، ص ٥٧٢ — ٥٧٦ حيث تحامل عنيف على ما قاله شيخو عن رحلته من بيروت الى الهند) .

lant, — et le Père Bouvier [1] qui a été tout à fait bon pour moi. Nous avons parlé de vous ensemble. Que Dieu vous maintienne longtemps pour le succès de votre mission et pour Sa gloire. †

(١٤)

Très vénéré Père et ami [2]

Je suis bien content que vous ayiez pardonné à Satsana, [3] — et que vous laissiez sa revue reparaitre. Dieu veuille désormais que ses النقادات soient plus sages et plus chrétiennement faites [4] !

Je viens vous demander très instamment vos prières dans le Saint-Sacrifice. Après avoir bien réfléchi, prié, abandonné ma volonté, obéissant à mon directeur, — je me suis fiancé, — et je vais me marier le 27 janvier, à Bruxelles [5]. Priez pour moi ce jour-là! Dieu me donne de le servir dans le monde mieux que dans

(١) هو الأب فريدريك بوڤيي اليسوعي (١٨٧١ – ١٩١٦) . كان وقتئذ استاذ اللاهوت في انكلترا (Ore Place. Hastings) وعمراً في مجلة *Les Etudes* . — اما الأب لاشس فهو المستشرق المعروف .

(٢) ينبئ مسيو مديقه بأنه مقدم على الزواج بعد ان تبين له مرشده الروحي ان الله لا يدعوه الى حياة العزلة والتصوف في الصحراء ثم يطلب اليه ان يذكره في صلواته وان يذكر بنوع خاص الحلاج الذي يرى انه مات مسيحياً بالشرق لأسباب عديدة يسردها في سياق الرسالة .

(٣) Satsana هو مقلوب اسم الأب لنداس كما تتبين ذلك من رسالة بعث بها المذكور الى الأب شيخو في ٢٠ ت ١ سنة ١٩١٠ قال فيها : « اني لما رأيت ان الآباء اليسوعيين لم يذكروا عن « السرة » ذكراً كافياً بمجلة كاثوليكية (...) عزمت على كتابة بعض مقالات لها بهذا الاسم وهو Satesna لا *Satsana* مقلوب «Anastas(e)» . وكان من دأب الأب انستاس ان يكتب الكثير من مقالاته باسماء مستعارة (راجع لائحتها في : كوركيس عواد : « الأب انستاس ماري الكرملي : حياته ومؤلفاته » ، ص ٢٠–٢١) .

(٤) كان انستاس قد انتقد شيخو في مجلته « لغة العرب » (راجع الحاشية ٣ من الرسالة السابقة) وكان قد رد عليه شيخو في « المشرق » (١٦ : ٥٥٥ ، ٥٥٨ ، ٧١٧ ، ٨٧٨) : ولكن رؤساء الراهبين تدخلوا فيما بينهما وتناقشا نصحاً وتوبيخاً . وكان من نتائج شيخو على رصيفه ان مجلته لا تعنى البتة بالأمور الدينية : وهذا في نظره لا يليق بنشرة يصدرها رهبان مرسلون : فكتب فيها كتب الى استقف الكلدان في بغداد يبثه تخوفه مما قد تؤول اليه احوال النساطرة ولكن البطرك طمأنه وطلب منه ان يسامح واشار بأنه لا بأس من ان يتابع الكرملي اصدار مجلته على علاتها (راجع محفوظات جامعة القديس يوسف ، رسالة البطرك جان دورو Jean Drure الى شيخو بتاريخ ١٧ /٨/ ١٩١٣) .

(٥) تزوج مسيو تسيته من امه مرسيل دانسرت تستلان (Marcelle Dansaert-Testelin) وقد قام بمراسم الزواج الخوري دانيال فونتين (Daniel Fontaine) .

la retraite au Sahara que je désirais depuis cinq ans[1]. Mon directeur m'a expliqué que la vie parfaite, c'est de faire la volonté de Dieu, non la sienne — Fiat!

Priez spécialement pour que je puisse apporter mon obole à la conversion des Arabes, — et que je puisse faire œuvre sainte en l'Eglise notre Mère à tous, — et faire aimer Notre Seigneur davantage.

Tout particulièrement et CONFIDENTIELLEMENT je recommande à votre intercession auprès de Celui que vous offrez à l'autel, à votre Messe, الحسين بن منصور الحلاج sur qui j'achève ma thèse de doctorat, qui paraitra, si Dieu veut, dans quatre mois —. Il est le seul à avoir, en Islam, de son temps, compris que la sainteté de l'union à Dieu ne pouvait s'atteindre que par le ministère de « cet Esprit Saint dont naquit Jésus »;[2] il est* le seul à avoir employé au sens chrétien les mots ناسوت et لاهوت pour l'union hypostatique des deux natures;[3] il a cru que le كلام نفسي de Dieu était incréé et coessentiel,[4] — et que le روح était incréé et coessentiel[5] — Il a prêché la nécessité de la contrition *pour tous*,[6] l'imminence terrible du Jugement *pour tous*;[7] il a parlé du sacrifice plénier de soi comme seul un chrétien de désir peut le faire[8] — Dieu lui a-t-il refusé avant sa mort le baptême de

*. Vous trouverez les références aux textes dans ma thèse.

(١) راودت ماسينيون فكرة الخلوة في الصحراء سنة ١٩٠٩ وقد كان لصديقه شارل دي فوكو يد في ذلك ، الا ان فكرة النفي في انشاء الاطروحة عن الحلاج تغلبت على الأول (راجع Louis Massignon. *Parole donnée*. Paris. 1962, p. 22).

(٢) راجع الحاشية ٢ من الصفحة ٥ .

(٣) راجع « كتاب الطواسين » ، ص ١٣٥ حيث جاء :

دخلتُ بناسوتي لديك على الملك ... وهـ لولاك » لاهوتي لخرجتُ من الفيدق

راجع ايضاً « ديوان » ١ ، ص ٤١ . — الا ان ماسينيون عاد عن هذه الفكرة فيما بعد وقال في « سيرة » ، ص ٦١٥ . حاشية ١ : ان الحلاج لم يأخذ كلمتي اللاهوت والناسوت عن النصارى .

(٤) راجع بتوسع خطبي له كتاب الطواسين ، ص ١٢٥ .

(٥) انظر « سيرة » ، ص ٦٦٢ — ٦٦٣ .

(٦) و(٧) « سيرة » ، ص ٦٧١ وما يليها .

(٨) مثل الحلاج وهو مصلوب مقطوع اليدين والرجلين : ما هو التصوف ؟ فقال : أهون مرقاة منه ما ترى . ولما قدم في الغد ليضرب عنقه هتف بأعلى صوته : حسب الواجد إفراد الواحد له (« اخبار الحلاج » ، ص ٣٦) . فكأنه به يعيش في شخصه قول الانجيل : « ما من حب أعظم من حب من يبذل نفسه فداءً عن احبائه» (يوحنا ١٥ : ١٣) .

désir? Humainement, humblement, je ne le crois pas. — et vous demande vos prières sacerdotales pour cette image arabe, qui fut bien défigurée, mais que je crois avoir été consentante à la Croix, compatiente à la Passion du Divin Maître.

Avec mes souhaits respectueux et fidèles pour votre œuvre et votre Ordre, dans la communion sainte de l'Eglise.

Ce S. 17/I/1914 L M

S. Antoine, ermite †

وثائق وأحداث

العرب في العصور الكلاسيكية القديمة

تعريف لكتاب فرانتس التهايم وروث شتيل[1]

(تابـع)

بقلم الدكتور مارتينانو رونكاليا
المعهد الألماني للابحاث الشرقية في بيروت

يمبولوس (صفحة ٨٠ــ٩٢)

يمبولوس هو مؤلف آخر رواية سياسية وصلت الينا وهي تحمل عنوان « مدينة الشمس ». ونحن لا نعرف المؤلف إلا من خلال خلاصة متقضبة تركها لنا ديودوروس وقد يحرفها هذا الأخير ويضفي عليها مسحة من الدعابة دون أن يكون لنا يد في التحقق من ذلك ويكتفي لوقيانوس السميساطي[2] بذكرها في رواياته الحقيقية »[3] ويقدمها لنا كقصة خيالية لعجائب الأوقيانوس. وعليها بهذا العدد لدراسة هذه الرواية الاكتفاء بالفصول الثلاثة التي يخصصها لها ديودوروس (٢ : ٥٥ــ٦٠).

كان يمبولوس منذ حداثته شغفاً بالعلم وقد أخذ. وهو ابن تاجر؛ يتعاطى التجارة بعد وفاة والده: وبينما كان يجتاز الجزيرة العربية في احدى رحلاته قاصداً بلاد الأفاوي. وقع مع أحد رفاقه في قبضة قطاع الطرق وأوكل اليه مع أحد ابناء بلده رعاية الأغنام. وبينما كانا يقومان بعملهما

---

(١) *Die Araber in der Alten Welt*, von Franz Altheim u. Ruth Stiehl; Berlin, Walter de Gruyter and Co., 1964 *sq.*

(٢) Lucien de Samosate

(٣) *Histoires vraies*, I, 3.

احتفلهما في هذه المرة الأحباش وقادوهما نحو شاطئ بلادهم بغية استخدامهما في عملية تطهير شعبهم في احتفال تقليدي مهيب يقام مرة واحدة في كل ٦٠٠ سنة . وكانت مراسيم الاحتفال تتم على الشكل التالي : يجهز مركب مع مؤونة تكفي لإطعام رجلين مدة ستة أشهر ويدفع المركب مع ملاحيه الى البحر ويؤمر الملاحان بالاتجاه نحو الجنوب . وقد يصل الرجلان بهذه الطريقة الى « جزيرة سعيدة » يقضيان فيها حياة سعيدة . ويتفاءل الاحباش اذا تم هذا الأمر على الوجه المتوقع له ويظنون أنهم سوف يتمتعون باليمن والأمن مدة ٦٠٠ سنة ولكن في حال ارتياع الرجلين من البحر ورجوعه وعودتهما على أعقابهما ينزل بهما الأحباش اشد العقوبات كفارة عن خطيئتهما اذ يعتقدون ان سلوك الرجلين سبب لكامل شعبهم تحت السماء . وقد قام الأحباش حسب مراسيمهم بتقديم الذبائح على شاطئ البحر الاحمر وكلفوا بالظهور الملاحين المغلوبين على أمرهما ودفعوهما الى الاوقيانوس وقد نفي الملاحان . حسب ما توقعه لهم الأحباش ، عدداً كبيراً من الغواصين فوجده واخبرا مدة اربعة أشهر قبل ان ينزلا على ساحل « جزيرة الميعاد » وهي جزيرة مستديرة الشكل يبلغ محيطها ٥٠٠٠ غلوة تقريباً . وقد أحسن سكان الجزيرة استقبالهما وضيافتهما . ونجد في الكتاب بعد التفاصيل التي تتعلق بالرحلة . وصفاً غريباً لما يتفرد به سكان الجزيرة وطبيعتها : يتشابه كل سكان الجزيرة ويبلغون جميعاً الطول نفسه اي ما يقارب الأربع أذرع واجسامهم في غاية المرونة وهي جميلة ومتناسقة ... يعمر السكان ويعيشون غالباً دون أن تنتابهم الأمراض ويخضعون لناموس لا مفر منه يقضي بأن ينتحر المصابون بالعاهات والمتعبون كما أنهم يخضعون لقانون آخر يحظر على الشيوخ العيش اكثر من ١٥٠ سنة وكل من يبلغ العمر المحتوم فعليه ان يضع حداً لحياته . وقد نجد هذه العادة متبعة في كايوس[1] (انظر سترابون : ١٠ : ٤٨٦) . فيأتي من يقصد التخلص من حياته تحت نبتة معينة حيث تواتيه المنية برفق . وقد يخضع السكان أعظم فخة اصطناعية فهم يضعونهم على ظهر طائر كبير يرتفع بهم الى الجو وهم يحتفظون بالاطفال الذين يتمتعون بالقوة الكافية لتحمل تلك الفخة . أما الذين يرتاعون ويصابون بداء الطيران (التقيؤ) فهم يقضون عليهم بحجة أنه لم يكتب لهم العيش المديد وبحجة أنهم لا يتحلون بالخصال الحميدة (أشار اونيزيكريتوس الى عادة مماثلة شاعت في شعب هندي) .

(١) Κπος

بما ان الجزيرة السعيدة تقع على خط الاستواء فيكون مناخها لطيفاً ويعيش سكانها في اجواء الطلق وتكون أرضها خصبة للغاية حتى أنها تعطي تلقائياً كميات من الثمار تفوق احتياجات السكان . وينبت فيها عدد كبير من الاشجار كالكروم والزيتون دون أن يتعهدها أحد ويعيش سكانها بتشف رغم خصب الطبيعة ويهتمون خاصة بالتنجيم وتتألف اقباؤهم من سبعة أحرف فقط تكتب بأربعة اشكال مختلفة بحيث تعبر عن ٢٨ صوتاً وتكتب الاحرف عمودياً . ويعبد السكان بشكل خاص قبة السماء والشمس والاجرام السماوية ويعيشون موزعين على جماعات قوامها السياسة المشتركة ونتائج الدم ويتولى حكم كل جماعة الاكبر سناً يطيعه باقي الأفراد بصفته قيماً عليهم . وهم يتوزعون الاعمال الخدمية بالتناوب كما أنهم يمارسون الاعمال الادارية بالتناوب ايضاً . وهم لا يتزوجون ويعتبرون النساء مشاعاً وهم يوزعون بالتساوي عطاياهم على اصدقائهم الذين يحسبونهم ملكاً لهم جميعاً ؛ وهكذا يجهلون نساءهم ورجالاً وباء الغيرة والحسد .

أقام يمبولوس ورفيقه سبعة اعوام بين سكان الجزيرة ثم طردهما هؤلاء لكونهما قد اكتسبا في حداثة سنهما العادات البذيئة فاجبر الرجلان وابتعدا عن الجزيرة وبعد رحلة دامت اربعة اشهر . جنح بهما مركبهما الى شاطئ هندي وعلى تكثر فيه المستنقعات . تفنى رفيق يمبولوس غرقاً أما يمبولوس فقد أسره السكان ومثل أمام الملك الذي كان يحب الاطلاع والثقافة اليونانية فرحب هذا بيمبولوس اجمل ترحيب ومنحه ؛ في نهاية الأمر ؛ رخصة مرور أتاحت له اجتياز بلاد فارس والعودة سالماً الى اليونان .

هذه هي خلاصة الرواية الأدبية المأثورة ؛ وقد أراد انتهايم وشتيل تحويل اطر الرواية الأدبية القصصية الى أطر رواية تاريخية بشرط أن نقبل ان اسم يمبولوس هو اسم سامي قد يكون على وجه الدقة تبطياً ي ن ب ن أو ي ن ب ل و وقد استعمل الأنباط دوماً في نقوشهم الأحرف الآرامية لتسجيل اسماء كانت دوماً عربية . واعتماداً على ما تقدم . قد يكون يمبولوس ابن تاجر خرج من بلاد الأنباط القريبة من حجرا . ليسلك طريق العطور التي عرفها ابيد قبله اي كيدان فيثرب فمكة ومنها الى صنعاء في قلب اليمن . يقول سترابون انه تستطيع قافلة جمال ان تجتاز الطريق المتجهة لخليج العقبة بمدة سبعة عشر يوماً وهكذا يكون البدو قد هاجموا يمبولوس وسطوا عليه قبل ان يصل الى قبيلته ثم . بعد سبيه ؛ كلفه هؤلاء برعي ماشية

سيده ولكن طريق العبور لم تكن ببعيدة من البحر الاحمر فداهمه الاحباش الذين جاءوا من شواطئ البحر الاحمر من اريتيريا على وجه الدقة وسبوه.

وقد يكون تيبولس احد الانباط الذين تحلوا بالثقافة اليونانية ولذا نراه يؤكد في روايته انه تغذى منذ نعومة أظفاره بالثقافة اليونانية ونستطيع ان نجزم ان رواية مدينة الشمس ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنظريات أفلاطون.

ان رواية تيبولس تطرح من المشاكل اكثر مما تحل منها فالفرضيات التي استهوت النهايم وشتيل قد تلقى بعض الاعتراضات رغم معرفة العالمين الدقيقة والمحصة ولكن الروايات اليونانية واللاتينية التي كانت تصنف عادة مع الانتاج الخيالي الذي يفرط في استخدام الخوارق والعجائب اخذت مع العالمين الالمانيين، اللذين تذرعا بمعرفتهما المحصة، تتقطع صلاتها بالعادات الفكرية والأدبية الشائعة وتنهج طريقة جديدة فهي اذ تميط اللثام عن الثوب القصصي الخداع وتتاح تتوخى كشف معطيات تتعلق بالتاريخ وبوصف البلدان وبأحداث الأعلام وبالثقافة العامة وقد تتجاوز اهمية هذه الأمور ما كنا نعيره عادة هذا النوع من الأدب.

خيال (٩٣ ـ ١٠٦)

نال موقف الأنباط من الدولتين الكبيرتين: دولة البطالسة ودولة السلوقيين: غير معروف على حقيقته الى ان تسنى للعلماء المحدثين كشف النقاب عن مكنونات المملكة النبطية.

يرى پليني (التاريخ الطبيعي، ٦: ١٥٥) ان اللحيانيين من شعوب جنوب الجزيرة العربية[1]. وكذلك يعتقد فرتر كسكل انهم من جنوب الجزيرة لأنهم بدأوا يؤرخون حسب التقويم الحميري منذ سنة ١١٥ قبل المسيح؛ ويعتقد كسكل ان پليني مدين في موقفه هذا لمصدر آخر سابق[2]. اما صاحب هذا المصدر فهو شخص يدعى اورانيوس (Uranios) كما بينت ذلك جاكلين پيرين[3]. واغلب الظن انه عاش في زمن متأخر بعض الشيء بالنسبة الى الفترة التي قال كسكل انها شهدت بزوغ نجم

(١) وهو يسميهم *Lechieni* أو *Lexiens*

(٢) Werner Caskel, *Das altarabische Koenigreich Lihyan*. 1951, 10; راجع ايضاً J. Ryckmans, *Bibliotheca Orientalis*. 18, 1961, 219 *sq*.

(٣) *Le royaume sud-arabe de Qatabân et sa datation*, 1951, 141 *sq*.

اللحيانيين اي حوالى سنة ١١٥ قبل المسيح[١]. والجدير بالذكر ان جاكلين بيرين قد اكتفت بتقديم الكتابة التي ذكر فيها وجود اللحيانيين في جنوب الجزيرة ؛ فما بقيت هذه الكتابة غير معروفة من كسكل.

كان موطن اللحيانيين الثاني في المنطقة الشاسعة جنوب بلاد الانباط وكانت المدينة الرئيسية فيه ديدان قرب مدينتي العُلى والحجر. «وكانت المسافة بين ديدان ومدين القديمة الى الشمال الغربي ؛ حيث مناجم الذهب، تقطع بخمسة ايام سيرًا على الأقدام باتجاه بحر القلزم. وكان طريق آخر يؤدي الى بلاد ما بين النهرين مارًا بواد الى الشمال الشرقي ؛ الا ان المسر الرئيسي كان عن طريق وادي ديدان نفسه وهو الطريق القديم الواصل بين المحيط الهندي والبحر المتوسط مارًا بغربي الجزيرة»[٢].

عثر علماء الآثار على بقايا عديدة وبيان وكتابات تسهل معرفة احوال مملكة لحيان. وقد توصل كسكل الى جمع ما توفر لدينا من معلومات حول اللحيانيين فصنف في تاريخهم ؛ منذ نشأتهم حتى زوالهم مصنفاً سيُعدّ من امهات المراجع لسنين طوال. ومما جاء فيه ان المينيين كانوا قد اسسوا مستعمرتين كبيرتين ؛ الأولى في ديدان والأخرى في الحجر على بعد ١٥ كيلومترًا منها الى الشمال ؛ وانه لم يكن ثمة علاقات تجارية بين المينيين من جهة ومصر واشور من جهة اخرى. ومما جاء ايضاً ان مستعمرات المينيين اضمحلت بعد ان استولى السبئيون على موطنهم الأم في مطلع القرن الثاني قبل الميلاد[٣].

الا ان هذه الآراء في تاريخ لحيان قد لاقت بعض المعارضة وسوف تلاقي بعد ؛ لا سيما ان الحفريات الجارية الآن في كامد اللوز (البتراء) باشراف الاستاذ رولف هخمن (Prof. Rolf Hachmann) ستميط اللثام عن امور جديدة بخصوص التجارة مع مصر. وقد قالت كسكل ما جاء في احدى الكتابات من ان رجلاً من المينيين كان وقوم له يترددون بين مصر وغزة و ا ا ش ر. فهذه الكتابة ذات شأن ؛ تناولها ج. ريكمانس بالدرس[٤] متابلاً اياها بما ورد في سفر التكوين ٢٥ : ٣ حيث ذكر من جملة ابناء ديدان الأشوريم ؛ مما يبيّن ان مينيّي ديدان والوطن الأم كانوا على اتصال

(١) W. Caskel, *Lihyan und Lihyanisch*, 1954, 36.
(٢) *Le royaume sud-arabe...*, 149 راجع — . *RES*, 3902, n° 10.
(٣) W. Caskel, *Das altarabische Koenigreich...*, 5 *sq.*
(٤) J. Ryckmans, dans *Scrinium Lovaniense*, 1961, 56.

بأشور . كما تؤيد ذلك دون مراء الكتابة ٣٠٢٢ . فقد جاء فيه ايضاً ان المينيين يتاجرون مع مصر وأشور و « عبر نهران » والاشارة الى « عبر نهران » تزيل كل شك بخصوص العلاقات مع اشور . الا ان الاستاذ كسكل لم يكن له علم بكل ذلك .

وقد فات كسكل ايضاً ان يأخذ بعين الاعتبار لائحة الاتاوى المكربين في معين حيث نجد شهادة تثبت ان تجارة المينيين كانت تصل الى غزة[1] . مما يقضي بتأخير تاريخ ازدهار المينيين حتى السنة ١٨٠ على وجه التقريب كما ارتأت ذلك جوكتين بيرين[2] . اما تاريخ زوال المستعمرات المينية في الشمال فقد يكون قبل سقوط الوطن الأم او بعده وعلى كل فان الابحاث التي اجريت حتى الآن قد بينت ان المينيين اقاموا علاقات تجارية مع النبطيين اقله حتى عام ٢١٧ وهو تاريخ موقعة رافية (Raphia) .

وثمة نقطة على جانب كبير من الأهمية وهي ما قاله ج. ريكمانس من ان وجود مستعمرات مينية في ديدان وجوارها لا يحتم البتة ان المينيين فرضوا سلطتهم على هذه المنطقة[3] . كذلك فان ورود اسم ديدان تسع مرات في لوائح معين للاتاوى المكربين لا يمكن الاستنتاج منه ان المينيين كان لهم ثمة اية سلطة . فهذه المدينة : ديدان . لم تكن من الممتلكات الخاضعة لسلطة سياسية بل مستعمرة تجارية : شأنها في ذلك شأن سائر الاماكن التي صدر عنها تقادم الى معين : كصيدون وموآب وعمّان وغزة ومصر .

هذا واذا ما انتقلنا الى الزمن المتأخر لا نجد من الوثائق الا تاريخاً واحداً حُفظ على ضريح نبطي في العُلى . يعود الى السنة الأولى من مُلك الحارث الرابع عاهل الأنباط . اي الى السنة ٩ قبل الميلاد[4] . ويستنتج كسكل من ذلك ان اللحيانيين خضعوا في القديم لسلطة الأنباط : وهذا ما يوافق الحقيقة . الا ان سلطة الأنباط هذه لم تفرض الا مدة وجيزة . ويستند كسكل لبيان ذلك الى ما رواه سترابون عن بعثة الى جنوب الجزيرة العربية بقيادة ايليوس گالوس (Aelius Gallus) حيث رُوي ان الجيش الروماني نزح عن لوكي كومي (*Leuke Kome*) والتقى بعد مسيرة عدة ايام الى بلاد نسيب للملك النبطي Obodas يدعى الحارث . احسن الحارث هذا وفادة

(١) ٢٧ من المقدمة المنوه بها في اللائحة معدودة غزة بينما ٨ فقط معدودا مصر .
(٢) *Paléographie des inscriptions sud-arabes*. I. 1956, 211.
(٣) *Serinium Locariense*. 1951. 52 et 55.
(٤) *Corpus Inscriptionum Semiticarum*. 2. 1, 332.

الرومانيين وتابعوا مسيرتهم فيما بعد ميسين شطر الحجر على شاطئ البحر الأحمر . حيث ركبوا السفن الى ميوس هورموس على الشاطئ الافريقي ومنه ارتحلوا الى الاسكندرية . نتيجة هذا الخبر انه في سنة ٢٥ قبل المسيح لم يعد بعد من وجود لمملكة لحيانية مستقلة : وقد لخصت جاكلين پيرين المسألة على هذا النحو[1] : دامت مملكة ديدان من القرن السادس حتى الرابع ثم خلفتها في منطقة العلى حلول المينيين من القرن الرابع حتى ايام البطالسة . من المسلم به اذاً ان مملكة لحيان : المعروف عنها انها قامت في هذه المنطقة ،التي عُثر على بعض كتاباتها القيمة ، ازدهرت في القرون الأولى قبل الميلاد . ومن الأكيد انه لم تقم مملكة لحيانية مستقلة الى زمن المسيح .

عمانه وجرّه (١٠٧-١١٣)

ابحث في عمانه وجرّه يعني التطرق الى اقدم آثار الوجود العربي في الخليج الفارسي .

جاء و. و. تارن[2] مرتين على ذكر مدينة اورموزد (Ormuzd) . في الصفحة ٢٦١ من مصنفه المذكور ادناه يقول ان اورموزد يجب اعتبارها ملتقى تجار بابل وپاتالا (Patala) وباريگازا (Barygaza) ولقد قر رأيه على تحديد موقعها عند موقع هرموزيا (Harmozia) على الشاطئ الكرماني الفارسي . ويعود تارن الى هذه المسألة في الصفحات ٤٨١ و ٤٨٥ من كتابه . اما ما يدفعه الى القول بأن اورموزد ما هي الا هرموزيا فهو أن پلينوس يذكر هرموزاي (Harmozaei) في « التاريخ الطبيعي » ٦:١٠٧ ويحدد موقعها في منطقة امانيس (Amanis) الخصبة . ومن المحتمل ان يكون العمانيين العرب القاطنون عبر الخليج قد سكنوا مدينة هرموزيا مدة الفترة المينية المتأخرة ، اذ اطلق عليها اسمهم وهرموزيا هذه كانت قرية او مدينة صغيرة محصنة بحواجز خشبية لحماية السفن في المرفأ . وقد وصفها پلينوس بأنها «مدينة خشبية انشأها الاسكندر»[3] .

اما الجراويون فأول ما نجد لهم ذكراً عند المؤرخ اليوناني اگاثرخيدس ثم عند سترابون . كان هؤلاء القوم يتاجرون بالأفاويه وكانت البتراء احد الأقصى لرحلاتهم وكانت قوافلهم تقطع المسافة بين خليج العقبة ومدينة معين

(١) *Histoire de l'Art. Encyclopédie de la Pléiade.* Paris. 1961. I. 910 *sq.*
(٢) W. W. Tarn, *The Greeks in Bactria and India*, 2nd edit., 1952.
(٣) « Xylinepolis ab Alexandro condito ».

في سبعين يوماً (سترابون ٧٦٦ و٧٦٨). اما مدنهم وقراهم فكانت تحوي بنايات شبيهة بالأبراج. ويصف پوليبيوس بلادهم بقوله انها شبه صحراوية[1]. اغلب الظن انهم كانوا يتكلمون بالآرامية مما يشير الى امكانية اصلهم البابلي. ثم ان كتابة زينون على البردي تأتي على ذكرهم سنة ٢٦١ قبل المسيح وكتابة في جزيرة ديلوس (Délos) تنوه برجلين اسم احدهما «اولوس الجرّاوي» والثاني «تيم اللاتوس الجرّاوي»[2] وبديهي ان هذين الشخصين يدعيان باسماء عربية: «اول» و«تيم اللات» — الا ان الأيام اناخت على الجراويين فاضمحل ذكرهم شيئاً فشيئاً ولم يستطع العلماء الى اليوم ضبط موقع عاصمتهم التي يظن انها كانت حيث تقوم اليوم اطلال ابي زهول قرب شاطئ الاحساء. ومهما يكن من امر فمن المسلم به ان جرّة كانت مدينة — مملكة: اسسها لاجئون كلدانيون من بابل ابتنوا لهم منازل مربعة من حجر وكانت طرق تجارتهم تفضي الى افشد والى البحرين والى سلوقية. عند مطلع القرن الثالث لمسنا ذكر جرّة: فلا وجود لاسمها في كتاب الرحلة حول بحر اريتريا. ماذا ترى كان الداعي لذلك؟ هل قضى عليها وعلى تجارتها تأسيس كزاكس؟ هل قلّص ظلها ازدهار اوريوزد القديمة او عمانة؟ الله اعلم!

(١) Polybios, 13, 9, 12 *sq.*

(٢) Ἄλλος Γερραῖος; Τιμόλαος Γερραῖος

اللغة العربية والبنيانية

بقلم الدكتور رمضان طحان

الدراسات اللغوية : لم يمدّ أهل هذه العصور الحديثة في العالم العربي نبغتهم الى العلوم الألسنية ولم يتناولوها بما تناولوا غيرها من تجديد يبعث الحياة فيها ولم يعالجوها على ضوء مبادئ العلوم الحديثة ليبعدوا عنها ما اشتهرت به من قصور وكانت اكثر الدراسات التي صنفت على أنها دراسات حديثة هي في الواقع دراسات تقليدية تساق فيها المعلومات والنظرات والآراء دون غربلة وتمحيص حتى ان من يطالعها لا يشعر بلعثمة أو هزة ناجمة عن حرارة في رأي واضعيها بل على عكس ذلك يحس وكأنها فقدت عنصر التجديد فيقف الباحث حينئذ محاولا أن يتصيد من المعلومات التي وردت فيها الحجج الدامغة فيجدها مملوءة بالتعليلات المزهقة وبالإلغاز والتمويه المملين فيعرض عنها ويحاول التزود بالعلم الحديث لعله يبلغ غايته وهدفه .

إن فائدة كتب اللغة العربية التقليدية محدودة لأن آراء الفلاسفة وعلماء الكلام والمنطق تشوبها ولأنه قد مضى على وضعها زمن طويل "حلّ" فيها السقم والعقم فتقدم العلوم عامة والعلوم الألسنية خاصة اتاح للباحثين فرصة اتباع خطوط علمية لوضع كتب جديدة في اللغة .

استثمر العلم العصري البنيانية (structuralisme) مثلاً في مختلف الحقول حتى أنها أدخلت في العلوم الألسنية حيث أحرزت نتائج ملموسة وقد آن للدراسات اللغوية العربية أن تعتمد البنيانية كعنصر تجديد سيكتب له البقاء والنجاح المستمر .

اعتبرت البنيانية اللغة كتنظيم (système) يخضع لقوانين علمية صارمة هي :

ا — الشمول : يتألف اللسان من مجموعة من الظواهر الألسنية البحتة تدخل مجتمعة في نظام متكامل يؤدي وظيفة معينة .

ب — الانسجام : لا تتناقض مختلف الأجزاء التي تؤلف التنظيم بل تتعاون مجتمعة لتشكل وحدة متناسقة فالاجزاء في اللغة مثلاً هي الأصوات

والمفردات التي تنسجم في تنظيم تلقائي وذاتي وكل استغناء عن أصوات معينة او نشوء مفردات معينة يؤدي في خلال موقت بعقبه توازن داخلي يؤثر على التنظيم ويحدث فيه توازناً جديداً ويتيح له ادخال عناصر جديدة أو لفظ عناصر معينة وتتم هذه التغيرات دون أن تقضي على بنيانية اللغة وهيكليها وجودها .

ج — الاقتصاد : يسعى التنظيم الى عدم هدر الجهود البشرية فاللغة تعبر مثلاً بالقتضاب واختصار عما يجول في خاطر المتكلمين منها وقد يسيطر على هؤلاء المتكلمين مبدأ بذل أدنى جهد والحصول على اكبر منفعة وهذا ما يسمى الاقتصاد الآلي .

○

اللغة العربية والبنيانية : سوف نستقرئ اللغة العربية وننظر في هيكل تنظيمها لنلاحظ نوعيتها محاولين اكتشاف بنيتها على ضوء النظريات البنيانية الحديثة :

١ — لا نريد دراسة اللغة كنظام قائم في أفكار المتكلمين به وذاكرتهم بل كنظام قائم بحد ذاته او كبنيان صرف .

٢ — يضم كل تنظيم تحولات داخلية تتصرف بشؤونه وتتوزع مجاله الحيوي فالجملة وهي بهذا الخصوص صورة مصغرة عن التنظيم الكبير تتألف من عناصر يؤثر كل منها في الآخر وتتعاون تعاوناً وثيقاً لتؤدي مجتمعة المعنى المقصود .

٣ — يتألف كل تنظيم من مواد خام تسهم متضافرة في إقامة صرحه فالأصوات تؤلف الفنيات (phonèmes) التي تجتمع لتؤلف المفردات . ثم تنضم المفردات الى بعضها البعض في المقاطع الجملية او الجمل وتنتظم الجمل أخيراً في نسق معين لتعبر عن الكلام المفيد .

٤ — وبما ان الدراسات البنيانية تتوخى دراسة اللغة كتنظيم فهي تستطيع إما الانتقال من الجزئي الى الكلي إما تحليل الكليات الى جزئيات وقد آثرنا في دراستنا هذه الانتقال من الجزئي الى الكلي ولذا سوف نخصص مقالنا هذا لبحث الأصوات والمفردات وكيفية انسجامها في مفردات اللغة العربية على أن نهتم بالمواضيع الأخرى المنبثقة من النظريات البنيانية في ابحاث لاحقة .

○

علما الصوت والفونولوجيا : يتبين للباحث من استعراضه لوحدات اللغة العربية الصوتية أنه لا يزيد عددها عن الثلاثين وهي تؤلف الفنيات والمفردات التي تعالج على ضوء علمي الصوت (Phonétique) والفونولوجيا (Phonologie) . يهتم هذان العلمان بالدراسات الصوتية : يكشف علم الصوت

وقائع الاحداث الصوتية ويصف الآلة المصوتة ومخارج الحروف وكيفية تلفظ بها وانتقالها الى السامع وتقوم الفونولوجيا بدراسة الدور الذي تلعبه الأصوات لدى قيامها بأعمال وظيفية (Fonctionnel) تؤدي الى اختلافات في المعاني او المسميات (على صعيد الفونولوجيا لا فرق بين كدّ وجدّ ولكن الفرق قائم بين نقد ونقض ...) وقد تعودنا الفونولوجيا الى تحديد عدد المتطابقات والمتخالفات في لغة معينة والى ضبط علاقاتها وبنائها كما أنها تعتبر بُنى الكلمات ثابتة بذاتها وليست بحاجة في حال تحليلها الى عناصر غريبة عن طبيعتها الصوتية : الكلمة هي أصوات تجتمع في شكل معين لتؤدي معنى مقصوداً. ثم تلتزم الفونولوجيا سنن وقته اللغة (Synchronie) وتبتعد عن خط عبر التاريخ (Diachronie) وتتعلق بدراسة الأصوات كتنظيمات ذات دلالة موضوعية وقد يحل هذا النوع من الدراسات مشكلات لغة في عصرنا الحاضر.

النظريات التوزيعية واللغة العربية : تخضع أصوات اللغة العربية لنظام توزيعي معين قد يسلط عليه بعض الأضواء الكاشفة لجبر بول (Algèbre de Boole وقد يخده ليجعل منه تنظيماً مغلقاً مبدأ التنافر الصوتي (Les incompatibilités phonétiques ومبدأ الشيوع والاستعمال (l'usage) ويتم توزيع الأصوات على شكل وحدات غير مصوتة تدخل عليها المصوتات القصيرة أو الممدودة لتبعث فيها الحياة وكانت الهياكل الصامتة تكتب بالحبر الأزرق والمصوتات بالحبر الأحمر وكان لون الحبر يرمز إما الى هيكل لا حياة فيه إما الى لون الدم والحياة ويتألف الهيكل عادة من ثلاثة حروف صامتة ترتبط به أو يتجمع حروفه فكرة عامة حسية قد تعمل بها عوامل التجريد والتصعيد والتعميم والتخصيص والانتقال بالمعنى (Mutation) ويتخذ الهيكل الأصلي جساداً واشكالاً وصيغاً تعود رغم تنوع معناها إلى الفكرة الأساسية المشتركة وقد يتطور معنى بعض هذه الصيغ متخذاً له معنى جديداً متميزاً قد يجعلها واهية الارتباط بالألفاظ المنحدرة من أصل واحد وقد يحافظ الهيكل على معناه العام مثلاً في : ساس ـ سياسي : حكم ـ حاكم : عقل ـ عقل : كتب ـ مكتب : جمع ـ جامعة : نطق ـ مستنطق : هتف ـ هاتف الخ ... وقد تتحقق المفاهيم الجديدة في مفردات تصلح للاستعمال ويكون ذلك باتباع قواعد معينة جامعة شاملة تصدر عن امكانيات فاعلة أو كامنة في التنظيم الذي تخضع له اللغة العربية.

أهمية الأصول الثلاثية في اللغة العربية : إن هناك لغات معروفة تضم عدداً كبيراً من مفردات ذا تتألف من حرف صامت واحد تؤثر فيه النبرات الصوتية (Tons) وتجعله ينتقل إلى مفاهيم مختلفة وتنطبق هذه الحالة على اللغات الصينية الصينية مثلاً أما اللغة العربية فهي قلّما تتبع في بنائيتها طريقة الصوغ من حرف واحد وقد تلجأ اليه في حالات معينة وتستطيع أن تعالج المفردات العربية التي تتألف من صوت واحد من ناحيتيها الحسابية والواقعية على الشكل التالي : تتألف أصوات اللغة العربية الصامتة من ٢٩ حرفاً تدخل عليها الحركات الخفيفة والممدودة فيكون الحاصل :

٢٩ × ٦ (اي فتح وضم وكسر في حالتي الحركتين الخفيفة والممدودة)= ١٧٤ . تنحصر في الواقع الكلمات التي تتألف من حرف واحد في بعض الاسماء (فم : فا . فو . في : اسم الذات للذكور والإناث : ذا . ذو : ذي . تا . (تو) . تي) وفي بعض حروف العطف والاستفهام والجر والقسم والنداء والندبة الخ ... وفي بعض الضمائر المتصلة المرفوعة والمنصوبة والمجرورة وفي أمر اللفيف المفروق (أمر وقى . وقى . وعى: قِ . فِ : عِ) وقد وعى المتضعون من التنظيم الصوتي العربي وهن الكلمات (mutilés phonétiques) التي تتألف من صوت واحد أو من مقطع واحد وجعلوا هذه المفردات تلتحق بوحدات صوتية لكي تتألف من أكثر من صوت واحد أو اشبعوا الضعيف منها وهذا ما حدث مثلاً لأمر اللفيف المفروق (قِ . فِ . عِ — قِيهْ : فِيهْ : عِيهْ) .

اعتمدت اللغة العربية وضع مفردات تتألف من حرفين صامتين تضاف اليهما الحركات الخفيفة والثقيلة ويتم ذلك نظرياً بالعملية الحسابية التالية ٢٩ أو ٢٨ (بإسقاط الهمزة التي تتلاشى احياناً في حركات المد) × ٢٧=٧٥٦ .

ولكن عملياً لا نجد في اللغة العربية إلا عشرات من الكلمات التي وردت في بعض كتب اللغة (أب : أم . أخ . أخت . حم . دم . يد : بن . بنت : اسم . شفة . رئة الخ ...) وقد اختفت بعض هذه الثنائيات احرف إضافية ثلثت لتظيها وأدخلتها في التركيب المورفولوجي (Morphologie) العربي السائد والشائع .

ترتكز البنائية العربية على أصول ثلاثية ولئن كانت هناك جذور ثنائية فهي لم تشكل سوى مرحلة تاريخية من مراحل تطور اللغة العربية فقد تم تحول بنائية العربية إلى أصول ثلاثية بفعل تحولات داخلية بحتة (انظر آراء

الأب فليش (Père Fleisch: la flexion interne) نذكر منها المد والتضعيف وزيادة حرف واحد على الحرفين الأصليين مما أدى إلى أصول بلغت حد الاكتناز (انظر رأي الاستاذ پلاّ (Charles Pellat: l'étoffement) وتكون معظم الكلمات العربية منطلقة من مرتكز بنياني أساسي هو الأصل الثلاثي ويحدث ذلك نظرياً على الشكل التالي :

٢٨÷٢٧÷٢٦ (باعمال تنوع حركات عين الأصول الثلاثية) = ١٩٦٥٦

وقد يحد من فعالية هذا العدد الهائل من الأصول مبدأ التنافر الصوتي والاستعمال وقد تكتفي اللغة بعدد صغير من الجذور (٣٠٠٠ تقريباً) يتم بموجبها وضع معظم الكلمات العربية . تتولد الكلمات من الأصول الثلاثية في احداثيتين ثابتين (abscisse et coordonnée) هما احداثية مزيدات الأصول الثلاثية واحداثية مشتقات الأصل ومزيداته اي خط الصفات والاسماء وكلما تقاطعت الخطوط المنبثقة عن الاحداثيتين تولدت مفردة قد تدخل الى حيّز الاستعمال المباشر أو قد تبقى في حيّز الكمون تنتظر الفرصة الملائمة لتشق لنفسها طريق الوجود . وخلاصة القول ان معظم الكلمات في اللغة العربية ينشأ عن أصول ثلاثية (ثلاثة حروف صامتة وغير متصوتة) هي حجر الزاوية لبناء تنظيم رياضي متكامل .

إن القول بوجود بعض الأصول الرباعية في اللغة العربية قضية هامة تحتاج الى دراسة مستوعبة . لم تستثمر اللغة العربية حتى الآن الإمكانيات الكامنة والناجمة عن الأصول الثلاثية ونستطيع أن نقوم بعملية حسابية بسيطة تبين لنا عدد الأصول النظرية التي قد تنشأ عن استثمار الأصول الرباعية في اللغة العربية :

٢٨×٢٧×٢٦×٢٥ = ٤٩١٤٠٠

تضاف إلى هذا العدد الهائل من الجذور مشتقات الرباعي ونلاحظ في هذه المناسبة ان اللغة العربية أداة طيعة وحقل تجربة ناجح للنظريات البنيانية وانها لغة الأحرف التي تخضع لتنظيم رياضي قد يؤول الى لغة ومزية تفوق فيها وسائل التعبير المفاهيم التي قد يستوعبها الفكر البشري . ويتبين لنا من العودة الى واقع اللغة العربية ان الأصول الرباعية تتمتع بميزات تشبه تلك التي تتمتع بها الأصول الثلاثية اي حق التفريع والتوليد بموجب احداثيتين ثابتين هما احداثية المزيدات الفعلية واحداثية المشتقات الخاصة بالأسماء والصفات . وقد اكتفت اللغة العربية حتى الآن بعدد صغير من الأصول الرباعية قد جاءتها من الأسماء (برطل ، برجم ، خرطم) او من

كلمات اجنبية (تلفز . تلفن) أو دخلتها عن طريق أصول ثلاثية أضيف إليها حرف واحد تصديراً أو إقحاماً أو تذييلاً (قشعر . خنبص . حرجم) أو نتجت عن تكرار أصل ثنائي (زلزل) وهذه هي الحالة التي تنطبق على ما يسمى الأفعال الرباعية المضاعفة .

في اللغة العربية مفردات تتألف من أكثر من اربعة احرف غير ناتجة عن أصول ثلاثية أو رباعية وهي غير مألوفة في العربية لأن معظمها أخذ من كلمات سامية متدثرة او من اللغات الأعجمية القديمة والاجنبية الحديثة (قسطاس بلغة الروم الميزان . الاسطبرق بلغة الفرس الديباج الغليظ . الأرائك بلغة الأحباش السرر ؛ تلسيذ بالعبرية تعود الى تلمود . صالون وبالون وغالون من الفرنسية ...) . تقوم البنيانية العربية بعملية اقتباس وتساير اللغات العالمية في حركتها التطورية وتسعى في هضم ما نسميه بالدخيل وتمثله . لا تعيش لغة بمعزل عن غيرها فكان من الطبيعي أن تتعرض لغة العرب لتأثر . فتسرب إليها كلمات أجنبية . تأقلم وتتغير أبنيتها وتعرّب وتفقد عجمتها وتحاكي الكلمات العربية الأصل . وفي هذا الأمر نفع محقق يؤدي الى توسيع شبكة مفردات اللغة وإلى تنمية مواد حقيقيا المتنوعة وهو يتيح الفرصة للباحثين لكي يعثروا على مصطلحات جديدة تدعو إليها الحاجة الأدبية وبعض متطلبات الحضارة الحديثة (لنا رأي خاص في طرق وضع المصطلحات العلمية ولا نتكلم هنا إلا عن المصطلحات الحضارية) وقد اتبعت اللغة العربية في تعريب الدخيل وجعله في بنيانيتها المميزة طرقاً معينة فعربت كلياً بعضه (رجل الشارع وهو تعبير انكليزي . الجندي البسيط وهو فرنسي) أو اقتبسته وجعلته قريباً من أبنيتها أو محولا عليها، مجانساً لما تألفه العرب من أصوات وحروف وإمالات صوتية (برنامه : برنامج ؛ بالوده : فالوذج ؛ بنشه : بنفسج ؛ شلواد : سروال مع تغيير مكاني حرف أو اكثر واكثر واكثر والمحافظة على وزن اللفظة ؛ نبهره : بهرج ؛ پرادايس : فردوس مع تغيير حرف أو اكثر وحذف حرف او اكثر ؛ نشاسنج : نشاء مع استبدال مجموعة حروف بحرف ...) ثم اخضعت الدخيل لأوزان عربية واشتقت منها وصرفتها (تأمرك ومتأمرك ؛ تلبنن ومتلبنن ؛ خندريس ومخادر ؛ صالون وصالونات . سيجارة وسجائر ...)

تقنية بنيانية وضع المفردات : تتم عملية وضع المفردات في اللغة العربية بموجب مبدأ عام قد يصلح كقانون : كل زيادة في الاحرف تؤدي إلى

زيادة في المعنى او يحصل الاختصاص في المعنى بفعل الزيادة في الاحرف وتحصل هذه الزيادات بواسطة تحولات داخلية صوتية بحتة قوامها :

١ ــ **الأصوات القصيرة والممدودة** : يتحقق معنى الأصول الثلاثية المشتركة في أحرفها والمختلفة في معناها بواسطة حركة عين مضارعها : (عرف : يعرِف ، يعرُف ، يعرَفُ) وتكون الصوتات العربية إما قصيرة (ضمة وفتحة وكسرة) إما ممدودة (و ا ي) وهذا يمنح العربية صفة الاعتماد على كمية اطلاق الصوت لتوليد المعاني الجديدة (حكم وحاكم ؛ حُكِمَ ويحكم) .

٢ ــ **تكرار الأصل جزئياً أو كلياً** : إن الشدة او التضعيف عنصر هام في عملية توليد الكلمات وبما أن الشدة تساوي اي حرف من حروف الابجدية العربية فنظرية تحديد أحرف الزيادة وحصرها في (سألت منه) تسقط أمام التحليل المحص (مدَّ ، مرَّ ؛ فضَّ بزيادة الدال والراء والضاد ؛ او بتكرار الأصل جزئياً ، زلزل بزيادة الزال واللام او بتكرار الأصل كلياً) .

٣ ــ **قلب ترتيب أحرف الأصل** : ان ادخال أصل ثلاثي معين في دارة وتقليبه على وجوهه الستة يصح مبدئياً في الدراسات البنيانية ولكن التعليلات المرهقة القديمة التي قيدت احرف الابجدية بمعان معينة هي من فئة النظريات المتعلة التي علقت عليها المناهج القديمة وافرغتها من كل محتوى علمي .

٤ ــ **ادخال احرف الزيادة** (affixation) : إن حروف الزيادة التي تدخل الأصول الثلاثية خاصة تصديراً واقحاماً أو حشواً وتذييلاً تطور معنى الأصل وتولد كلمات جديدة فيشتق من وزن فعل أوزان أفعل وتفعّل وتفاعل وافتعل وانفعل وإفعل واستفعل التي بدورها تصلح لأن تشتق منها مختلف المصادر (المصدر العادي والمصادر الميمية ومصدر النوع والمرة) واسم الفاعل والصفة المشبهة وأمثلة المبالغة وأفعل التفضيل واسم المفعول والمكان والزمان والنسبة والتصغير وجموع التكسير ...

٥ ــ **الإلصاق** (agglutination) : لجأت اللغة العربية إلى التركيب المزجي في بعض اسماء الاعلام الأعجمية : بيت لحم وبختنصر . ولكن الإلصاق وهو من قبيل التركيب المزجي لا يبدو كميزة عربية قوية البروز وقد تأثرت اللغة العربية باللغات الأجنبية واستعملت طريقة الإلصاق كوسيلة اغناء جديدة (لامبالاة ؛ غير موضوعي ؛ عدم الاكتراث ...) وهذه الطريقة غير مرفوضة وانما تبدو وكأنها على هامش هذه الدراسة البنيانية .

٦ ــ النحت (télescopage) : إننا نذهب الى تخطئة اكثر ما صنف مع الأصول الرباعية المنحوتة فقد طرأت على هذه الأصول زيادات لم ترد في (سألت منه) اي بواسطة حروف لم يعتبرها القدامى كأحرف زيادة شرعية وتميل اليوم الى اعتبارها كأحرف زيادة لها ما لاحرف الزيادة التقليدية المعروفة . لا يتناول النحت الحقيقي إلا عددًا قليلاً من المفردات القديمة نذكر منها (حيعل والحيعلة : حمدل والحمدلة : عبشمي وعبشمي) وقد ظهر النحت في بنيانية بعض الألفاظ الحديثة (برمائي : مدرجي اي مادي ــ روحي : مكرماني اي مكاني ــ زماني ؛ جوقلة اي النقل الجوي لعمليات حربية معروفة الخ ...) كما أن هناك كلمات سادت فيها النطق الغربية المتبعة في النحت اي الاحتفاظ بمطالع الكلمات لتسمية مؤسسات أو مصالح معينة (مؤسسة الاونيسكو : مصلحة الأونروا ...) .

=

الأوزان العربية : إن الوزن الحقيقي هو الذي تتطابق فيه اوضاع حروف الوزن مع حروف الفرع والذي تدخل فيه الزيادات عينها التي تدخل الفرع في الموضع المقابل لها في الوزن وتضاف الى هذه المطابقة الهيكلية مطابقة صوتية كاملة بين الوزن والفرع .

فعل : كتب : مفعل : مكتب : مستكتب : مستفعل .

إن عملية الوزن تخضع الى مبدإ شامل يتجلى في معظم الأوزان العربية التي تعكس عند حروف الكلمة التي نريد أن نزنها ونوعيتها وأصوات حروف هيكلها اي نجد على حروف الفرع المصوتات نفسها التي تتسم بها حروف الوزن . وتضم هذه الأوزان معظم الصيغ أو أبنية الكلمات العربية وهي تنتظم المزيدات والمشتقات على حد سواء في وضع شمولي . اقتصادي بمعنى ان الاوزان تحول آلاف كلمات الى عدد محدود من الرموز الهيكلية والصوتية ويتسم هذا التنظيم العارم خاصية : تلقائية . أساسية : تهيمن على اللغة العربية لدرجة أنها تدخل في هذا التنظيم الكلمات المستعارة من اللغات الأعجمية والأجنبية وتصبح الكلمات المعربة جزءًا لا يتجزأ من اللغة العربية فتدخل في تنظيم متماسك قوي يخضعها لخصائصه .

إن أوزان الأفعال المزيدة والأسماء والصفات المشتقة من الثلاثي السالم صالحة كأوزان تنطبق عليها مواصفات الوزن الموضوعي ثم إن الأصول الثلاثية هي المعتمدة في اللغة العربية وان التوليد يرتكز عليها بشكل أساسي وبالتالي إن بنيانية اللغة العربية التي تعتمد الأصول الثلاثية السالمة خاصة

تخضع الى نظام جامع شامل لا شذوذ فيه . ولكن عملية التقعيد (gram-maticalisation) التي قام بها الصرفيون أدت إلى حصول بعض الخلل في الأوزان العربية ومن تفحص بعض بنى الأصول الثلاثية يتبين لنا ان هناك ثنائيات عوملت بوزن فَعَلَ وجعلت ثلاثية في لفظها لتدخل في نطاق التركيب المورفولوجي العربي وانها ثلثت بالطرق التالية :

١ ــ ان ابسط أنواع طرق التثليث التقنية هو اللجوء الى المد العوني الناتج عن خلاف نوعي في طبيعة المصوتات وليس عن خلاف في طبيعتها : مد ← ماد ؛ مع ← ماع ؛ خر ← خار ؛ فح ← فاح ؛ شد ← شاد .

٢ ــ هناك طريقة ثانية بسيطة للتثليث تقوم على تضعيف الحرف الثاني من الثنائيات والشدة في اللغة العربية مرتكز هام في بنيانيتها : مد ــ مدّ ؛ خر ــ خرّ ؛ شد ــ شدّ .

٣ ــ تعتمد الطريقة الثالثة الشائعة الغالبة في التثليث على زيادة حرف على الثنائيات بغير طريقتي المد او تضعيف الحرف الثاني ولا يهمنا في هذا المقام قبول نظريات معينة أو رفضها منادحا أن أصل اللغة هو من أصوات الطبيعة (onomatopée) وان اللفظ يناسب لمدلوله مناسبة طبيعية وان الحرف الثالث الزائد يمثل مادة تعبيرية ومختصرها (جذّ ← جذر ؛ جذع ؛ جذل ... قطّ ← قطع ؛ قطف ؛ قطل ؛ قطم ...) ولسنا بحاجة لان نبحث عن معنى أحرف الزيادة المختلفة فالذي يهمنا هو ما كان من الأصول الثنائية التي متى ثلثت دلت أولا على أحداث تصلح لأن تكون مرتكزا لتوليد الكلمات والأبنية وأدّت ثانياً الى تنظيم موضوعي تهيمن عليه فكرة إقامة الوزن الصحيح وتحقيقها بواسطة وزن فعل ومشتقاته .

يتبين لنا من العودة الى الحالتين رقم ١ و ٢ اللتين وردتا في أعلاه ان معاملة ماد ومدّ واخواتهما مع وزن فعل هي من قبيل المعاملات المغلوطة وأن الوزن الصحيح لـ ماد هو فاع ولـ مدّ هو فعّ ولسنا بحاجة في هذا الباب لالتماس تعليلات مرهقة قد وردت في اللغة العربية في باب الإعلال والادغام: إن البنيانية ذات حلول سليمة سهلة المأخذ وقد أسهمت في حل مشاكل عويصة قد صادفتها بعض اللغات الأجنبية (لقد حلّت مثلاً قضية تصريف الأفعال التي تصرف تصريفاً غير قياسي (irréguliers) في اللغة الفرنسية) وقد تبعد عن ذاكرة المتأدبين أوزاناً مغلوطة عمل اللغويون لاقامتها كل ما أوتوا من حذلقة وقد أدّى افتعالها الى دراسات عقيمة تتعلق خاصة بالمفردات التي انحدرت منها (انظر الدراسات التقليدية التي تتعلق بكلمتي ميزان ومبيع مثلاً) .

وعندما نتفحص وزن فعلل نجد ان مغالطات الوزن تبلغ حد الشطط . إن فعلل هذا صيغ من فعل بتكرار اللام ويعني التكرار في لغة الوزن ان الحرف الأخير من الصيغ التي يزنها فعلل يجب أن يكون مكررًا وبما انه قد اختلف الحرف الثالث عن الرابع في الأصول الرباعية لذا يجب ، تحاشيًا من الوقوع في الخطأ . جعل الحرف الأخير في وزن فعلل غير اللام وايجاد بالتواطؤ حرف هذه الصيغة يختلف عن الحروف التي وردت في فعلل وحينئذ لا يصلح وزن فعلل لقياس الأصول الرباعية من ناحية مطابقة أحرفه للاصل المراد وزنه ولكنه يصلح كوزن صوتي اي ان هيكله يحمل أصواتًا تتكرر في هذا النوع من الصيغ (فعلل : دحرج . علمن . زلزل ؛ يفعلل : يدحرج . يعلمن . يزلزل) .

وفي حال إقامة وزن للاصول الرباعية وذلك بواسطة حرف غير اللام الثانية (فعلّ مثلاً) نستطيع حينئذ بعد أن انطبقت مواصفات الوزن الموضوعي على فعلل ان نخصصه للاصول الرباعية التي جاءت الى اللغة العربية عن طريق الاشتقاق من الاسماء (برطل . برجم . خرطم) او عن طريق التعريب (تلفز . تلفن) ولكننا نقع في اللبس عندما نحاول وزن الأصول الثلاثية التي انتقلت الى الرباعي والتي اعتبرت خطأ رباعية أو وزن ما يسمى الأصول الرباعية المضاعفة .

١ — لم يكن بعض ما يسمى رباعيًا مجردًا إلا مزيدًا ثلاثيًا ادخلت عليه احرف لم ترد في (سألتمونيها) وقد كان للرأي بنحتها مضاعفات على صعيد الوزن : كيف نجد في بزعر الذي يقال عنه من زعر وبزع الحروف الأصلية التي تتطابق مع ميزانها البنياني وكيف تكتشف الحروف التي اسقطت من الأصلين الثلاثيين والتي استبقيت منهما ثم كيف نزنه على فعلل المغلوط أصلاً ؟ والأصح هو أن نعيد الى تفسير لغوي صحيح وأن نعود الى ميزان فعل كأساس لهذا النوع من الرباعيات وان نرسم الموازين البنيانية بشكل دقيق حتى ينطبق كل حرف أصلي مع حرفه في الميزان وكل حرف زائد مع ما يقابله في الميزان ونتعرف بعدئذ على كل حرف زائد في الأصل وفي ميزانه وندخل على وزن فعل الحروف الزائدة التي تأتي تصديرًا أو حشوًا أو تذييلاً ونسجل الزيادات في مواضعها وفي المكان الذي دخلت فيه واعتمادًا على عملنا هذا تأتي الأصول الآتية على وزن :

— خلبن . كلمن . علمن . شخصن على وزن فعل + ن = فعلن .

— جندل على وزن فنعل اي بزيادة النون حشوًا .

— بزعر ؛ بركل ؛ بزمخ على وزن ب ÷ فعل = بفعل .
— دحرج ؛ حدرج ؛ صفرج على وزن فعل + ج = فعلج .

وتصبح هذه الأنواع من الرباعيات التي قيل عنها مجردة من مزيدات الثلاثي وذلك عملاً بمبدإ بعج الأوزان الثلاثية وإضافة اليها أوزان غير مشكوك في أصولها الثلاثية :

كما أنه هناك أصول رباعية اعتبرت منحوتة ولا يظهر الأصلان فيها بوضوح بل يبدوان متداخلين متشابكين ضائعين غير أكيدين وقد تبلورت هذه الأصول عبر التاريخ ولا حاجة للكلام بتعددها عن عملية نحت اعتبرتها فاسباب اكتنازها تعود الى تولد أحرف زائدة صامتة قد حولتها من ثلاثيات الى رباعيات ولا يتقابل فيها اي حرف في الوزن مع اي حرف آخر في الأصل ومن المستحسن حسماً لكل نزاع وزنها على فعلد .

٢ — لا يجوز لنا أن نعالج في ما يسمى الرباعي المضاعف زلزل مثلاً الذي يتألف من تكرار ثنائيين على وزن فعلل فالثنائي يتألف من وزن فع مكررًا ويكون وزن زلزل على فعفع .

وتترتب على كل ما تقدم النتائج التالية :

١ — إن إمكانية التشديد اي تكرار كافة حروف الابجدية العربية تقضي على نظرية تحديد حروف الزيادة الصوتية والصامتة في سألتمونيها .

٢ — إن الثنائيات التي إنتقلت الى ثلاثيات بالشد والمد لا يمكن أن نزنها على فعل بل يجب ان نجد لها أوزاناً خاصة وبالتالي يجب أن نزنَ مشتقاتها على أوزان يترتب علينا وضعها (علينا إعادة النظر في كل الأصول الثلاثية غير السالمة المضاعفة والمهموزة والمعتلة واللفيفة الخ ... ومشتقاتها ومعالجتها على ضوء مبادئ الفونولوجيا الحديثة وإعمال باب الاعلال والادغام اللذين قام بوضعهما اللغويون رغبة منهم في تقعيد (grammaticalisation) ما استعصى من الأصول التي لم تنصع بسهولة في فئات الأوزان التي استحدثوها .

٣ — إن وزن فعل السالم ومشتقاته ينطبق تمام المطابقة في تحولاته واشتقاقه مع عدد الحروف ونوعية الأصوات التي يزنها وترتسم فيه الأحرف الزائدة في مواضع تناسب المواضع التي ارتسمت فيها في الوزن ويناسب كل حرف حرفه في الميزان مع الحركة الملائمة :

فعل : ضرب ؛ أفعل : أضرب ؛ إنفعل : إنكسر ؛ تفاعل : تقاتل ؛ استفعل : استغفر ؛ إفعوعل : إخشوشن ؛ مفعول : منقول ؛ مستفعل : مستنجد .

٤ – يلاقي وزن فعلل عدداً كبيراً من التحفظات وهو لا يصلح بشكله الحاضر لقياس الأصول الرباعية خاصة ومشتقاتها عامة .

٥

ليست الغاية من هذه الدراسة بحث مفهوم الوزن ووضع أوزان عربية قد تنطبق على عدد قليل من الكلمات بل القصد توضيح الخطأ الكامن في بعض الأوزان ونقش نظريات القياس عليها خاصة وان إعمال الآلة في اللغة بحاجة الى تصحيح الوزن حيث خطه الخطأ وقد يتعدى الأمر هذا المشكل في الآلات الالكترونية (Computeurs et Ordinateurs) ويتجاوزه الى قضية وضع أوزان أو على الأقل نماذج (prototypes) تتفق مع واقع اللغة العربية . ورغم دخول الآلة الى عالمنا الحديث هناك من تمسكوا بالأوزان التقليدية وشخصنوها وأذوها في غير تسامح ووقفوا وقفة طويلة عندها فجذبتهم ببهرجها وأنستهم مبادئ المنطق السليم وقد رأينا لزاماً علينا أن نعود الى القياس اللغوي الصحيح وأن نعيده الى طريق الصواب لكي يستقيم الوزن وتتحطم أصنام جوفاء وتستنبط أوزان صحيحة تصلح لقياطيس مستقيمة .

المراجع

N. Chomsky, *Syntactic Structures*, La Haye, 1957.

H. Fleisch, *L'arabe classique, esquisse d'une structure linguistique*, Beyrouth, n.éd. 1968.

C. Pellat, *Introduction à l'arabe moderne*, Paris. 1956.

E. Sapir, *Le langage*, Paris, 1967.

F. de Saussure, *Cours de linguistique générale* (publié par C. Bally et A. Séchehaye), Genève, 1916.

N.S. Troubetzkoy, *Principes de phonologie*, Paris, 1949.

اسماء اللبنانيين في الولايات المتحدة الاميركية

بقلم الاب كيل حشيمه اليسوعي

اتيح لنا ان نقضي في الآونة الأخيرة بضعة اسابيع في مدينة بوسطن من ولاية ماستشوستس الأميركية ، خدمنا خلالها الرعايا المواربة المتحدرين من اصل لبناني ، فاسترعى انتباهنا الطريقة التي اتبعها هؤلاء المغتربون لكتابة اسمائهم اذا استعربوا عليها ، او صياغتها اذا ما حرفوها او ابتدعوها ، فدوّنّا منها ما تيسر لنا جمعه ، آسفين لأن لم يسمح لنا ضيق الوقت باستقصاء الموضوع ، آملين ان لا تخلو هذه البادرة من فائدة وتكون خطوة اولى لدرس كل ما يمت الى دنيا المغتربين بصلة .

١) **الاسماء التي لم تبدل** : وهي قلة بين الذين اموا البلاد الاميركية قبل الحرب الكونية الأولى ، وعلى عكس ذلك ، تغلب بين الذين هاجروا حديثاً حاملين تذاكر هوية معلوماتها مدونة ثابتة ، تلي خلافاً ما كان للمهاجرين الأولين .

لم يرَ اصحاب هذه الفئة حرجاً في البقاء على اسمائهم لفظاً وكتابة . فنسخوها بالصورة التي هي أقرب الى العربية سواء اتبعوا الاملاء الانكليزي او الفرنسي ، فترى بينها أمثال Kfoury (كفوري) ، Khoury (خوري) ، Haddad (حداد) ، Resha (ريشا) ، Salamy (سلامه) ، Botaish (بطيش) ، وما الى ذلك . مما لا يجدر بنا ان نطيل الوقوف عنده ، اذ الفائدة المرتجاة هي في ما خلا هذه الفئة من الاسماء والالقاب .

٢) **الأسماء العربية المترجمة الى الانكليزية** : وهي على نوعين : اسماء العائلات الناتجة عن لقب ، واسماء العائلات المستوحاة من اسماء الافراد . فمن يعود الى النوع الأول ، مثلاً ، من تسموا باسم Darling ، وهو ترجمة لاسم عائلة عزيز ، او من تسموا باسم Smith واصلهم من عائلة الحداد . اما النوع

الثاني فاسماؤه اسماء افراد غالباً ما يكونون اجداد العائلة فينتمي اليهم المغتربون على الطريقة البنانية القديمة ، مترجمين اسماءهم من العربية الى الانكليزية . فتجد بينهم من يدعوا Abraham (ابراهيم) ، George (جريس) ، Jacob (يعقوب) ، Peter(s) (بطرس) ، Andrews (اندراوس) ، Charles (خليل).

٣) الأسماء العربية « المؤمركة » وهي القسم الاجدر بالانتباه لما فيه من ابتداع في الاشتقاق والتحريف ، ولما فيه من فائدة عتيدة لعلماء الاسماء والاجتماع على السواء . فقد عمد فيه المغتربون الى صياغة اسمائهم صياغة تنطلق من الأصل العربي وتحافظ عليه كلياً او جزئياً صياغة اياد بلون اميركي تخال ان صاحبه منحدر من اصل اسكتلندي او ارلندي او انكليزي . اليك بعض ما جاء في اسماء الافراد اولاً ثم في اسماء العائلات :

أ ــ الأفراد : شفيقة = Sophie [1] ؛ نظيره = Nancy . لياس = Louis او Ellis ؛ وشيد = Richard ؛ مرّون = Mary . حنّه = Ann . مريم = Mary Ann . ارزه = Elsie ؛ امينه = Emily ؛ هدبا = Edna ؛ ادما = Edna . سعدى = Sadie ؛ سيّده = Sadie . كميله = Camille ؛ ديبه = Delia ؛ نعمه Norman .

ب ــ العائلات : شاهين = Sheehan . مخول = Mc Houl . ريّس = Rice . حلو = Hellow . الشعّار = Shaw ؛ مهنّا = Mahanor . بطحاني = Bethoney او Letorney او Patgane ؛ شمعون = Shamon ؛ بطل = Butland ؛ خوري = Corey ؛ طوا = Tower ؛ علي = Ale ؛ العلم = Allen ؛ نخله = Nichols ؛ عبد النور = Ben Hur ؛ شتير = Shire ؛ شينا = Shiner ؛ نشواتي = Nash ؛ لطوف = La Touf ؛ لحود = La Hood ؛ صوايا = Sawyer ؛ زعتر = Carter ؛ حوزي = Housey . شحاده = Shadie ؛ سلوم . Sullivan او Solomon ؛ هندي = Handy .

٤) الأسماء التي لا علاقة لها بالأصل العربي وهي قلة قليلة . كمثل اسم Kelly اتخذه اناس من آل مخلوف ، او اسم Taylor تسمى به جماعة من بني عطاالله ، ولعلّ هذا الاسم العربي الأخير اذا ما أسقط منه الحرف الأول ولفظ بامالة الطاء قارب لفظة Taylor التي تدغم فيها الراء الأخيرة بالانكليزية ، والله اعلم .

---

١) استعضنا عن كلمة « تعلي » بعلامة المعادلة

(كامل ص ٤٧) ام ٢١٫٥ × ١٤٫٥ (عطية ص ٢٢) ؟ والمخطوطة رقم ٥٥٠ هل قياسها ١٦ سم كما قال كامل (ص ٤٧) ام ١٠ سم كما قال عطية (ص ٢٢) ؟ يجب ان نلفت النظر ايضاً الى بعض الاخطاء المطبعية التي وقعت في كتاب كامل : ففي الرقم ٥٥٤ (ص ٤٨) قد وردت كلمة Paradies عوضاً عن Paradise وفي الرقم ٥٥٨ (ص ٤٨) Cousels عوضاً عن Counsels . وفي الرقم ٥٥٩ Jakobites عوضاً عن Jacobites . وفي الرقم ٥٦٥ Anastastius عوضاً عن Anastasius (ص ٤٨) وفي الرقم ٥٧١ (ص ٤٩) Stephan عوضاً عن Stephen واخيراً في الرقم ٥٨١ (ص ٥٠) وردت كلمة Bedouius عوضاً عن Bedouins — واذا ما انتقلنا الى المجموعة الصغيرة التي شملت النصوص المجمعية ونصوص القوانين الكنسية نرى ان المخطوطة رقم ٥٨٣ تحوي ٣٩٧ ورقة حسب كامل (ص ٥١) بينما ليس فيها الا ٢٩٧ ورقة حسب عطية (ص ١٠) . ورد في عرض المخطوطة رقم ٥٨٥ (ص ٥١) Macedonius Eutychius بينما الكتابة الصحيحة هي "Macedonius, Eutychius" . يقول كامل ان القوانين التي اصدرها البابا اقليموس تعود الى القرن الثالث عشر (رقم ٥٩٠ ص ٥١) بينما يقول عطية انها تعود الى القرن الحادي عشر (ص ٢٥) . ان اختلاف وجهة النظر بالنسبة لتاريخ المخطوطات بين كامل وعطية تظهر جلياً في المخطوطات ذات الأرقام (٢٢٣ — ٣٣١ — ٤٠٤ — ٤٣٠ — ٤٤٣ — ٤٥٢ — ٤٥٧ — ٤٥٩ — ٤٨٠ — ٤٩٩ — ٥٠٦ — ٥٣٧ — ٥٥٠ — ٥٥٦ — ٥٥٩ — ٥٦٦ — ٥٦٧ — ٥٨٠ — ٥٨٥) من لائحة كامل التي توافق المخطوطات ذات الارقام (١٤٠ — ٢٨٢ — ٤٣٧ — ٥٤٩ — ٦٧٩ — ٣١٢ — ٣٣٠ — ٣٣٢ — ٣٥٣ — ٤٥٥ — ٥٠٩ — ٥٢٣ — ٥٤٦ — ٥٥٤ — ٥٦١ — ٥٧١ — ٥٧٣ — ٥٨٢ — ٣٩٣) من لائحة عطية . ان نظرة سريعة الى مجموعة المدرجات الغربية والتركية وحدها تبيّن لنا ان هنالك اخطاء في وصفها . فالمدرج رقم ١ من هذه اللائحة قد أرّخ في سنة ١١٥٠ هـ. الذي قال عنه المؤلف انها توافق السنة ١١٣٧ م. بينما الصحيح انها السنة ١٧٣٧ م . — ان المدرج ٢١٦ من لائحة كامل لا يوافق المدرج رقم ٢١٠ من لائحة مكتبة الكونغرس . انما الرقم ٢٠١ .

لا يوجد في دير القديسة كاترينة الا مخطوطة واحدة بالأرمنية وهي ترجمة لمقولات ارسطو . ان تلك المخطوطة ترجع الى القرن الثامن عشر انما من الممكن ان تعود الترجمة الى المدرسة الفيلبلينية الارمنية في القرن السابع عشر . كما انه لا توجد في مكتبة الدير الا مخطوطة واحدة باللغة القبطية ولعل تاريخ الدير

يعلّل هذا الوضع . انما مجموعة المخطوطات اليونانية فهي من اهم المجموعات . وعندما يتكلم كامل عنها فلا يأتي على ذكر مؤلف بينيشيتش عن مخطوطات جبل سيناء اليونانية[1] . اما في ما يختص بالمخطوطات الحبشية فنجد ان هنالك ست مخطوطات وضعها كامل ؛ وهو المتضلع من هذه اللغة ؛ وضعها في مؤلفه عن الحوليات الحبشية[2] . ولكنه سردها بسرعة واقتضاب في اللائحة التي نحن في صددها الآن (ص ٥٥) وقد غاب الوداسي (le Weddāsi) عن مضمون المخطوطة رقم ٣ .

واذا ما تطرقنا الى ما يختص بالابحاث الكرجية نرى ان هذا الموضوع يستحق دراسة مفصلة . ليس بالنسبة لعدد المخطوطات فهي لا تتعدّى الست وثمانين مخطوطة ؛ انما بالنسبة لقدمها ومحتواها . فالمخطوطات الكرجية الموجودة في سيناء تعود الى ما قبل المترجمين البيزنطيين وذلك بعكس المخطوطات النسبية . ولا يرجع الاستاذ كامل ابدًا في هذا الموضوع الى الجدول القيّم عن المخطوطات الادبية الكرجية في جبل سيناء الذي وضعه جيرار كاريت[3] . كما انه لا يعطي الا معلومات سطحية عن هذا الموضوع فقد عرّف عن المخطوطة ٨٥ بانها اقوال الآباء (the sayings of the Fathers) ؛ والمعلوم انها تتضمّن رؤيا القديس يوحنا الانجيلي ومؤلفات لدوروثاوس الغزّاوي واندراوس القيصري — ويزعم كامل ايضاً ان المخطوطة الثالثة والثمانين تتضمّن خطب غريغوريوس النيصي بينما يؤكد كاريت (ص ٢٣٤) ان تلك الخطب تعود الى غريغوريوس النزينزي . وفي كلامه عن المخطوطة رقم ٧٣ يقول المؤلف انها لا تحوي الا الـ "Apophthegmata" (ص ٥٩) والحقيقة انها تتضمّن صلوات ومراسلات المسيح المقدسة ومراسلات ابجر ومؤلفات ليوحنا فم الذهب واعمال بيلاطس . فلماذا قد صنّف هذه المخطوطة مع اخبار القديسين (ص ٥٩) ؟ لقد جاءت المخطوطة ٦٩ تحت عنوان « حياة القديس سمعان » بينما يجب التحديد بانها حياة القديس سمعان العمودي الأصغر . واننا نلفت النظر اخيرًا الى ان المخطوطة رقم ٧٨ لا تحتوي على

(١) V. N. Bénéchévitch, *Les manuscrits grecs du Mont Sinaï*, Athènes, 1937.

(٢) Murad Kamil, *Les Annales d'Ethiopie*, t. II (1957), pp. 83-90 M.

(٣) Gérard Garitte, *Les manuscrits géorgiens littéraires du Mont Sinaï*, Louvain, 1956.

٢٣٣ ورقة كما قال كامل (ص ٥٩) بل على ٢٥٣ كما جاء في مؤلف غاريت (ص ١٢٢).

لقد وضع المؤلف فهرساً وحيداً لجدول المخطوطات جميعها. وهو يتضمن تدابير طقسية بالعربية ومرادفاتها باليونانية وكيفية استعمالها. وقد وجدنا في هذا الفهرس بعض الأغلاط المطبعية كـ Kadisma عوضاً عن Kathisma و metalephis عوضاً عن metalèphis و menas عوضاً عن "means" الخ... كما وقعنا على بعض التعاريف الغامضة، مثلاً poluéleon means: fullof oil و agrupnia means: to keep awake or full of mercy! عوضاً عن "wakefullness"...

واخيراً لا بد لنا من القول بعد كل تلك التحفظات بان هذا الجدول سيقدم خدمات جلّى كما فعله من قبل في طبعة عربية. ولا بد للاختصاصيين ان يتقبلوه في مكتباتهم بكل ترحاب.

پيتر هانس كولشباخ

كتاب الملل والنحل للامام ابي منصور عبد القادر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي،

حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور البير نصري نادر

دار المشرق، بيروت، ١٨٢ صفحة بالعربية و ١ بالفرنسية

المصنفات في الفرق الاسلامية معين زاخر لدراسة الفكر الإسلامي لما تحفظه بين دفتيها من آراء واعتراضات ومذاهب اعتنقتها جماعات لم تصلنا مؤلفاتها فحالفتها آراء الاجماع. اهم ما كتب في هذا المضمار «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر بن طاهر البغدادي و «الملل والنحل» لابن حزم و «الملل والنحل» ايضاً للشهرستاني، واذا بالدكتور البير نادر يزيد مجلداً آخر على هذه المجموعة بنشره مؤلفاً ثانياً للبغدادي عنوانه «الملل والنحل».

يشير البغدادي في «الفرق بين الفرق» الى كتاب له سابق يدعى «الملل والنحل» وقد عُرف هذا المصنف مخطوط في اسطنبول (Âsir Ef. 355. — Cf. Brockelmann, *GAL*, S. I, 666-7). الى ان اكتشف الدكتور نادر مخطوطاً آخر بمكتبة الاوقاف في بغداد.

ان اشارات البغدادي الى كتابه الأول يدعو الى الظن انه اوسع معالجة وادق تحليلاً من «الفرق بين الفرق»؛ الا ان طبعة الدكتور نادر تبين عكس ذلك، فثمة اختلافات بين المصنفين تفيد ان «الفرق بين الفرق»

أتم وأوفى . ومهما يكن من الأمر فلن تظهر أهمية الطبعة الجديدة على حقيقتها ما لم تقابل اختلافات المصنفين المذكورين بدقة وتدرس بامعان ، وهذا ما نوه به الدكتور نادر نفسه في مقدمة طبعته .

قام الدكتور نادر في تحقيقه مخطوط بغداد بعمل يشكر عليه وقد ساعده على ذلك جولاته السابقة الموفقة في ميدان الفكر الاسلامي . الا ان المخطوط البغدادي مبتور يفتقد القسم الأول من الكتاب بكامله . فلماذا لم يستعن الدكتور نادر بمخطوط اسطنبول ؟ افعله لم يدر بوجوده ؟ فانه اذ يستشهد ببروكلمان ، يشير الى المتن فقط (*GAL*) وقد فاته ما في الملحق عن البغدادي (*GAL*, S. I, 666) .

ملاحظة أخرى اود أن أبديها تعود الى طريقة النشر : فللدكتور نادر فيها تناقضات . تراه مرات يدرج الرواية المصححة في المتن ويشرحها في الحاشية . ومرات اخرى يترك الرواية السقيمة في المتن ويصححها في الحاشية . ومرات اخرى يترك كلا الروايتين السقيمة والصحيحة في المتن جنباً الى جنب . — كذلك فانه ليتعذر على القارئ فهم الاسس التي يعتمد عليها المحقق في استعماله الأقواس المعكوفة ( ) والاقواس القائمة [ ] .

جون . دونوهيو

كتب ارسلت الى « المشرق »

الجزء العاشر من مسند امير المؤمنين عمر بن الخطاب عن النبي ؛

تأليف ابي يوسف يعقوب بن شيبة بن الصلت ؛

عني بدرسه ونشره الدكتور سامي حداد

بيروت : ١٩٦٩ مطبعة المثال الحرف : ٢٠٦ صفحات

كتاب التوحيد للشيخ الامام علم الهدى ابي منصور

محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي ؛

حققه وقدم له الدكتور فتح الله خليف ؛

بيروت ، ١٩٧٠ : دار الشرق : سلسلة « بحوث ودراسات » : XLIII + ٤١٢ صفحة

JEAN-MARIE Aubert, *Sexualité, Amour et Mariage*, Paris, 1970, Beauchesne, 142 pages.

KASIM, Murad, *Catalogue of all manuscripts in the Monastery of St. Catherine on Mount Sinai*, Otto Harrassowitz, Wiesbaden, 1970, 213 pp.

لقد أدّى البطريرك بوفيروس الثالث خدمة جلّى للعلم عندما وافق على طلب مكتبة الكونغرس بتصوير المخطوطات التي تحويها مكتبة دير القديسة كاترينة القديم في جبل سيناء. فبفضل هذه الموافقة أرسلت بعثة اميركية الى سيناء سنة ١٩٥٠ وقد زُوّدت بالرجال والأعتدة اللازمة للقيام بتصوير جميع المخطوطات. ان مكتبة الدير قيّمة جداً وهي تحتوي على ٣٣٢٩ مخطوطة باثنتي عشرة لغة كما تحتوي على مجموعة كبيرة وفريدة من المدوّجات لا تقل عن ١٧٤٢ قطعة متنوعة بالعربية او التركية كقرارات سنها الرسول بنفسه او بعض الخلفاء والسلاطين وبينها ايضاً معاهدات وفتاوى ورسائل وسجلات. هذه المجموعة هي ذات قيمة فريدة بالنسبة لتاريخ علم قراءة الكتابات العربية القديمة وكتابات العالم العربي. كان من الصعب ان نصل الى هذا الكنز حتى سنة ١٩٥٠. اما الآن فقد اصبح من السهل دراسة تلك المخطوطات والمستندات لان نسخاً عن صورها قد وُضعت في مكتبة الكونغرس في واشنطن وفي مكتبة جامعة الاسكندرية التي هي اقرب الينا. انما البعثة الاميركية لم تصوّر الا الوثائق التي اعتبرتها ذات اهمية بالنسبة لتاريخها او مضمونها. ولهذا السبب قد نلاحظ ان مؤلّف عزيز سوريال عطية عن المخطوطات العربية في جبل سيناء[1] لا يبحث في الست مئة وخطوطتين العربية الموجودة في سيناء كما يوحي عنوان كتابه؛ انما يقتصر على الثلاث مئة وست مخطوطات التي صورتها البعثة الاميركية. وقد ارسلت وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٥١ لجنة الى سيناء لكي تحصي جميع المخطوطات العربية ولا سيما تلك التي اهملتها البعثة الاميركية. وقد جاء مؤلّف الاستاذ مراد كامل نتيجة لهذا العمل. ولم يتبع المؤلف تقديم جدولاً تحليلياً او قياسياً. لقد جاءت شروحات المخطوطات مقتضبة جداً على غرار ما ورد

(1) ATIYA (Aziz Suryal), *The Arabic Manuscripts of Mount Sinai* (Baltimore, 1955, xiii and 97 pp).

عند الاستاذ عطية . وفي اغلب الاحيان لا تعط تلك الشروحات الا تلميحاً عن المادة المستعملة (ورق عادي او رق) . وعن عدد اوراق المخطوطة وحجمها وشيئاً قليلاً عن محتواها واحياناً عن تاريخها . واما الشروحات التي وردت عن المدرجات فلا تشير الا الى المادة التي كتبت عليها الرثيقة والى حجمها وتاريخها . ومن المؤسف ألاّ نجد في الكتاب ترقيماً صحيحاً لكل صفحة او قطعة تابعة لمخطوطة واحدة . ان مراد كامل باعطائه جردة كاملة لكل ما تحتويه المكتبة وذلك بلائحة منظمة آخذاً بعين الاعتبار الجداول السابقة ، اراد ان يجعل من كتابه دليلاً يعطي نظرة اولية وشاملة عن مجموع مواد مكتبة جبل سيناء كما يهدي الى المواد المصورة . وعلى هذا يكون الكتاب قد ادّى خدمات جلّى قيّمة حتى ولو احتاج الى شيء من التحسين . واننا نسمح لنفسنا بان نشير الى بعض الأغلاط المطبعية او السهوات التي وردت . ونظن ان هذه الاشارة لا تنقص من قدر العمل الجدّي والشاق الذي قام به الاستاذ كامل .

ان مجموعة المخطوطات المسيحية العربية هي من اهم المجموعات ؛ وأكثر من نصفها يعود الى القرن الثالث عشر اي الى العهد الذي لجأ فيه الكثير من المسيحيين الذين يتكلمون العربية الى الدير هرباً من اجتياح المغول . يعطي المؤلّف في الصفحة العاشرة قائمة للمخطوطات التي تعود الى هذه المجموعة والتي صورتها البعثة الاميركية . الا ان المخطوطة رقم ٨٠ من هذه القائمة لم تصوّر (انظر عطية ص ٤) وقد ورد الرقم ٣٩٨ عوضاً عن الرقم ٣٨٩ ؛ فيما يختص بمجموعة مخطوطات العهد القديم أرّخ كامل الرقم ٣ بسنة ١٣٥٨ (ص ١١) وقد قال عطية انها سنة ١٣٤٨ (ص ٣) ؛ في الرقم ٣٠ (ص ١٢) وردت كلمة Pdes عوضاً عن Odes وفي الرقم ٥٥ (ص ١٣) begining عوضاً عن beginning ؛ فيما يختص بمخطوطات العهد الجديد ان عدد اوراق الرقم ٦١ هو ٤٠٦ وليس ٤٦ ورقة (ص ١٣) ؛ المخطوطة رقم ١٠٣ من لائحة كامل (ص ١٥) لا توافق الرقم ١١ بل الرقم ١١١ من لائحة عطية ؛ في شروحات المخطوطات الطقسية نرى انه قد ورد في الرقم ١٦١ (ص ١٩) Xenophon عوضاً عن St Xenophon . وفي الرقم ١٦٢ (ص ١٩) نرى St Maletius عوضاً عن Meletius ؛ وفي نقل اسماء الاشهر العربية قد أهملت الحركات ولم يشر الى المدّات : انظر مثلاً في الرقم ١٥٨ Kanun و ١٦٤ Iyar و ١٦٧ Ab و ١٧٢ Adhar . بينما نرى في الرقم ١٤٤ ان كلمة Abdallāh قد كتبت حسب الاصول ؛ ان كيفية نقل تلك الاسماء

العربية ليست ثابتة اجمالاً : انظر في الرقم ٤٥٧ ص ٣٧ Surūg التي وردت عوضاً عن Surūğ وقد كتبت في الرقم ٥٠٧ Surug ؛ جاء في الرقم ٤٩٣ ص ٤٠ ar-Ruha, al-Ruha, al-Raqqa, ar-Rashīd وفي الرقم ٤٩٥ ص ٤٠ ar-Ruha, al-Hārith at Nagrān ٤١ ؛ نجد في الرقم ٥٠١ ص ٤١ ar-Raqqa, ar-Reshīd وفي الرقم ٥٤٤ ص ٤٦ al-Hārith of Nagrān وذلك عوضاً عن Nağrān ؛ ان الاشارة « cam » في الرقم ١٩٠ ص ٢٠ يجب ان تقرأ cm. ؛ يحتوي كتاب القراءات رقم ١٩١ (ص ٢٠) على ١٧٧ ورقة حسب كامل وعلى ١١٧ حسب عطية (ص ٣) . والرقم ١٩٩ (ص ٢١) مؤرخ في سنة ٩٨٥ عند كامل و ٩٩٥ عند عطية . وكذلك الرقم ٢٠٥ فقد أرخه كامل في سنة ١٢٢٨ بينما قال عطية انه في سنة ١٢٨٨ ؛ هل يحتوي الكتاب رقم ٢٢٠ (ص ٢٢) على ٣٩٩ ورقة ام على ٣٩٠ وهناك ايضاً اختلاف بالتاريخ بالنسبة لكتاب القراءات رقم ٢٤٥ (ص ٢٣) فهو سنة ١٢٨٨ عند كامل و ١٢٧٢ عند عطية (ص ٧) . قال كامل ان الاورولوجيون رقم ٢٥٧ (ص ٢٤) يعود الى القرن الخامس عشر بينما يؤكد عطية انه من القرن الثالث عشر (ص ٧) ؛ المجموعة الطبية المحتوية على تبريك ماء النيل تتضمن ٢٢٥ ورقة حسب كامل (ص ٢٦) و ٢٥٩ حسب عطية (ص ٧) ؛ في مجال المؤلفات اللاهوتية قال كامل ان قياس الرقم ٣٣٠ (ص ٢٧) هو ١٨÷٢٦ سم بينما يقول عطشة انه ٢٦ — ١٣ سم (ص ٨) — وفي الرقم ٣٥٣ (ص ٢٨) نجد explaning بدلاً من explaining و "a payer for the Caliph" بدلاً من "a prayer for the Caliph" (ص ٢٨) . ويقول الرقم ذاته يقول كامل ان عدد اوراقه هي ٣٤٣ (ص ٢٨) بينما يؤكد عطية انها ٢٤٣ ورقة (ص ١٤) — وعدد اوراق الرقم ٣٥٥ هو ١٠٨ حسب كامل (ص ٢٨) و ١٦٨ حسب عطية (ص ١٨) — واذا ما طالعنا الصفحة ٢٩ من مؤلف كامل نرى انه قد وردت في الرقم ٣٦٠ كلمة Caphas عوضاً عن Cephas وفي الرقم ٣٦٩ نجد folowed بدلاً من followed . كما ورد ايضاً في الرقم ٣٧٢ SS. Maximus, Thalassius, بدلاً من SS. Maximus Thalassius, Basil ؛ في الصفحة ٣٠ يجب تصويب apophthegmata ؛ apophthegamte (رقم ٣٨٣) . وكذلك antiochus ؛ Antiochus (رقم ٣٨٤) و St. Antiochus ؛ Pandectes St. Antiochus: Pandectes (رقم ٣٨٦) ؛ هل يعود تاريخ المخطوطة رقم ٣٩٦ (ص ٣١) الى سنة ١٨١٣ ؟ — ان الرقم ٤٠٠ من لائحة كامل (ص ٣١) قد وضع على انه يوافق الرقم ٣٩٦ في لائحة مكتبة

الكونغرس بينما الرقم الصحيح هو ٣٨٦ ؛ ان كلمة mimar في الرقم ٤٠٣ (ص ٣١) يجب ان تصحح ؛ mimars كما Nativity (رقم ٤٠٦ ص ٣١) ؛ Nativity و Selection (رقم ٤١٨ ص ٣٣) ؛ Selection و Emperer (رقم ٤٤١ ص ٣٥) ؛ Emperor و mimars St. John Climax (رقم ٤٥٧ ص ٣٧) ؛ mimars of St. John Climax ؛ يؤرخ كامل المخطوطة ٤٧٣ (ص ٣٧) بسنة ١١٧٧ بينما هي سنة ١١١٧ عند عطية (ص ٩) ؛ لقد ورد "13 the cent" عوضاً عن "13 th cent" في الرقم ٤٩٤ (ص ٤٠) ؛ يدعي كامل ان تاريخ المخطوطة رقم ٤٩٧ (ص ٤٠) يعود الى سنة ١٢٣٣ بينما يقول عطية انها سنة ١٣٢٣ (ص ١٤) ؛ يقول كامل ايضاً ان المخطوطة رقم ٤٩٩ (ص ٤١) توافق الرقم ٤٥٣ في لائحة مكتبة الكونغرس والحقيقة انه الرقم ٤٥٥ لان الرقم ٤٥٣ في مكتبة الكونغرس يوافق الرقم ٤٠٧ من لائحة كامل ؛ ان الرقم ٥٠٧ هو الطرس الذي اكتشفه عطية في الثاني عشر من حزيران سنة ١٩٥٠ وقد سمّاه الـ "Codex arabicus" تمثلاً بالـ "Codex syriacus" الذي اكتشفته السيدة Agnes Smith Lewis في اواخر القرن التاسع عشر وفي المكتبة ذاتها . ويبدو ان هذا الطرس يحوي خمس طبقات مختلفة : واحدة يونانية واثنتين سريانيتين واثنتين عربيتين . والطرس الآخر الذي اكتشف في دير القديسة كاترينة هو كتاب الانبياء الذي يحمل الرقم ٢٤٦ في لائحة كامل وفيه نص بالسريانية وثان بالخط الكوفي وثالث بالخط النسخي . واننا نجد هذين الطرسين وصف ادق وأشمل عند عطية وذلك في مقدمته (ص XXVI) وفي الرقمين ٥١٤ و ٥٨٨ ؛ لقد خصّص كامل القسم الرابع من تصنيفه المواضيع الى التاريخ . وفي وصفه للمخطوطة رقم ٥١٧ (ص ٤٣) يتكلم المؤلف عن قصة Amethārius وامه بينما يقول عطية انها قصة Anutharius وامه (ص ١٣) . وفي الرقم ٥٢١ كتب كامل jews عوضاً عن Jews ؛ هل عدد اوراق المخطوطة رقم ٥٢٩ (ص ٤٤) هو ٢٦٢ ورقة ام ١٨٥ كما قال عطية في الصفحة ١٨ ؟ وكذلك بالنسبة لكتاب يعود للقرن العاشر . فقد يقول كامل ان هذا الكتاب (رقم ٥٣٣ ص ٤٥٠) يتألف من ٣٥٩ ورقة بينما يذهب عطية الى انها ٣٨٩ (ص ١٩) — وفي وصفه للمخطوطة رقم ٤٥١ (ص ٤٦) يكتب كامل Mosul عوضاً عن Moşul ويبدو ان الشهيد Qāyātis هو بالحقيقة Qāyārtis ؛ يجب كتابة "a third" عوضاً عن "a thrid" في الرقم ٤٥٥ (ص ٤٦) وكذلك "the last four tracts" عوضاً عن "the last from tracts" ؛ هل حجم المخطوطة رقم ٥٤٩ هو ٥ر١٢ × ٥ر١٤

فهارس المشرق

للسنة الرابعة والستين

١٩٧٠

فهرس اول

لمواد السنة الرابعة والستين من مجلة المشرق ١٩٧٠

الجزء ١ — (كانون الثاني — شباط : الذكرى المئوية الثالثة لولادة المطران جرمانوس فرحات ؛ بقلم الأب انطوان خير الانطوني (٣—٣٤) — الشاعر المغمور بديع خليل الخوري ؛ بقلم جرجي ابراهيم نصر (٣٥—٤٨) — ابو العلاء على هامش رسالة الغفران . جورج عيسى الأحمر (٤٩—٦٠) — نعمان ابي ناضر ؛ بقلم جرجي ابراهيم نصر (٦١—٦٤) — السنوات الخاصة في تاريخ حمص ؛ للاب كارليس شد اليسوعي (٦٥—٩٠) — اوريجانوس والمسيحية اليهودية ؛ بقلم الدكتور مارتينيانو رونكاليا (٩١—٩٨) — كتابة ليكسوس اليونيقية . بقلم الأب ا. فان دن برندن (٩٩—١٠٥) — الكتب (١٠٦—١٢٦) .

الجزء ٢ — (آذار — نيسان) : خطبة الفتوحات المكية للشيخ محي الدين بن العربي ؛ تحقيق الدكتور عثمان اسماعيل يحيى (١٢٩—١٩٥) — الدكتور أمين يوسف الخوري ؛ بجرجي ابراهيم نصر (١٩٦ — ٢٠٧) — الشباب الذاوي . جرجي ابراهيم نصر (٢٠٨ — ٢٢٨) — زنوبيا تدمر . للاب كارليس شد اليسوعي (٢٢٩—٢٥٦) .

الجزء ٣ — (ايار — حزيران) — اسقف ماروني جديد : سيادة المطران عبده خليفه : بقلم الأب كميل حشيمه اليسوعي (٢٥٧—٢٦٢) — حبيب الأصغر : ابو بكر الخوري . بقلم الدكتور فواز احمد طوقان (٢٦٣—٢٧٨) — كنيسة لبنانية ذات رسوم شهيرة : مار تادرس بحديدات . بقلم الأب موريس تاون اليسوعي (٢٧٩—٢٨٨) — المعتقدات الدينية وتأثيرها في تمثيل الفرد في الفن التشيفي . بقلم الدكتور حارث فؤاد البستاني (٢٨٩ — ٢٩٦) — الأب لويس شيخو وشعراء النصرانية في الجاهلية . بقلم الأب كميل حشيمه اليسوعي (٢٩٧—٣٢٢) — مقالة ا. فان دن برندن حول العبارة الصفوية [illegible] ؛ للاب ا. جام (٣٢٣—٣٢٤) — العلاقات السياسية بين روما وحمص في القرن الثاني للميلاد ؛

بقلم الأب كارلوس شد اليسوعي (٣٢٥–٣٥٦) – الكتابة الليبية Tripolitana 12 . للاب ا. ڤان دن برندن (٣٥٧–٣٦٦) – اللغات الاسامية والعربية . للدكتور رمزي طحان (٣٦٧–٣٧٨) – كتاب عبدالله او ائمة الانسان المعاصر . للاب جورج انطونيوس اليسوعي (٣٧٩–٣٨٢) – الكتب (٣٨٣–٣٨٤) .

الجزءان ٤ – ٥ (تموز – تشرين الأول) – وقايع الشيخ روزبهان البقلي الشيرازي : نشرها الأب بولس نويا اليسوعي (٣٨٥–٤٠٦) – الدكتور شاكر بك الخوري . لجرجي ابراهيم نصر (٤٠٧–٤٢٠) – من رسائل الأدباء والمستشرقين الى الأب لويس شيخو، بقلم الأب كيل حشيمه اليسوعي (٤٢١ – ٤٦٤) – آدم ولغته في نظر ابي العلاء وذاتي : بقلم الياس غالي (٤٦٥–٤٧٨) – يوسف بك كرم: للخوري حنا طنوس (†) (٤٧٩ – ٥٢٤) – حول ما كتبه اللبنانيون في ديار الاغتراب: للدكتور جميل جبر (٥٢٥–٥٥٦) – اصل شعب حمص . للاب كارلوس شد اليسوعي (٥٥٧–٥٨٦) – اربع كتابات صفوية جديدة : للاب ا. جام (٥٨٧–٥٩٠) – كتاب مخطوط منسوب الى وهب بن منبه . بقلم الدكتور ر. ج. خوري (٥٩١–٦١٤) – العرب في العصور الكلاسيكية القديمة : للدكتور مارتينيانو رونكاليا (٦١٥–٦٣٠) – الكتب (٦٣١–٦٤٠) .

الجزء ٦ (تشرين الثاني – كانون الاول) – الكتاب الثاني من مواقف النفري ، منتخبات نشرها الأب بولس نويا اليسوعي (٦٤١–٦٦٢) – حول ما كتبه اللبنانيون في ديار الاغتراب . للدكتور جميل جبر (٦٦٣ – ٧٢٨) – رسائل لويس مسينيون الى الأب لويس شيخو : بقلم الأب كيل حشيمه اليسوعي (٧٢٩ – ٧٥٤) – العرب في العصور الكلاسيكية القديمة ، للدكتور مرتينيانو رونكاليا (٧٥٥–٧٦٢) – اللغة العربية والبنائية : للدكتور رمزي طحان (٧٦٣–٧٧٤) – اسماء اللبنانيين في الولايات المتحدة الأميركية : للاب كيل حشيمه اليسوعي (٧٧٥–٧٧٦) – الكتب (٧٧٧ – ٧٨٤) – الفهارس ٧٨٥–٧٩٣ .

فهرس ثان

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

الاسمر (جورج عيسى) : ابو العلاء على هامش رسالة الغفران (٤٩–٦٠) .

انطونيوس (الأب جورج اليسوعي) : كتاب عبدالله او ازمة الانسان المعاصر (٣٧٩–٣٨٢).

البستاني (الدكتور حارث فؤاد) : المعتقدات الدينية وتأثيرها في تمثيل التقرد في الفن التشيخي (٢٨٩–٢٩٦) .

تالون (الأب موريس اليسوعي) : كنيسة لبنانية ذات رسوم شهيرة . مار تادرس بحديدات (٢٧٩–٢٨٨) .

جام (الأب ا.) : مقالة ا. ڤان دن برندن حول العبارة الصنوية ʾm ʿl ḥr (٣٢٣–٣٢٤) – اربع كتابات صفوية جديدة (٥٨٧–٥٩٠).

جبر (الدكتور جميل) : حول ما كتبه اللبنانيون في ديار الاغتراب (٥٢٥-٥٥٦؛ ٦٦٣-٧٢٨).

حشيمه (الأب كيل اليسوعي) : اسقف ماروني جديد : سيادة المطران عبده خليفه (٢٥٧–٢٦٢) – الأب لويس شيخو وشعراء النصرانية في الجاهلية (٢٩٧ – ٣٢٢) – من رسائل الأدباء والمستشرقين الى الأب لويس شيخو (٤٢١ – ٤٦٤) – رسائل لويس ميسنيون الى الأب لويس شيخو (٧٢٩–٧٥٤) – اسماء اللبنانيين في الولايات المتحدة الأميركية (٧٧٥–٧٧٦).

خوري (الدكتور ر. ج.) : كتاب خطوط منسوب الى وهب بن منبه (٥٩١–٦١٤) .

رونكاليا (الدكتور مارتينيانو) : اوريجانوس والمسيحية اليهودية (٩١–٩٨) – العرب في العصور الكلاسيكية القديمة (٦١٥–٦٣٠ و ٧٥٥–٧٦٢) .

شد (الأب كارلوس اليسوعي) : السنوات الخامسة في تاريخ حمص (٦٥–٩٠) – زنوبيا تتمرد (٢٢٩–٢٥٦) – العلاقات السياسية بين روما وحمص في القرن الثاني للميلاد (٣٢٥ –٣٥٦) – اهل شعب حمص (٥٥٧–٥٨٦).

ضو (الأب انطوان الأنطوني) : الذكرى المئوية الثالثة لولادة المطران جرمانوس فرحات (٣–٣٤).

طحان (الدكتور ريمون) : اللغات الاسامية والعربية (٣٦٧–٣٧٨) – اللغة العربية واللبنانية (٧٦٣–٧٧٤) .

طنوس (الخوري حنا ✝) : يوسف بك كرم (٤٧٩–٥٢٤) .

طوقان (الدكتور فواز احمد) : حبيب الأصغر : ابو بكر الصنوبري (٢٦٣–٢٧٨) .

غالي (الياس) : آدم ولغته في نظر ابي العلاء وداتي (٤٦٥–٤٧٨) .

ڤان دن برندن (الأب ا.) : كتابة ليكوس البونيقية (٩٩–١٠٥) – الكتابة البونيقية Tripolitana 12

نصر (جرجي ابراهيم) : الشاعر المغمور بديع خليل الخوري (٣٥ – ٤٨) . نعمان ابي ناصر (٦١–٦٤) – الدكتور امين يوسف الخوري (١٩٦–٢٠٧) – الشاب الذاوي (٢٠٨ – ٢٢٨) – الدكتور شاكر بك الخوري (٤٠٧ – ٤٢٠) .

نيويا (الأب بيلس اليسوعي) : وقايع الشيخ روزبهان البقلي الشيرازي (٣٨٥–٤٠٦) – الكتاب الثاني من مواقف النفري (٦٤١ – ٦٦٢) .

يحيى (الدكتور عثمان اسماعيل) : خطبة الفتوحات المكية للشيخ محي الدين بن العربي (١٢٩-١٩٥).

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الرابعة والستين للمشرق

على ترتيب أسماء مؤلفيها

١ ــ المطبوعات الشرقية

ب

بشروئي (سبيل) : جبران خليل جبران . مختارات ودراسات (٦٣٦) .

البغدادي (ابو منصور عبد القادر) : كتاب الملل والنحل (٧٨٣) .

د

دانغي (الأب انديه اليسوعي) : القاموس الصغير (٦٣٥) .

ذ

ذريل (عدنان بن) : في الشعر المسرحي : احمد شوقي و عزيز اباظه . عدنان مردم بك (٦٣٦) .

س

سلهب (نصري) : في خطى المسيح (١٠٨) .

ص

الصغير (الدكتور فؤاد) : علم النفس التطبيقي (٦٣١) .

غ

غريب (معن) : صور حاضرة فينيقيا (٦٣٣)

ف

فهرس الابحاث ١٩٥٨–١٩٦٧ : فهرس هجائي للمقالات ... الواردة في مجلة الابحاث . اعداد نوال مكداشي (١٠٩).

ك

كوران (آرجنت) : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (٣٨٤) .

م

المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني : الوثائق المجمعية . نقلها الى العربية الآباء اغناطيوس عبده خليفه ويوسف بشاره وفرنسيس اليسري (٣٨٣) .

٢ — مطبوعات اوروبية

Au bord du schisme? L'affaire d'Amsterdam et l'Eglise de Hollande 121.

BEIGBEDER (MARC), *Le sur-cire* 123.
BELLET (MAURICE), *Le sens actuel du christianisme. Un exercice initial* 118.

CALMELS (NORBERT), *Concile et vies consacrées* 123.

Dictionnaire de la foi chrétienne, t. 1 et 2 115.

FESQUET (HENRI), *Le journal du Concile* 122.
FESQUET (HENRI), *Le journal du premier Synode catholique* 122.
FRAGOSO (ANTONIO), *Evangile et révolution sociale* 113.
FRAGOSO (ANTONIO), *La flamme qui dévore le berger* 113.

GHIKA (WLADIMIR), *Derniers témoignages* 639.

HÄRING (B.), *Chrétiens dans un monde nouveau* 117.
HAUSHERR (IRÉNÉE, s.j.), *Etudes de spiritualité orientale* 109.

JAVAUX (J.), *Prouver Dieu?* 117.

KAMIL (MURAD), *Catalogue of all manuscripts in the Monastery of St. Catherine on Mount Sinai* 777.
KÜNG (HANS), *Etre vrai. l'avenir de l'Eglise* 118.

LE GUILLOU (M.), CLÉMENT (O.), BOSC (J.), *Evangile et révolution* 124.

MANARANCHE (ANDRÉ, s.j.), *L'homme dans son univers* 111.
MARLÉ (RENÉ), *Dietrich Bonhoeffer* 119.
MARNY (JACQUES), *L'Eglise contestée* 126.
MEYENDORF (J.), *Le Christ dans la théologie byzantine* 116.
MIALHE (ROBERT), *Le faux Dieu des croyants ou le malentendu fondamental* 111.
MYSTERIUM SALUTIS: I 1, *Histoire du salut et révélation*; I 2, *La révélation dans l'Ecriture et la Tradition* 112.

NEWBIGIN (LESLIE), *Une religion pour un monde séculier* 120.

OECHSLIN (R.I.), *Pour une foi personnelle* 640.

PARDAMAN (HOMA), *Djamal-Ed-Din Assad Abedi dit Afgani* 108.
POST (WERNER), *Kritik der Religion bei Karl Marx* 637.
Le problème des mariages mixtes: Colloque de Nemi, par les PP. R. Beaupère, F. Böckle, J. Dupont, etc... 115.
PUYO (J.), REY-MERMET (TH.), *Aujourd'hui l'Evangile* 120.

RICHARDSON (ALAN), *Le procès de la religion* 119.

SCHRAML (W.J.), *Initiation à la pédagogie psychanalytique* 632.
SHERIDAN (TH.L.), *Newman et la justification* 116.
SPERNA WEILAND (J.), *La nouvelle Théologie* 124.

TILLICH (PAUL), *Les fondations sont ébranlées* 123.

VAN DE POL (W.-H.), *La fin du Christianisme conventionnel* 125.
VATICAN II: *La liberté religieuse* 114.
VATICAN II: *Les prêtres, formation, ministère et vie* 114.

ZAHRNT (H.), *Aux prises avec Dieu* 121.

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الرابعة والستين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم

ا

آدم (لغته في نظر ابي العلاء وداتي) ٤٦٥
الآباء والمستشرقون (من رسائلهم الى الأب شيخو) ٤٠٧
اسماء اللبنانيين في الولايات المتحدة الاميركية ٧٧٧
الاغتراب (أدب اللبنانيين في ديار) ٥٢٥ - ٦٦٣
اوريجانوس والمسيحية اليهودية ٩١
ابن العربي (مؤلفه خطبة الفتوحات المكية) ١٢٩
البنيانية واللغة العربية ٧٦٠

ح

حبيب الأصغر (ابو بكر العنوبري) ٢٦٣
حمص (الساعات الخاصة في تاريخها) ٦٥ ؛ (علاقاتها السياسية مع روما في القرن الثاني للميلاد) ٣٢٥ ؛ (اصل شعبها) ٥٥٧

خ

خليفه (سيادة المطران عبده) ٢٥٧
الخوري (الدكتور امين يوسف) ١٩٦
الخوري (الشاعر بديع خليل) ٣٥
الخوري (الدكتور شاكر بك) ٤٠٧

د

داتي (نظره في لغة آدم) ٤٦٥

ر

روزبهان (الشيخ — البقلي الشيرازي) : مقتطفات من كتابه كشف الاسرار ومكاشفات الأنوار ٣٨٥

ز

زنوبيا تدمر ٢٢٩

ش

الشباب الثاوي ٢٠٨
شيخو (الأب لويس) : موقفه من شعراء النصرانية في الجاهلية ٢٩٧ ؛ من رسائل الأدباء والمستشرقين اليه ٤٢١ ؛ رسائل مسيئين اليه ٧٢٩

ص

الصنوبري . راجع حبيب الأصغر .

ع

العرب في العصور الكلاسيكية القديمة ٦١٥، ٧٥٥

ف

فان دن براندن (ا.) : حول مقاله في الكتابات الصفوية ٣٢٣
فرحات (المطران جرمانوس) : الذكرى المئوية الثالثة لولادته ٣
الفن التيفلي (المعتقدات الدينية وتأثيرها في تمثيل الفرد فيه) ٢٧٩

ك

كتاب عبدالله وازمة الانسان المعاصر ٣٧٩
الكتابات البونيقية ٩٩-٣٥٧
الكتابات الصفوية ٣٢٣-٥٨٧

ل

اللبنانيين (ما كتبوه في ديار الاغتراب) ٥٢٥ ؛ ٦٦٣

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE
PARAISSANT TOUS LES DEUX MOIS

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction
des Pères de la Compagnie de Jésus
UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

Soixante-quatrième année

1970

BEYROUTH
IMPRIMERIE CATHOLIQUE
1970

TABLE DES SOMMAIRES

LXIV^e ANNÉE, 1970

JANVIER - FÉVRIER

Le troisième centenaire de la naissance de Ĉ. Farḥāt (3-34), par *Antoine Daou, r.a.*
Badī' Ḫalīl al-Ḫūrī (35-48), par *Georges I. Naṣr.*
Abū-l-'Alā' en marge de Risālat al-Ġufrān (49-60), par *Georges I. Aṣmar.*
Na'mān abī Nāḍir (61-64), par *Georges I. Naṣr.*
Les grandes heures de l'histoire d'Émèse (65-90), par *Carlos Chad, s.j.*
Origène et le judéo-christianisme (91-98), par *Martiniano Roncaglia.*
L'inscription punique de Lixus (99-105), par *A. Van den Branden.*
Les livres (106-126).

MARS - AVRIL

Ḫuṭbat al-Futūḥāt al-Makkiyya de *Cheikh Muḥyi-d-dīn b. al-'Arabi* (129-195), par *Osmān I. Yaḥyā.*
Dr Amīn Yūsuf al-Ḫūrī (196-207), par *Georges I. Naṣr.*
Jeunesse disparue (208-228), par *Georges I. Naṣr.*
Zénobie de Palmyre (229-256), par *Carlos Chad, s.j.*

MAI - JUIN

Un nouvel évêque maronite, Mgr Abdo Khalifé (257-262), par *Camille Hechaïmé, s.j.*
Ḥabīb al-Aṣġar: Abū Bakr Aṣ-Ṣanawbarī (263-278), par *Fawwāz A. Tūqān.*
Une église libanaise à peintures célèbres: Saint-Tadros de Baḥdīdāt (279-288), par *Maurice Tallon, s.j.*

Les croyances religieuses et leur influence dans la représentation de l'individu dans l'art phénicien (289-296), par *Hareth F. Boustany*.
Le Père Louis Cheikho et les poètes arabes chrétiens avant l'Islam (297-322), par *Camille Hechaimé, s.j.*
L'article de A. Van den Branden sur l'expression safaïtique « 'm 'l ḥr » (323-324), par *A. Jamme*.
Les relations politiques entre Rome et Émèse au IIe s. P.C. (325-356), par *Carlos Chad, s.j.*
L'inscription punique « Tripolitana 12 » (357-366), par *A. Van den Branden*.
Les langues fondamentales et l'arabe (366-378), par *Raymond Taïḥān*.
« Kitāb 'Abdállāh » ou la crise de l'homme contemporain (379-382), par *Georges Antonios, s.j.*
Les livres (383-384).

JUILLET - OCTOBRE

Le journal visionnaire du mystique Ruzbehān Baqlī Širāzī (385-406), par *Paul Nwyia, s.j.*
Dr Šākir Bek al-Ḥūrī (407-420), par *Georges I. Nasr*.
Correspondance d'orientalistes et d'hommes de lettres avec le Père Louis Cheikho (421-464), par *Camille Hechaimé, s.j.*
La langue d'Adam d'après Al-Ma'arrī et Dante (465-478), par *Elias Ghali*.
Yūsūf Bek Karam (479-524), par *Ḥannā Tannūs* (†).
Les Lettres libanaises outre-mer (525-556), par *Jamil Jabre*.
Origines du peuple d'Émèse (557-586), par *Carlos Chad, s.j.*
Four New Safaitic Texts (587-590), par *A. Jamme*.
Un récit inédit attribué à Wahb b. Munabbih (591-614), par *R.G. Khoury*.
Les Arabes dans l'Antiquité classique (615-630), par *Martiniano Roncaglia*.
Les livres (631-640).

NOVEMBRE - DÉCEMBRE

Textes mystiques inédits de Niffarî (641-662), par *Paul Nwyia, s.j.*
Les Lettres libanaises outre-mer (663-728), par *Jamil Jaâre.*
Lettres de Louis Massignon au Père Louis Cheikho (729-734), par *Camille Hechaimé, s.j.*
Les Arabes dans l'Antiquité classique (735-762), par *Martiniano Roncaglia.*
Langue arabe et structuralisme (763-774), par *Raymond Ṭaḥḥān.*
Les noms des Libanais aux USA (775-776), par *Camille Hechaimé, s.j.*
Les livres (777-784).
Index (785-793).

لبنانيون (اسماؤهم في الولايات المتحدة الاميركية) ٧٧٥
لغات الاساسية ٣٦٧
لغة العربية (والبنانية) ٧٦٣
لغة العربية (واللغات الاساسية) ٣٦٧

م

مسبنيول (لويس) : رسائله الى الأب شيخو ٧٢٩
معتقدات الدينية وتأثيرها في تمثيل الشرد في الفن التشيكي ٢٨٩
معري (ابو العلاء) على هامش مؤلفه بسالة الغفران : ٤٩ ؛ نظره في لغة آدم : ٤٦٥

ن

نشري (مقتطفات من الكتاب الثاني من مرافقه) ٦٤١

و

وهب بن منبه (كتاب مخطوط منسوب اليه) ٥٩١

ي

يوسف بك كرم (تمثيلية للخوري حنا طنوس) ٤٧٩